



جامعة أفريقيا العالمية

مركز البحوث والدراسات الافريقية

اصدارة رقم (٥٣)

الدور السوداني في تحرير إثيوبيا

وإرجاع الإمبراطور هيلاسلاسي إلى عرشه

١٩٣٥ - ١٩٤١م

إعداد: صالح محمد علي عمر



زورنا في
الفيس بوك
المرتضى
لكتب السودانية
www.facebook.com/sh143a



جامعة أفريقيا العالمية

مركز البحوث والدراسات الافريقية

اصدارة رقم (٥٣)

الدور السوداني في تحرير إثيوبيا

وإرجاع الإمبراطور هيلاسلاسي إلى عرشه

١٩٣٥ - ١٩٤١م

إعداد: صالح محمد علي عمر

جامعة إفريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الإفريقية



الدور السوداني في تحرير إثيوبيا وإرجاع الإمبراطور هيلاسلاسي إلى عرشه 1935 - 1941م

رسالة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإفريقية

إعداد
صالح محمد علي عمر

إشراف : الأستاذ الدكتور
حسن مكي محمد أحمد

1426هـ - 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم

هذه الدراسة الممتازة والجيدة فى موضوعها كانت فى الأصل أطروحة لنيل درجة الماجستير فى الدراسات الإفريقية وقد أوصى الممتحنون بطباعة هذه الأطروحة، ومن حسن الطالع إنها جاءت من ضمن الأبحاث المقدمة بين يدي مؤتمر (الإسلام فى أفريقيا) ، ولعله يبرز سؤال : ما صلة دور قوة دفاع السودان بشأن الإسلام فى أفريقيا؟ والأجابه بسيطة وتكمن فى إن استقلال السودان جاء نتيجة لعاملين :

- العامل الأول هو الكسب والجهاد السياسي لمؤتمر الخريجين الذي مثل ضغطاً على دولتي الحكم الثنائي بان السودانيين قد تأهلوا لنيل استقلاهم وأداره شئؤن بلادهم.
- ولكن لعل الأثر الأكبر يكمن لذلك فى بلاء قوة دفاع السودان خلال الحرب بإثيوبيا وارتريا وهو العامل الثاني مما جعل هناك ديناً واجب السداد على الإمبراطورية البريطانية وفاءاً لجهاد قوات دفاع السودان ووفاءاً لشعارات تقرير المصير التى رفعها الحلفاء حيث وعدوا إنهم سيعطوا الشعوب المستعمرة حق تقرير مصيرها بعد الحرب العالمية الثانية. ولذلك يمكن القول بان إنجاز استقلال السودان يمثل انجازا لحركة الإسلام فى أفريقيا، كما ان انجازات قوة دفاع السودان فى تحرير أثيوبيا وارتريا يعتبر إسهاما إسلاميا فى مناصرة شعوب مستضعفة وقعت تحت نير القبضة الايطالية الفاشستية.

وسوءاً تم قبول هذه الأطروحة او كان هناك رأى آخر حولها، الا إنها تمثل كذلك إسهام فى بناء تاريخ السودان المعاصر وتاريخ القوات المسلحةالسودانية التي وهبت السودان الاستقلال.

- ونزجى الشكر فى الختام للمهندس **يوسف احمد يوسف** مدير عام شركة هجليج للبترول لمساهمتة فى طباعة هذا البحث

والسلام ،،،،،،،

أ د. حسن مكى محمد احمد

عميد معهد الدراسات الإفريقية

السبت 20 شوال 1427 الموافق 11/نوفمبر 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشـــكر والتقديـــــر

الشكُر أولاً لله رب العالميـــن على توفيـقي فى إنجـاز هذا البـحـث،،

ثم الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور /حسن مكي محمد أحـمد، عميـد مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعـة أفريقيه العالمية على فضـله وكرمـــه وصـبـــره علىّ وتوجيهاتـــه ومساعـدته القـيمة لــي ،،،

كما أشكر الأستاذ الدكتور/ يوسف فضل حسن، الذي ترأس لجنة مناقشة هذا البحـث وإجازته، على توجيهاته القيمة وملاحظاته الدقيقـة ومراجعاتــه وتـصويباته التـي استفدت منها كثيراً، وأيضاً الشكر لعضو لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور/عبد الـرحمن أحمد عثمان بجامعة أفريقيا العالمية، والشكر ممتد أيـضاً لكثيـر مـن المؤسـسات والأفراد بالسودان وأثيوبيا ومصر الذين قدموا لي مساعدات جـمـة. وفـي مقدمـة تلك المؤسسات، مكتبة جامعة أديس أبابا وقسم الأرشيف والوثائق بـوزارة الإعـلام الإثيوبية، وأسرة صحيفة العلم الإثيوبية وأسرة السفارة السودانية بأديس أبابا ، ودار الوثائق القوميـة بالخرطوم ، وإدارة البحوث بوزارة الخارجـية الـسودانية، وإدارة معهـد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهـرة، وصحيفة الأهرام المـصرية ،،،،

أما الأفراد من الأخوة والأصدقاء والزملاء ، فلا أستطيع أن أوفيهم حقهم من الـشكر والتقدير، ويصعب علىّ أن أحصيهم أو أُعـدد مساعداتهم الكثيرة لـي فـى جمـع المعلومات والكتب وترجمـة الوثائق وطباعة البحث وتصحيحه،، أسـأل الله لهـم حُسـن الجـزاء ،،

ولله الحمـد والشكر من قبلُ ومن بعــــد ،،،،

المحتويات

مستخلص

يهدف هذا البحث إلى بناء قصة دور السودان في إعادة الإمبراطور هيلاسلاسي إلى عرشه في عام 1941م، بعد أن أزاحه الإيطاليون عنه في الفترة من 1936 - 1941م.

ولإنجاز ذلك بدأتُ الدراسة بمقدمة مسحية عن السودان وإثيوبيا مطلع القرن العشرين، والتطورات المؤسسية فيهما، والمشاكل التي اكتنفت بناء الدولة الحديثة في كل منهما في ظل الوجود الاستعماري، وأطماع ومخططات القوى الكبرى الساعية لتقسيم القارة الإفريقية لمناطق نفوذ بينها.

واستعرضت الدراسة الملابسات التي اكتنفت توارث العرش الإمبراطوري بعد وفاة الإمبراطور منليك الثاني وآتى انتهت ببروز هيلاسلاسي وجلوسه على العرش، وجذور الأطماع الإيطالية في إثيوبيا، وموقف القوى الكبرى آنذاك من غزوها واحتلالها لإثيوبيا، والأصداء العالمية لذلك، وفترة الاحتلال والمقاومة وحياة الإمبراطور بالمنفى.

كما تناولت الدراسة بشيء من التفصيل وجود المقاومة بالسودان وموقف الحكومة البريطانية من ذلك، والدور الذي اضطلع به السودانيون في دعم المقاومة واحتضان اللاجئين، واحتواء قوة دفاع السودان للخطر الإيطالي، ومشاركتها في تحرير إثيوبيا وإرتريا وإرجاع الإمبراطور لعرشه.

وعددت الدراسة الآثار التي خلفتها مشاركة قوة دفاع السودان في حرب شرق إفريقيا، ودور النخبة الإثيوبية التي لجأت للسودان في مستقبل إثيوبيا، وشبكة العلاقات والتحالفات التي نسجها الإمبراطور مع القوى السياسية السودانية خلال وجوده بالسودان.

وانتهت الدراسة إلى أهمية الجغرافية السياسية للسودان، والإسهام الكبير للسودانيين في الحرب العالمية الثانية مما أدى لتحرير إثيوبيا ويسّر لها طريق نيل الاستقلال.

Abstract

- The aim of this research is to construct the story of the Political and Military role played by the Sudan and its people in supporting and assisting The Ethiopian Emperor Haila Selasi to re-instate his throne in 1941, as well as his struggle to Liberate Ethiopia from the Italian occupation during the period "1936 – 1941".
- To accomplish this task, the research started with an introductive survey of both Sudan and Ethiopia in the dawn of the twentieth century, covering the development of their different institutions, the challenges and problems of building a modern state in both of them during the colonial Era, and the interests and plans of the great global powers competed and divided Africa.
- The research displayed the circumstances that characterized the succession of Imperial throne after death of Emperor Menlik the 2nd which was concluded by the emergence of Haila Selasi as the Emperor. As well as the roots of the Italian interests in Ethiopia, the reaction of great powers at the time to the Italian invasion and occupation of Ethiopia, the resistance during the invasion period, and the life of Emperor Haila Selasi in exile.
- The research viewed in details of the presence of the Ethiopian resistance in Sudan, the position of British government in this regard, the role played by the Sudanese people in supporting the resistance and hosting Ethiopian refugees, and the role of Sudan Defense Forces in containment of the Italian danger, it's role in Liberation of Ethiopia and Eritrea, and re-instating of the Emperor Haila Selasi to his throne.
- The research elaborated the effects resulted from the participation of Sudan Defense Forces on East Africa's war, as well as the role of the Ethiopian elites who took refuge to Sudan in determining the future of Ethiopia, and the network of relations and alliances that Emperor Haila Selasi had established with Sudanese political forces during his exile in Sudan.
- The research concluded by highlighting the importance of the Geo-politics of Sudan and the decisive role played by the Sudanese in the 2nd world war and the sacrifices it offered in the fronts of Eritrea, Ethiopia and North Africa that paved the of independence to Sudan.

مقدمة:-

لم تبدأ الحرب العالمية الثانية بالنسبة لإفريقيا فى العام 1939 عندما اجتاحت ألمانيا بولندا، وإنما بدأت فى العام 1935م بغزو إيطاليا لإثيوبيا، ومثلت الفترة من منتصف الثلاثينيات وإلى ما بعد الحرب العالمية الثانية بداية مرحلة التحرير الإفريقي وتكوين الدولة وبناء الأمة بعد عقود من الكفاح والمقاومة ضد هيمنة واستعمار الدول الأوروبية وتسابقها لاقتسام الدول الإفريقية.

ويرتبط تاريخ القارة منذ بداية القرن العشرين بالتاريخ العالمي بفعل السياسات الاستعمارية التي بدأت تسود لأول مرة فى تاريخ البشرية منذ تلك الفترة.

وجاء إحتلال إثيوبيا نتيجة للمطامع الإيطالية فى منطقة شرق إفريقيا خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والانهيار الذي أصاب الاقتصاد العالمى نهاية عشرينيات القرن الماضي ومطلع الثلاثينيات منه.

وترك احتلال إثيوبيا- وهى ثاني دولتان أفريقيتان لم تخضعا للاستعمار حتى ذلك التاريخ - آثاراً عميقة ليس على الشعب الإثيوبي وحده بل أيضا على كل الأفارقة والزنوج فى العالم الذين كان مثقفوهم ينظرون لها كرمز فى سعيهم نحو الاستقلال، وأسهم الاحتلال فى بروز الهوية الإفريقية وأجج المشاعر الإنسانية على مستوى العالم خاصة بعد مواقف الدول الأوروبية الأخرى وفشل عصبة الأمم فى منع الغزو.

ودفع الخطر الإيطالي وأنباء المعاملة الوحشية للشعب الأثيوبي من قبل الإيطاليين، السودانيون للتعاطف مع المقاومة الإثيوبية ودعمها. وعندما دخلت بريطانيا الحرب وقف كل الشعب السوداني من خلف قوة دفاع السودان التي قامت بدور كبير فى طرد الإيطاليين وإرجاع الإمبراطور هيلاسلاسي إلى عاصمة ملكه، ولم يشعر السودانيون بتناقض بين حربهم ضد الاستعمار الإيطالي وخضوعهم للاستعمار البريطاني.

ومثل اشتراك قوة دفاع السودان فى الحرب مرحلة فاصلة فى تاريخ السودان بجوانبه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كافة.

وتركت فترة المقاومة وحرب التحرير آثاراً متعددة على علاقة الإمبراطور وكبار مساعديه بالشعب السودانى وزعمائه السياسيين، كما كان للمقاومين الإثيوبيين الذين لجأو إلى السودان وتدربوا بأرضه دوراً كبيراً فى الحياة السياسية بإثيوبيا بعد التحرير.

(1) موضوع البحث
يتناول هذا البحث الدور السوداني في تحرير إثيوبيا وإرجاع الإمبراطور هيلاسلاسي إلى عرشه 1935 – 1941م، وهو ينصب على دور السودانيين السياسي عبر المثقفين وتنظيمهم آنذاك مؤتمر الخريجين، وصحفهم وزعمائهم وقادتهم في دعم وإيواء المقاومة الإثيوبية وأيضاً الدور العسكري الذي قامت به قوة دفاع السودان في طرد الإيطاليين من إريتريا وإثيوبيا وإرجاع الإمبراطور إلى عرشه في أديس أبابا.
ورغم أن حملة تحرير إثيوبيا انطلقت من السودان ومن كينيا، إلا أن هذا البحث معنى بالحملة التي انطلقت من السودان. كما أنه ينحصر زمنياً في فترة الغزو والمقاومة والتحرير وهي بين عامي 1935 و 1941م رغم أن مقدمات الحدث وآثاره وذيوله تتجاوز هذه الفترة بداية ونهاية.
(2) أهمية البحث:
أ / رغم ما بين السودان وإثيوبيا من علائق عميقة ومتعددة منذ أن ربطتهما الجغرافيا وخلقت بينهما تاريخاً مشتركاً، فإن مسيرة هذا التاريخ وأحداثه خاصة في النصف الأول من القرن العشرين ظلت بعيدة عن الدراسة والبحث عدا النذر اليسير، وظل تاريخ علاقة البلدين يكتب في إثيوبيا من قبل الأكاديميين والمؤرخين الغربيين أو تحت تأثيرهم ونظرتهم لهذه العلاقة، وبالمقابل فإن العلاقة مع إثيوبيا لم تجد قدرها الكافي وسط الباحثين والدارسين السودانيين الذين ظلت مصر لفترة طويلة قبلتهم ومحط الاهتمام.
ب / وتزامن قيام وبروز دولة إثيوبيا الحديثة على يد الإمبراطور منليك الثاني (1889–1913) مع نهاية دولة المهدية بالسودان على يد الاستعمار البريطاني ونشوء الحكم الثنائي (الإنجليزي المصري) الذي ترك آثاراً مهمة على مستقبل السودان وعلى علاقته بإثيوبيا خاصة فيما يتعلق بقضايا الحدود ومياه النيل.
ج / لقد مرت علاقة البلدين في التاريخ الحديث بأطوار كثيرة من الشد والجذب، والتعاون والتوتر الذي وصل أحياناً مرحلة المواجهة العسكرية، ولكن فترة الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا مثلت فاصلة في هذه العلاقات بحكم اتفاق الشعبين ضد الإيطاليين الذين احتلوا إثيوبيا وتقدموا نحو السودان واحتلوا بالفعل عدداً من مدنه الحدودية، وتميزت تلك الفترة باحتضان السودان للمقاومة الإثيوبية ودعمها وبتأييد الإمبراطور هيلاسلاسي الذي أقام بالسودان لنصف عام قبل دخوله بلاده في معية كتائب سودانية وأخرى إثيوبية.

د / ورغم تفرد تلك الأحداث ودقة الأوضاع والعلاقات بين البلدين حينهـا، وبينهمـا وبين الدول الأوروبية الاستعمارية، والدور الذي قام به السودان من أجل تحرير إثيوبيا وإرتريا وعودة الإمبراطور لعرشه، إلا أنها لم تجد حظها مـن الدراسـة والبحث والتحليل ومحاولة الوقوف على خلفيات المناصرة السودانية سياسـياً وعسكرياً لإثيوبيا وعلى مغزى لجـوء الإثيـوبيين شـعبياً ورسـمياً للـسودان والإنطلاق منه لتحرير بلادهم رغم مجاورتهم لعدد من البلاد الأخرى، كما لـم تُدرس وتُحلل الآثار التي تركتها تلك الفترة على علاقة البلدين فيما بعد.

وبلا شك إن دراسة فترة الاحتلال الإيطالي وحملة التحرير ودور السودان فيهـا مفيدة في تفسير الكثير من الأحداث اللاحقة ومعرفة النسق الذي سـارت عليـه هذه العلاقة والتأثيرات التي اكتنفتها.

هـ / وغنى عن القول إن ظاهرة اللجوء السياسي واللجوء لأسـباب اقتـصادية أو أمنية بين البلدين تكررت في الحقب اللاحقة وهي إحدى النتائج والآثار المترتبة على الحدث الذي يتناوله هذا البحث.

و / وتنبع أهمية هذا البحث في تقديري من أنه يعطي تفسيراً لكثير مـن الأحـداث والمواقف والسياسات التي اكتنفت علاقة البلدين مع بعضهما ومع دول الإقلـيم وفي العالم المحيط بهما، كما أنه يوضح نسق هذه العلاقة في كثير من جوانبها، فمنذ ذلك الحين أصبح السودان ملجأ وملاذاً للإثيوبيين الهـاربين مـن الـضيق السياسي أو الاقتصادي، كما استفادت الأحزاب السياسية السودانية وقادتها مـن العلاقة التي توثقت مع الإمبراطور بالـسودان عنـدما اضـطرتهم الظـروف السياسية للجوء. إلى إثيوبيا، وشكل اللاجئون والمنفيون الإثيوبيـون بالـسودان جزءاً أساسياً من الطبقة السياسية والعسكرية التي حكمت بعد التحريـر، وكـان لهم تأثيرهم على علاقة البلدين، كما كان للمنفيون السابقون بالقدس أيضاً تـأثيراً على علاقة إثيوبيا بإسرائيل.

ز / وقبل هذا، فإن البحث يُسلط الضوء علـى جانـب مهـم مـن حقبـة التـسابق الاستعماري وآثارها التي تركتها على بلدان وشعوب المنطقة ويوضـح بجـلاء النظرة الاستعمارية الضيقة وسياسة تقاسم المصالح والأدوار التي اتبعتهـا تلـك الدول.

ح / كما أن هناك أهمية أخرى لهذا البحث تتمثل في تتبـع جـذور مولـد الجـيش السوداني والأوضاع التي نشأ فيها وتقييم تجاربه الأولى في سوح الحرب.

(3) أهـداف البحـث:

أ/ يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء والكشف عن الدور السوداني في تحرير إثيوبيا بجوانبه السياسية والعسكرية كافة.

ب/ كما يسعى لإدارك أسباب ومنطلقات موقف السودانيين من التصدي للخطر الإيطالي ودعم الإثيوبيين لتحرير بلادهم رغم أن السودانيين أنفسهم كانوا تحت الاستعمار البريطاني.

ج/ ويطمح الباحث للإحاطة بتأثيرات مشاركة السودان في الحرب ضد الإيطاليين على مجمل تطورات مستقبل السودان السياسي والاقتصادي خاصة ما يتعلق منها ببداية النشاط السياسي المطالب بالاستقلال.

د/ ويستهدف البحث أيضاً تبيان العلاقة بين مشاركة قوة دفاع السودان في الحرب وتطور هذه القوة وتقدمها وصولاً لاستيلاء قادتها على السلطة في 1958م وتأثير مشاركتهم في الحرب على علاقتهم بالإمبراطور هيلاسلاسي.

هـ/ كذلك يهدف الباحث لمعرفة تأثير دور السودان في حرب التحرير على علاقة الإمبراطور هيلاسلاسي اللاحقة بالسودان والقوى السياسية فيه.

و/ ويهدف البحث لإظهار الدور آذى قامت به قيادات المقاومة الإثيوبية التي ارتبطت بالسودان في مستقبل الحياة السياسية بإثيوبيا عامة وعلاقاتها بالسودان خاصة.

ز/ وأخيراً يريد الباحث أن يوضح الأثر الذي تركه الغزو والاحتلال الإيطالي على مستقبل إثيوبيا وعلاقتها بالدول الكبرى.

(4) مشكلـة البحـث

ظلت العلاقة بين السودان وإثيوبيا موضع للتوتر بل وللحروب أحياناً، ومثلت فترة حكم الإمبراطور هيلاسلاسي استثناء – لحد كبير – في مسيرة هذه العلاقة، حيث ارتبط بعلاقات جيدة في معظم فترات حكمه مع السودان. ولتبيان وتوضيح أسباب ذلك كان لابد من دراسة أهم المراحل المفصلية في علاقته بالسودان وهي فترة وجوده فيه وتنظيمه للمقاومة وحرب التحرير وهو ما يُشكل مشكلة هذا البحث أي الكشف عن حقيقة الدور السوداني في حرب تحرير إثيوبيا وآثار ذلك على علاقة البلدين اللاحقة وهي ما يسعى هذا البحث للنظر فيه وتحليله بما يعطى مؤشرات ونتائج للعلاقات في الفترة الماضية ويفسر لنا بعض جوانبها وينير ويستكشف دروب هذه العلاقة مستقبلاً.

(5) أسئلـــة البحـــث:

1/ ما هو أثر التسابق الأوروبي على مستقبل إثيوبيا؟

أ/ هل هنالك علاقة بين هزيمة الإيطاليين فى "عدوا" واحتلال السودان من قبـــل بريطانيا؟

ب/ هل كان لتعويل هيلاسلاسي على الحماية الخارجية دوراً فى تزايد الأطماع الإيطالية ببلاده؟

ج/ ما هى العلاقة بين الأوضاع السياسية والاقتصادية الدوليـــة بعـــد الحـــرب العالمية الأولى والأطماع الإيطالية فى شرق إفريقيا؟

د / كيف أسهمت أطماع الدول الأوروبية الكبرى فـــى وقـــوع إثيوبيـــا فريـــسة للإيطاليين؟

2/ لماذا انهزمت إثيوبيا أمام إيطاليا رغم انتصارها علها سابقاً فى معركة "عدوا"؟

أ/ ما هو دور عصبة الأمم فى منع الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا؟

ب/ هل كان للتغييرات التي أحدثها هيلاسلاسي تأثيراً سالباً علـــى صـــمود بلاده أمام الغزو الإيطالي؟

ج/ ما هو أثر خروج الإمبراطور للمنفى على المقاومة الإثيوبية؟

د / ما هى الأصداء العالمية التي أثارها احتلال إيطاليا لإثيوبيا؟

3/ ما هو موقف السودانيين من الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا؟

أ / هل كان موقف الشعب السوداني مختلفاً عن موقف الحكومة البريطانية؟

ب/ ما هو موقف الحكومة البريطانية من الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا؟

ج/ لماذا تعاطف السودانيون مع المقاومة الإثيوبية ودعموها؟

د / كيف تمكنت قوة دفاع السودان من احتواء الخطر الإيطالي علـــى الحـــدود الشرقية؟

4/ ما هو دور السودان فى تحرير إثيوبيا؟

أ/ كيف دخلت قوة دفاع السودان الحرب؟

ب/ ما هو أثر وجود الإمبراطور هيلاسلاسي بالسودان على المقاومـــة وعلـــى علاقته بالسودان؟

ج/ هل كان لقوة دفاع السودان دوراً متميزاً فى الحرب ضد الإيطاليين؟

د/ ما هى الآثار الداخلية والخارجية لاشتراك السودان فى الحرب؟

5/ ما هى آثار حرب التحرير على مستقبل إثيوبيا؟
أ/ ما هى آثار الاحتلال والمقاومة على الوضع الداخلي؟
ب/ كيف بنت إثيوبيا علاقتها بعد التحرير مع الخارج؟
ج/ ما هو دور الطبقة الإثيوبية التي ارتبطت بالسودان خلال فترة المقاومة فى علاقة البلدين؟
د/ ما هو دور القوى السودانية السياسية والعسكرية التي ارتبطت بالإمبراطور خلال فترة وجوده بالسودان وحرب التحرير على البلدين؟
هـ/ هل كان للمنفيون الأثيوبيون بالقدس خلال فترة الاحتلال أثر على علاقة إسرائيل بإثيوبيا؟

(6) أهم المصادر والمراجع

أ / بما أن المنهج المناسب والمختار لهذا البحث هو المنهج التاريخي، فقد ركزتُ على الوثائق التي تغطي فترة البحث وموضوعه خاصة الوثائق البريطانية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، والتي تغطي عدة جوانب منها موقف الحكومة البريطانية فى لندن وإدارتها بالسودان، والوثائق عن نشاط المقاومة الإثيوبية بالداخل وبالسودان، إضافة إلى تقارير المخابرات البريطانية المنتظمة من أديس أبابا عن الأوضاع الداخلية بإثيوبيا فى الفترة السابقة للغزو الإيطالي، وأخيراً الوثائق البريطانية التي تغطي مشاكل ومعالجات قضايا الحدود بين السودان وإثيوبيا ومياه النيل.

ب/ واستعنت أيضا بالمقابلات لسد جزءاً من جوانب البحث خاصة ما يتعلق منه بالوجود الأثيوبي بالسودان ودعم المقاومة وفترة بقاء هيلاسلاسي بالسودان ونشاطه في تجميع اللاجئين الإثيوبيين والمقاومين وعلاقاته بالزعماء والرموز السودانية آنذاك.

ج / إضافة إلى المعلومات الوفيرة التي وجدتها بعدد من البحوث والرسائل الجامعية – غير المنشورة – خاصة بمركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة.

د/ كما استعنت بطائفة من المراجع العربية والإنجليزية الصادرة بالسودان وأوروبا وإثيوبيا من كتب وإصدارات رسمية ومقالات وصحف غطت فترة الاحتلال

والمقاومة وما بعدها، إضافة إلى عدد من المواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات " الإنترنت" .

(7) الدراسات السابقة:

ورغم وفرة الكتابات والمراجع باللغة الإنجليزية عن فترة الاحتلال الإيطالي وحملة التحرير والتي كانت معظمها مذكرات للضباط البريطانيين الذين اشتركوا فى الحرب، إلا أن كل هذه الكتابات وقعت فى الخطأ نفسه بإغفال وتهميش أي ذكر لدور السودان وجهوده وتضحيات جنوده خلال حرب التحرير، وإن كانت هناك إشارات متفرقة وقليلة في بعض الدراسات والكتابات الإثيوبية، إلا أنني لم أعثر على أي بحث أو دراسة إثيوبية انصرفت أو انحصرت فى هذا الموضوع رغم أهميته.

أما الكتابات السودانية، فقد سجل عدد من ضباط قوة دفاع السودان مذكراتهم عن الحرب، ولكن معظم هذه المذكرات والتي لم تطبع، فُقِدت من إدارة البحوث العسكرية ولم أجد لها أثراً رغم بحثي المضني عنها ومن أهم الدراسات السابقة التي استعنت بها:-

(1) محمد عثمان أحمد:

"قوة دفاع السودان-دورها وآثار اشتراكها فى الحرب العالمية الثانية " 1990م.

ومؤلفه عقيد طيار بالجيش السوداني، وهو كتاب يؤرخ لقوة دفاع السودان وتصديها للهجوم الإيطالي واشتراكها فى معارك إفريقيا الشرقية وبشمال إفريقيا إبان الحرب العالمية الثانية وآثار ذلك على الجوانب السياسية والاقتصادية بالسودان. وقد أعتمد المؤلف فى كتابه- الذي هو أصلاً رسالة لنيل درجة الماجستير – على مذكرات ضباط قوة دفاع السودان ومقابلات مع عدد منهم إضافة إلى الوثائق الموجودة بدار الوثائق المركزية بالخرطوم.

(2) محمد خير البدوي :

" مواقف وبطولات سودانية فى الحرب العالمية الثانية"1992م.

ركز هذا الكتاب على بسالة وشجاعة الجندي السوداني خلال معارك الحرب العالمية الثانية فجاء أشبه بالقصة المثيرة أو الرواية المشوقة، ورغم لغة الحماس والأسلوب القصصي الذي يجمع بين الفكاهة والجد، إلا أن المؤلف استعان بكم لا

يستهان به من المصادر والمراجع خاصة الوثائق البريطانية أعطت سفره مصداقية.

(3) Anthony Mockler:
" **HAILESELASSIE'S WAR -THE ITALIAN - ETHIOPIAN CAMPAIGN 1935-1941" 1984.**

ويقدم هذا الكتاب تغطية شاملة لفترة الغزو والاحتلال الإيطالي، ثم للمقاومة والانتصار على الإيطاليين، ويتميز بإيراده تفاصيل دقيقة عن الشخصيات والأماكن والأحداث التي أثرت في إثيوبيا إبان تلك المرحلة، كما يعطي الكتاب الدارس والقارئ خلفية غنية عن الزعامات والبيوت الحاكمة بإثيوبيا، إضافة إلى سرده التفصيلي لسير المعارك والأحداث إبتداءاً من حادثة "وال وال" إلى انتهاء الحرب ورجوع الإمبراطور لملكه والسيرة الذاتية لأبرز النبلاء وقادة المقاومة والمنفيين بالخارج وأفراد البلاط الإمبراطوري.

(4) Bahru Zewde:
"A **HISTORY OF MODERN ETHIOPIA 1855 -1991"**

وتعتبر هذه الدراسة مرجعاً أساسياً لأي باحث أو مهتم بالتاريخ الإثيوبي الحديث، وتميزت بالشمول والتركيز، حيث تناولت التاريخ الإثيوبي إبتداءاً من الإمبراطور ثيودورس وحتى النظام الحاكم حالياً، كما تقدم الرؤية والتفسير الإثيوبي للأحداث والوقائع - ورغم أنها لا تضيف الكثير عن الدور السوداني في تحرير إثيوبيا، إلا أنها قدمت شرحاً وافياً وصورة كاملة عن النظام الإمبراطوري بإثيوبيا خاصة خلال فترة هيلاسلاسي وتفصيلاً عن حركة المقاومة والآثار التي لحقت بالحكم ومجمل الحياة السياسية جراء مرحلة الاحتلال وحرب التحرير.

(5) Harold G. Marcus:
" **HAILE SELASSIE1–THE FORMATIVE YEARS 1892-1936** " 1987

وينحصر هذا الكتاب في تقديم سيرة حياة الإمبراطور هيلاسلاسي منذ مولده وحتى الاحتلال الإيطالي، بالتركيز على المحطات الهامة في حياته ومسيرته نحو العرش، من قائد إلى ملك وولي عرش إلى أن أصبح إمبراطوراً، كذلك

يقدم الكتاب لمحة عن سياساته الداخلية خلال الفترة القصيرة التي حكم فيها إثيوبيا قبل الاحتلال الإيطالي إضافة إلى اهتماماته الخارجية وحرصه على تمتين علاقاته بأوروبا.

(6) Haile Selassie I:
<u>"MY LIFE AND ETHIOPIA'S PROGRESS"</u> VOLUM ONE AND TWO.

ويقدم الإمبراطور هيلاسلاسي في كتاب.سيرته الذاتية ومذكراته سرداً شاملاً لمولده ونشأته وترقياته على سلم الحكم، وزياراته لأوروبا، وإنجازاته خلال الفترة التي تولى فيها وصاية العرش، ثم بعد أن تُوج ملكاً، إضافة إلى رؤيته لتطورات الأزمة مع إيطاليا وتقويمه لمعالجة عصبة الأمم لها وصولاً ليوميات الغزو وحياته بالمنفى وعلاقاته مع المقاومة بالداخل والرسائل التي وصلته من قادة وزعماء المقاومة، ثم رحلة عودته ومسار حملة التحرير حتى دخوله أديس أبابا. وتقدم السيرة الذاتية للإمبراطور هيلاسلاسي الكثير من المعلومات عن وجود المقاومة الإثيوبية بالسودان ودور السودانيين في دعمها وتأييدها.

(7) صلاح الدين إبراهيم محمد زكي :
<u>" الاستعمار الإيطالي في الحبشة في الفترة من 1935 الى 1941م"</u> 1983م

وركزت هذه الدراسة على مرحلة الاستعمار الإيطالي إبتداءاً من نشوب النزاع بين إيطاليا وإثيوبيا وأسبابه والمراحل التي تدرج عليها حتى مرحلة الغزو والاحتلال، مع تفصيل للنظام الذي أقامه الإيطاليون بإثيوبيا والجوانب الاقتصادية والاجتماعية للإثيوبيون تحت الاحتلال، ونشاط المقاومة خاصة بالسودان والتأييد السوداني لها حتى هزيمة الإيطاليين.

(8) مكرم سويحة بخيت :
<u>" إثيوبيا في عصر الإمبراطور هيلاسلاسي الأول 1930 – 1974م"</u> 1988م.

وتقدم هذه الدراسة مسحاً شاملاً لفترة حكم هيلاسلاسي بما في ذلك فترة الاحتلال والمنفى والمقاومة، وتحليلاً لنظام الحكم الذي أقامه وتقييم للسلطات التشريعية

والتنفيذية والقضائية على ضوء ما ورد في دستوري 1931 و 1955، إضـــافة إلى تقديم ملامح للأوضاع الاقتصادية والحالة الاجتماعية في عهــده وسياســته الخارجية وحتى انتهاء نظامه.

(9) جمال محمد السيد ضلع:

" <u>النظام السياسي الإثيوبي منذ عام 1960</u>" 1997م

وتعطي هذه الدراسة مقارنة بين نظـــام الإمبراطـــور هيلاسلاســـي والنظـــامين الآخرين اللذين أعقباه بالتركيز على خصائص كل نظـــام مـــن نـــواحي البيئـــة السياسية والمؤسسات التي أقامها والاتجاهات السياسية أو الأحزاب التي أنشأها.

(10) عمر محمد أحمد عبد الرحمن:

<u>معركة عدوا وآثارها على الصراع الاستعماري فـــي شـــرق إفريقيـــا 1896-1935م</u>".

وتعتبر هذه الدراسة مرجعاً هاماً للمهتمين والدارسين لحقبة الصراع الاستعماري بشرق إفريقيا وآثاره، حيث تناولت بدايات الاهتمام والوجود الإيطالي بالمنطقـــة، وتطور العلاقات الإيطالية الحبشية قبل معركة عدوه، وكذلك علاقـــة الأحبـــاش بالمهدية والتسابق الأوروبي على المنطقة بعد مؤتمر برلين، والسرد التفـــصيلي للمعركة إبتداءاً من الإعداد لها ومقدماتها ووقائعها ثم نتائج المعركـــة وآثارهـــا على الحبشة وعلاقاتها بجيرانها وبالدول الأوروبية وصـــولاً للغـــزو الإيطـــالي للحبشة في 1935م.

وهنالك الكثير من المصادر والمراجع الأخرى التي تناولت موضوع البحـــث أو جانباً منه، وقد أبنتها في قائمة المصادر والمراجع في نهاية هذا البحث

<u>(8) منهج البحث:</u>

أستخدم في هذا البحث المنهج التاريخي من أجل حـــل عقـــدة البحـــث ومعرفـــة محددات ومؤثرات علاقة الإمبراطور بالسودان وحجم الدور الـــذي لعبـــه الـــسودان خلال مرحلة الاحتلال والمقاومة الإثيوبية للإيطاليين في هذه العلاقـــة. كمـــا يثبـــت البحث عبر هذا المنهج وبعد جمع المعلومات والأدلة حقائق محددة عن دور الزعماء والقادة والطبقة المثقفة من السياسيين والعسكريين من كلا البلدين الذين جمعت بيـــنهم

عمليات المقاومة وحرب التحرير ولجوء الإمبراطور للسودان فى الفترات اللاحقة للعلاقات الثنائية بين البلدين.

(9) هيكل البحث:

وقد جاء هذا البحث فى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وبكل فصل عدد من المباحث.

الفصل الأول:

تناول الفصل الأول الأوضاع بالبلدين فى أعقاب معركتي عدوه وكرري مع خواتيم القرن التاسع عشر وعلاقتهما المشتركة بالتركيز على الأحداث والتطورات التي اكتنفت الصراع على خلافة الإمبراطور منليك وصعود هيلاسلاسي للحكم وأبرز مجالات التعاون الثنائي آنذاك بين البلدين خاصة فى ما يتعلق بالتجارة ومياه النيل وضبط مشاكل الحدود .

الفصل الثاني:

وأنصب الفصل الثانى على مرحلة الغزو الإيطالي لإثيوبيا بخلفية عن الأطماع الإيطالية فى إثيوبيا، والتناول الدولي للخلاف بين إثيوبيا وإيطاليا عبر ما عُرف ب "المسألة الحبشية" وصولاً لمرحلة الغزو العسكري وفترة الاحتلال التي استمرت خمسة أعوام والمقاومة التي أشعلها الإثيوبيون، كما تعرض هذا الفصل لنشاط الإمبراطور هيلاسلاسي من منفاه ببريطانيا وخطاباته التي ألقاها أمام عصبة الأمم وما أحدثته من آثار وسط الأوروبيين والأصداء العالمية التي أثارها الاحتلال خاصة بين الزنوج والأفارقة بأوروبا وأمريكا وحملاتهم للتضامن مع المقاومة الإثيوبية والدعم الذي قدموه لها.

الفصل الثالث:

وفى الفصل الثالث، تناول البحث تعرض السودان لخطر الاحتلال من قبل الإيطاليين الذين كانوا يحلمون بربط مستعمراتهم فى شرق وشمال القارة، وموقف الشعب السوداني من هذا الخطر، والسياسة التي أتبعتها الإدارة البريطانية فى السودان آنذاك، إضافة إلى التطور الذي حدث فى الموقفين الرسم والشعبي بعد انضمام إيطاليا لألمانيا وإعلانها الحرب على دول الحلفاء، والزحف الإيطالي نحو السودان واحتلال مدن " قرورة، كسلا، القلابات والكرمك"، ودور الحكومة وقوة دفاع السودان فى احتواء الهجوم الإيطالي إلى حين وصول تعزيزات قوات الحلفاء، كما تعرض هذا الفصل إلى وجود المقاومة الإثيوبية بالسودان والدور السياسي والعسكري الذي قام به السودانيون فى دعم تلك المقاومة، رغم عدم ترحيب وربما

ضيق السلطات البريطانية بمثل هذه التحركات خاصة وسط المثقفين عبر تنظيمهم المعروف آنذاك ب" مؤتمر الخريجين".

الفصل الرابع:

وقد تناول هذا الفصل تطور قوة دفاع السودان عُدةً وعتاداً استعدادا لمرحلة طرد الإيطاليين من شرق إفريقيا، وفترة إقامة الإمبراطور بالسودان والتي امتدت لسبعة أشهر قبل دخوله بلاده ضمن حملة التحرير، وجانب من نشاطه السياسي في تنظيم المقاومة ولقاءاته مع المسئولين البريطانيين والزعماء السودانيين. ثم تفاصيل حملة تحرير إرتريا وشمال إثيوبيا ودور قوة دفاع السودان فيها خاصة معركة "كرن" وتفاصيل حملة تحرير غرب إثيوبيا وجهود القوات السودانية خلالها حتى أوصلت الإمبراطور إلى عاصمته.

الفصل الخامس:

ويتعرض البحث فى الفصل الخامس والأخير، للآثار والنتائج التي رتبتها مرحلة حرب التحرير والمقاومة على مستقبل إثيوبيا داخلياً وخارجياً وخاصة علاقتها بالسودان والدور الذي قامت به النخبة الإثيوبية التي ارتبطت بالسودان أيام المنفى والمقاومة فى مستقبل إثيوبيا السياسي ودور النخب والقوى السياسية التي تعرفت على الإمبراطور بالسودان فى الفترات اللاحقة من علاقات البلدين.

الخاتمة:

وفي خاتمة البحث أبرزت باختصار النقاط الهامة التي أثارها البحث والتطور العام للأحداث وضمنتها النتائج التي خلصت إليها والتوصيات التي اعتقد أنها تولدت عن البحث.

(10) أبرز عقبات البحث:

ومن العقبات التي واجهتني فى إعداد هذا البحث ندرة المصادر والمراجع السودانية عن أحداث تلك الفترة وإغفال معظم المصادر والمراجع الأجنبية لدور السودان ومواقفه من المقاومة وحرب التحرير، إضافة إلى فقدان المذكرات غير المنشورة لضباط قوة دفاع السودان من فرع البحوث العسكرية وصعوبة الاضطلاع على الصحف اليومية السودانية الصادرة فى تلك الفترة وما إلى ذلك من إحجام بعض بيوت الزعماء والقادة الذين ارتبطوا بموضوعات البحث عن كشف واضطلاع الباحث عما بحوزتهم من وثائق ومذكرات ومتعلقات بموضوع البحث.

الفصل الأول

حصاد معركتي عدوه وكرري

(1) استعمار السودان واستقلال إثيوبيا.

(2) العلاقة بين البلدين فى الثلث الأول من القرن العشرين.

(3) الصراع على خلافة منليك.

(4) إياسو والحكم المجهض.

(5) هيلاسلاسي والصعود للحكم .

(6) سياستة الخارجية.

(1) إستعمار السودان وإستقلال إثيوبيا:-

أدت معركة عدوا بين منليك والإيطاليين في الأول من مارس 1896م لإسراع بريطانيا في الزحف نحو أم درمان حتى وصلتها وهزمت الخليفة عبد الله في معركة كرري في 2 سبتمبر 1898م منهية بذلك حكمه.
وكانت هزيمة الإيطاليين فى عدوا قد أدت لزيادة ضغوط المهديين على الحامية الإيطالية فى كسلا كما هددت بإحتمال انتصار قوى أفريقية أخرى على الدولة الأوروبية المنهزمة فى عدوا. (1)

وبينما عززت عدوا إستقلال الحبشة ومثلت علامة فارقة في تاريخها الحديث، أدت كرري لوضع السودان تحت الاحتلال البريطاني المتدثر بغطاء المشاركة المصرية عبر ما عُرف باتفاقية الحكم الثنائى (ينـاير 1899م) والتي أعطت المصريين وجوداً اسمياً تمثل في مشاركة وحدات من قواتهم العسكرية وبعض صغار الموظفين في الجهاز الإداري الذي أقامه البريطانيون. ورغم أن حملة الاحتلال مُولت من الخزينة المصرية إلا أن بريطانيا فرضت نفسها في إحتلال السودان وحكمه لأكثر من نصف قرن لأنها كانت تحتل مصر عسكرياً وتديرها دبلوماسياً بواسطة مندوبها السامي اللورد كرومر ولم يأت ذكر لمسألة السيادة على السودان التي كانت اسمياً للسلطان العثماني.(2)

وضعت اتفاقية الحكم الثنائى السودان تحت الأحكام العرفية وأعطت الحاكم العام (الذي يعينه خديويها) سلطات واسعة وإستقلالاً تاماً عن مصر ، وألحقت شؤون السودان والإشراف على إدارته بوزارة الخارجية البريطانية وليست وزارة المستعمرات كخطوة شكلية لتأكيد ثنائية الحكم .

أسند منصب الحاكم العام وكبار مساعديه في الفترة الأولي للحكم البريطاني (1899 – 1916م) للقادة العسكريين الذين قادوا جيش الاحتلال وحتى بعد استبدالهم بمدنيين بريطانيين كان الحاكم العام هو أيضاً القائد العسكري، غير أن طغيان الحكام العسكريين ومساعديهم الضباط الذين أصبحوا مديرين للمديريات لم ينه حركة المقاومة والثورة وإن إتخذت هذه المقاومة طابع التشتت والانعزال وعدم التنسيق وكانت في مجملها حركات دينية وقبلية، فمن قادتها من أدعى أنه

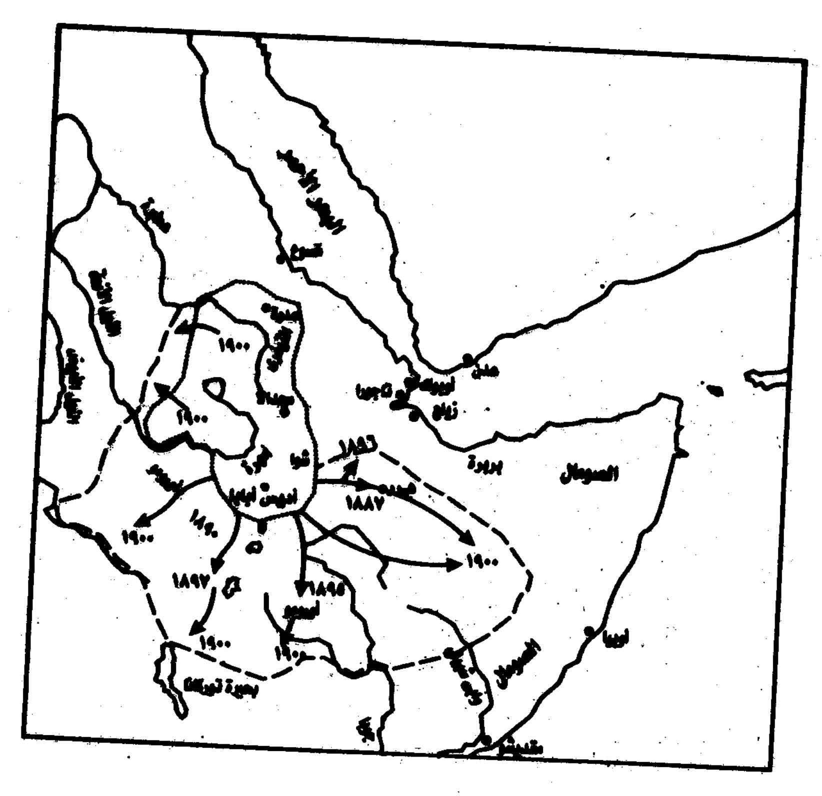
المهدي المنتظر أو نبي الله عيسي، وقد قوبلت جميع هذه الحركات بقسوة بالغـة وأعدم معظم قادتها.

وتركزت المقاومة القبلية في جبال النوبة وفي جنوب السودان خصوصاً من قبلية النوير، وعملت الإدارة البريطانية على كسب ولاء زعماء القبائل وعلماء الدين وأخذت في إعداد بعض السودانيين وتعليمهم ليساعدوا في الإدارة وبالتالي في تقليصه بالتالي الوجود المصري في درجات الإدارة الدنيا وهو ما تحقق لها بالكامل في 1924م بعد ظهور الشعور الوطني والوعي القومي وسط الطبقة السودانية المتعلمة المدنية والعسكرية والمتأثرة بالحركة الوطنية المصرية.(3).
في المجال الإقتصادي - ومثل كل السياسات التي فرضتها القوى الاستعمارية على مستعمراتها - أرادت بريطانيا السودان مصدراً للموارد الخام وسوقاً لمنتجاتها، فعملت على تطوير المحاصيل الزراعية خاصة القطن وأنشأت لذلك عُدة مشاريع أهمها مشروع الجزيرة وأصدرت في 1925م قانوناً إعتبرت فيه كل الأراضي غير المسجلة ملكاً للدولة. وأنشأت خزان سنار لتنظيم الري في مشروع الجزيرة، ووفر القطن عائداً كبيراً لميزانية الحكومة حيث أصبح يشكل 40% من دخلها ولبى إحتياجات مصانع النسيج البريطانية بعد ارتفاع الطلب العالمي عليه، وترك مشروع الجزيرة آثاراً كبيرة على الاقتصاد والمجتمع السوداني حيث بدأت تدخله رؤوس الأموال الأجنبية وفتح فرص عمل كبيرة للمزارعين وعمال الرى الذين تحسن مستواهم المعيشي، ومدت خطوط السكة الحديد بين مناطق الإنتاج وميناء بورتسودان ونقلت عبرها في عام 1935م 200 ألف طن من الصادرات و222 ألف من الواردات و400 ألف طن من البضائع الداخلية إضافة إلي 800 ألف مسافر.
أنشأت الحكومة خطوطاً للملاحة النهرية رغم عوائق الشلالات على النيل وشبكة من خطوط التلغراف كما عممت التلفونات معظم أنحاء السودان، وطورت نظام البريد حتى وصل عدد الرسائل المتداولة عبره في 1939م إلي 21 مليون رسالة، لكن الطرق البرية لم تجد حظاً مماثلاً ربما بسبب الظروف الطبيعية وقلة السكان مع كِبر المساحة.(4)

ورغم إعتماد تجارة السودان في تلك الفترة على المحاصيل الزراعية فقط إلا أنها قفزت قفزات كبيرة من 271 ألف جنيه في 1901م إلي أكثر من 13 مليون

جنيه عام 1929م وكانت صادرات السودان تتكون أساساً من القطـــن والـــصمغ والحبوب الزيتية والثروة الحيوانية، وكانت الـــواردات تنحـــصر فـــي المـــواد الإستهلاكية مثل السكر والدقيق والأقمشة والمواد البترولية، وأخـــذت الـــشركات العالمية وخاصة البريطانية نصيب الأسد من هذه التجارة.

رغم إدخال بريطانيا النظم الحديثة فى التعليم إلا أنها كانت مترددة بين توســيعه لخدمة السودانيين وخدمة جهازها الإداري وبين تجحيمه مخافة آثاره على وعـــى وفكر الطبقة التى ستنشأ بسببه، لم تتعد ميزانية التعليم 2.3% حتـــى منتـــصف ثلاثينات القرن العشرين، ولم يتجاوز عدد المدارس الأوليـــة فـــي عـــام 1939م 106 مدارس بها 15.519 طالباً إضافة إلي 6 مدارس وسطى بها 2027 طالبـــاً و 3 مدارس ثانوية بها نحو ألف طالب وإقتصر التعليم العالي على كلية غردون التي كانت بها أقسام للطب والقانون ثم أضـــيفت البيطـــرة والزراعـــة والعلـــوم والآداب، ولم يكن طلاب كل قسم يتجاوزون أصابع اليدين. وفي المقابل وصـــل الصرف على الخدمات الصحية في الفترة نفسها إلي 6% وبلغ عدد الذين تلقـــوا الخدمات الصحية بالمستشفيات والعيادات الخارجية أكثر من 7 ملايين شـــخص، كما بلغ عدد المستشفيات في عام 1935م 33 مستشفى بهـــا 4129 ســـريراً و 227 شفخانة يعمل بها 105 من الأطباء أكثر من نصفهم من السودانيين.(5)



الحدود التقريبية لإمبراطورية إثيوبيا في سنة ١٨٨٠م

الحدود التقريبية للغزو الذي قام به الإمبراطور منيليك الثاني بين ١٨٨١ و١٩٠٧

إتجاهات توسع الدولة مع بيان التواريخ

خريطة رقم (١)

توسع الأراضي الإثيوبية في ظل حكم منيليك الثاني

خرج الإمبراطور منليك من معركة "عدوا" زعيماً منتصراً بلا منافس داخل الحبشة لأول مرة في تاريخها الحديث ومعترفاً به من قبل القوى العالمية آنذاك وقد هرعت تلك القوى لتوقع معه اتفاقيات صداقة وتفتح لها بعثات لتمثيلها في بلاطه، وكان لإنتصار "عدوا" آثاراً كبيرة على مجمل تاريخ الحبشة اللاحق وعلاقاتها الدولية ووضعيتها كثان بلدين أفريقيين – مع ليبريا- نجيا من حقبة الاستعمار. كما مثل هذا الانتصار على الصعيد الداخلي بداية نشوء الحبشة بحدودها الحالية وإكمال حلم التوحد الذي سيطر على فترات حكم من سبقوه خصوصاً الإمبراطورين تيودور ويوهانس، وكان لإنتصار "عدوا" تأثيراً ليس فقط على مستقبل البلاد السياسي والاقتصادي وإنما أيضاً على نفسية الشعب.

حقق منليك فائدة كبيرة من حروب يوهانس مع المصريين والإيطاليين في الشمال، فقد انتهز انصراف يوهانس لمحاربتهم كما حصل منهم على هدايا من الأسلحة مكنته من بدء توسعاته الكبيرة التى بلغت عشرة أضعاف مملكة شوا عندما اعتلى عرشها في 1865م.(6)

كان للتوسع طريقان: إخضاع سلمي أو نصر عسكري، وبدأت طلائعه في المناطق المحيطة بمملكة شوا فإلي الجنوب منها أخضعت عسكرياً قبائل " القورافي" و " الهاديا" في 1887م ثم إتجه منليك غرباً حيث أخضع ولايات الأرومو " جما، والقا" تباعاً في الجنوب الغربي بعد معركة أمبابو في يونيو 1882م، وتحول نحو قبائل" أرسي" جنوب شرق شوا وهزمهم بفضل الأسلحة الحديثة رغم مقاومتهم العنيفة التي إستمرت أربعة أعوام (1882- 1886م) ومنها شرقاً نحو هرر التي أخلاها المصريون في 1885م بعد حكم دام تسع سنوات فدخلها منليك في 6/يناير 1887م بعد عُدة معارك منهياً أربعمائة عام من الحكم الإسلامي المتصل. وفي أبشع حملة عسكرية تم إخضاع ممالك "ولايتا" الجنوبية القوية في 1894م وإرتكبت فيها مذابح قاسية وصفها مؤرخ فرنسي شاهدها قائلاً " كان لدي الإحساس بأني أشاهد نوعاً من الصيد الجهنمي حيث الإنسان بدلاً من الحيوان كان الصيد".(7)

وتكرر المشهد في ولاية كافا والبوران حتى حدود بحيرة رودلف التي أخضعت في 1897م وأسر حاكمها، وفي العام نفسه قاد رأس موكنن حملة على مشيخات بني شنقول وأصوصا وخموشا مستغلاً بداية إنهيار دولة المهدية في

السودان التى كانت تحكم تلك المشيخات، وبعد معركة سريعة في "فادقنو" أسر مشائخ المشيخات الثلاثة وحُجزوا لفترة في أديس أبابا، وفي العام التالي 1898م مد منليك حدوده إلي منطقة نهر أبارو" السوباط" موطن قبائل النوير والأنواك مستغلاً مرافقة قواته للبعثة الفرنسية المتجهة نحو فشودة.(8) وبصورة عامة عاملت جيوش منليك القوميات التي غزتها بقسوة بالغة تفوق كثيراً عنف مقاومتها وحينما كانت المقاومة شاملة جرى بيع القوميات كلها عبيداً وصُودرت أراضيها كافة.(9)

مهدت بريطانيا الطريق للإمبراطور منليك للتمدد شرقاً نحو المناطق التى كانت تحت النفوذ المصري، عندما فرضت على الخديوي إسماعيل وابنه توفيق الانسحاب من هناك تحت ضغط الأزمة المالية.(10)

نال منليك عبر الدبلوماسية المناطق الشاسعة شرق- هرر وحتى حدود الصومال وشمال هرر نحو زيلع عبر المفاوضات مع البريطانيين في 1897م، كما وقع مع الفرنسيين إتفاقاً في العام نفسه تخلوا له بموجبه عن جزء كبير مما عُرف بمحمية أرض الصومال " جيبوتي الحالية"(11). ورغم مقاومة شعوب تلك الأنحاء من صوماليين وعفريين وهررين الذين يوحد بينهم الإسلام ،اكتفت بريطانيا بعد تسليمها تلك المساحات الشاسعة لمنليك بأن طلبت منه " أن يعامل الصوماليون الذين أصبحوا بموجب ترتيبات الحدود، رعايا أثيوبيون، معاملة جيدة". (12)

حصد منليك كل هذه الأراضي الجديدة بما توفر له من زعامة مطلقة خاصة بعد نصره "عدوا" وبما عُرف عنه من ذكاء ودبلوماسية وبما امتلكه من جيش ضخم وأسلحة حديثة، والأهم من ذلك إنه كان يضع حلم الإمبراطورية الموحدة المتسعة كهدف أول له، يظهر ذلك في المنشور الذي عممه عام 1891م على الدول الأوروبية الذى يوضح فيه حدود بلاده متضمنة الكثير من المناطق التي توسع فيها لاحقاً والتي اعترفت بها الدول الأوروبية الكبرى الثلاث عبر اتفاقات الحدود الموقعة معه.(13)

وفى تلك الفترة قاسمت الحبشة الدول الأوروبية الثلاث في الاستحواذ على الأراضي وتقسيم الحدود دون مراعاة لسكان تلك المناطق من نواحي الوحدة العرقيةوطبيعة تحركاتهم وتنقلهم، وهذا ما قاد لاحقاً لتوتر تلك الحدود خاصة على جانبي السودان والصومال.

وقد أدرك البريطانيون أن توسع منليك جنوباً في اتجاه مستعمرتهم بشرق أفريقيا "كينيا الحالية" لن يوقفه إلا سيطرتهم على تلك المناطق ولكن كان ينقصهم المال والجنود فاستعاضوا عن ذلك بتعيين مفوض متجول للحدود ثم وقعوا معه اتفاقية في 1906م فصلت فيها حدوده الجنوبية.

الولايات التي ضُمت حُكمت بنظامين طبقاً لطريقة ضمها، فالتى استسلمت تُرك لحكامها نوع من الحكم الذاتي مقابل جزية سنوية، ومن تلك الولايات: جيما – نكامتى – بني شنقول–أصوصا – أوسا في عفر – وجوبا في قوجام الغربية. أما الولايات التي ضُمت بعد عمليات عسكرية فأسند حكمها إلى القادة العسكريين الذين كان لهم الدور الأكبر في احتلالها. ومن بين فوائد الولايات الجديدة التي ضُمت أنها مثلت مستوطنات مريحة للأمهرا الذين هاجروا من أراضي الهضبة الضيقة والقليلة الإنتاج إلى سهول ووديان المنخفضات في معية الحكم الجديد لها حاملين معهم لغتهم ودينهم فكان أن طبعوا هذه الولايات بثقافتهم ولغتهم الأمهرية وتبعهم القساوسة ينشرون المسيحية الأرثوذكسية.(14)

لم تُشكل هذه المناطق تهديداً جدّياً لحكم منليك وخضعت له بالكامل سوى بعض الاعتراضات أو المقاومة الضعيفة للضرائب التي فُرضت عليها، وحتي في الشمال تمكن منليك من إخماد معارضة التقراي المزعجة بعد أن استسلم له الرأس منقشا أبن الإمبراطور يوهانس وسُجن حتى مات في سجنه (1906م).وكان الاستثناء الوحيد هو نضال محمد عبد الله الحسن (مهدي الصومال) الذي شن مقاومة شرسة ضد الدول الأربع التي تقاسمت أراضي الصومال (إيطاليا، فرنسا، بريطانيا و إثيوبيا) ودخل معهم في معارك متواصلة لأكثر من عشرين عاماً (1897 – 1920م).

كما أن منليك باتفاقه مع الإيطاليين قسم التقراي بين إريتريا والحبشة بعد أن ترك لهم جزءاً كبيراً من المرتفعات التي يسكنها التقراي والتي كان يحكمها الإمبراطور يوهانس. وخدم الحظ منليك أيضاً بوفاة آخر الملوك الكبار الرأس عدال " الملك تكلا هيمنوت" حاكم قوجام، فقسم منليك ولايته إلى ثلاث مقاطعات مقللاً من أهميتها التاريخية.

وعندما أقيم احتفال وعرض عسكري في ذكرى انتصار "عدوا" عام 1902م، كان لدى منليك 600 ألف رجل مسلحين بالبنادق منهم 90 ألف جندي مستديم مزودين بالأسلحة الرشاشة والمدافع، وأشار هذا العرض إلا أن عهد

الثورات الإقليمية قد أفل فلم يكن هناك داخل الحبشة من يستطيع مواجهة أسلحة المدفعية والمدافع سريعة الطلقات.(15)

الولايات الجديدة خاصة التي أحتلت عسكرياً لم يصلها الأمهرا بثقافتهم ودينهم فحسب وإنما أيضاً فرضوا الجزية علـى فلاحيهـا بعـد أن صـُـودرت أراضيهم ووزعت على الكنيسة وكبار الإقطاعيين من النـبلاء والقـادة، وكـان نظام الجزية المسمي "قبار" لايقل عن السخرة وإعتبره البعض "أكثر شـراً مـن الرق"، فالفلاحون تؤخذ منهم نسبة تتروح بين العُشر والربع من إنتاجهم وعليهم إضافة لذلك تزويد الحكام والإداريين والجنود الشماليين بالمؤن وحطب الوقـود وعلف الحيوانات، وعليهم أن يخدموا في أراضي الحاكم أوالدولة، وكـان كـل موظف أو جندي يخصص له عدد من القباريين يتراوح بين 5 إلي 100 حـسب درجته الوظيفية.

وفي كل تلك الولايات كان على الفلاحين إعاشة الجنود في الحاميـات العسكرية بمناطقهم ولم يكن هناك نظام متبع لدفع مرتبات للجنود، وكان الأمهرا القادمون من الشمال ينظرون لرعاياهم " كأناس بدائيين بدون ثقافات وهم كسالي لا تعرف النظافة إليهم سبيلاً ، كما أنهم عدوانيون، وكان العري طبيعتهم وفـي أحسن الأحوال يلبسون جلود المواشي، كما كانوا وثنيون في حاجة إلي معرفـة كلام الله ".(16)

على صعيد الخدمات فقد كان لدى منليك شغف بكل ما هو جديد وبدأ هـذا الشغف بالأسلحة الحديثة ثم تطور لكل التقنيات الأخرى، فعمل على إدخـال الآلات الحديثة وإنشاء المباني والطرق والجسور وأقام نظاماً بريـدياً مكـن الحبـشة مـن الانضمام لاتحاد البريد العالمي في 1906م. أدخل منليك خدمة التلغـراف والتلفـون واستجلب مطبعة حكومية. وفي عهده زودت القصور الملكية بميـاه الـشرب عبـر الأنابيب والكهرباء، كما أصدر أول عملة في 1894م وأنشأ مصنع لسك العملة فـي 1903م وأسس بنك الحبشة في 1905م، وشجع منليك التعليم الذي ارتـبط بالكنيـسة وبدأه المبشرون داخلياً وعن طريق البعثات لأوروبا وكان معظم المتعلمين الأحبـاش الأوائل تحت رعاية المبشرين وفي 1908م أسس أول مدرسة نظاميـة جلـب لهـا المدرسين من أقباط مصر وكانت لغة التدريس هي الفرنسية.(17)

وحرص منليك بشدة على قيام خط السكة الحديد بين جيبـوتي وأديـس أبابا ولكنه لم يشهد اكتماله حيث توفي في 1913م قبل إفتتاحه بـأربع سـنوات،

ولعبت السكة الحديد دوراً كبيراً في ربط الحبشة بالعالم واقتصاده، كما ساعدت في تقليل تكلفة الترحيل وشجعت التجارة الداخلية والخارجية.

وقد نجح الإمبراطور منليك في الاستفادة من نصر "عدوا" لأقصى ما يمكن، ساعده في ذلك حنكته ودبلوماسيته وكانت النتيجة أن أقرت له الدول الأوروبية الكبرى آنذاك بتوسعه والأراضي التي أضافها بسكانها لخريطة بلاده، وقبل أن يهل القرن العشرون كان بلاط الإمبراطور يعج بالبعثات الأجنبية وممثلي الدول والحكومات المقيمة والزائرة من روسيا مروراً بتركيا إلي جميع الدول الأوروبية.(18) كان بعاصمته أكثر من عشرين بعثة ومندوباً أجنبياً معتمدين لديه، كما وقع حتى 1906م ثمانية عشر اتفاقية ومعاهدة منها 6 مع إيطاليا و4 مع بريطانيا و3 مع فرنسا وواحدة مع كل من الولايات المتحدة، المانيا،النمسا، المجر وبلجيكا.

وكان لمنليك سفراء وقناصل فى العديد من الدول وبعث برسله ورسائله بعد نصر عدوا للدول القريبة منه والبعيدة ومن ضمن ذلك مبعوثه للسلطان عبد الحميد فى الاستانة(19) ومبعوثه للخليفة عبد الله التعايشى بأم درمان.(20)

بدأ التمثيل المقيم في 1897م بالإيطاليين ثم الفرنسيين والبريطانين وتبعهم الأمريكان والألمان ومثلوا جميعاً بكفاءات دبلوماسية على مستوى عال، واشتد التنافس بين هؤلاء الممثلين بحثاً عن الامتيازات وتعزيزاً لمصالح دولهم، وكانت أولى ملفاتهم إعادة ترسيم الحدود بين الحبشة ومستعمراتهم المجاورة لها واستغرقت هذه العملية طوال العشر سنوات اللاحقة لإنتصار "عدوا" خاصة وأن اتفاقيات الحدود ربطت بين مصالح هذه الدول السياسية والاقتصادية.(21)

في بداية فترة حكم منليك، كان الصراع البريطاني – الفرنسي حاضراً ومؤثراً على علاقته بالدولتين وعلي علاقته بإيطاليا أيضاً، وكانت للدول الثلاث مشاغلها ومصالحها في بلاده: فرنسا مهتمة بأن تصبح مستعمرتها الصومالية"جيبوتي" ميناء الحبشة عبر خط السكة الحديد الذى ستبنيه شركاتها، مما يعني ربطها وللأبد بالمنفذ البحري الأقرب والأسهل، بريطانيا تحيط مستعمراتها بالحبشة، السودان غرباً ومستعمرة شرق أفريقيا جنوباً والصومال البريطاني شرقاً. وهي مهتمة أكثر بنهر النيل ومصادر مياهه في الهضبة، وإيطاليا أكملت احتلال إريتريا والصومال الإيطالي وتريد ممراً يربطهما عبر أراضي الحبشة إضافة إلي أطماعها فى مواردها.

عند ظهور مرض الإمبراطور عام 1906م أحست الدول الثلاث بالقلق على مستقبل الإمبراطورية ومصالحها فيها وما يمكن أن يقود إليه إختفاء منليك من تجدد للحروب القبلية والإقليمية وربما إلي تتضارب مصالح الدول الثلاث، فكان أن الدول الثلاث سارعت إلي عقد اتفاقية في العام 1906م – لتطوير الاتفاقية الثنائية التى وقعت عام 1903م بين بريطانيا وإيطاليا– وقد هدفت الاتفاقية التي حازت على تأييد الإمبراطور، للحفاظ على سيادة الحبشة وحماية مصالح هذه الدول الخاصة وحماية الوضع الراهن والحياد في الشؤون الداخلية للحبشة.(22)

ومع ازدياد مرض الإمبراطور ازداد نفوذ ممثلي الدول الثلاث ليصل قمته مع موت الإمبراطور الذى أعقبته نُذر الحرب العالمية الأولى، حيث أدى ظهور ألمانيا وتحالفها مع تُركيا وميل الإمبراطور ليج إياسو لهما إلي التدخل المكشوف من الدول الثلاث وتخطيطها لعزله وهو ما نجحت فيه في العام 1916م.

(2) العلاقة بين البلدين فى الثلث الأول من القرن العشرين:–

مع انتصار البريطانيين على الخليفة عبد الله سارع منليك بإرسال خطاب رقيق للسردار كتشنر يهنئة باحتلال السودان وإزالة الدولة الإسلامية فيه ويشكره على فك الأسرى الأحباش الذين كانوا في سجن أم درمان. وقد ميزت الفترة اللاحقة في علاقة البلدين بالانشغال بقضيتين هما: ترسيم الحدود والمشاكل التي نشأت من جراء ذلك، ثم التجارة الحدودية.

كانت بريطانيا تراقب باهتمام الحركة التوسعية للإمبراطور منليك نحو مستعمراتها جنوب مملكته "شوا" وشرقها، وعندما بدأت قواتها تتحرك جنوباً نحو أم درمان أدركت أنها ستصطدم لاحقاً بنيات منليك التوسعية في حدوده مع السودان، فأوفدت في مطلع 1897م بعثة بقيادة رينيل رود (23) للتفاهم معه بشأن مجمل علاقاتهما المستقبلية مدفوعة بالوضع الجديد المتمثل في هزيمة إيطاليا في "عدوا" والتحرك الفرنسي نحو الحبشة – ومن خلالها لأعالي النيل. وكانت الحدود على رأس أجندة البعثة بالإضافة إلي الحصول على تعاون منليك في منع السلاح عن الخليفة عبد الله وإعطاء بريطانيا أفضلية تجارية.

ورغم أن بريطانيا كانت مستعدة لأن تتنازل لمنليك عن جزء من الأرض حول النيل الأزرق تصل إلي شمال الرصيرص في سبيل حماية تعاونه معها ضد دولة المهدية – إلا أن منليك فاجأ المبعوث البريطاني بالكشف عن أن

مطامعه تصل إلي خط عرض 14.2 درجة شمالاً " الذي يمر شمال القضارف والحاج عبد الله والدويم " وحتى النيل الأبيض غرباً مما حدا ببريطانيا لإيقاف التفاوض حول الحدود لحين إكمال سيطرتها على السودان.

وقبل سقوط أم درمان وعندما بدأ انهيار دولة المهدية، دفع منليك قواته فاحتلت القلابات، فازوغلي، بني شنقول وقطاع أبارو حول نهر السوباط، ثم سلم القلابات للجيش الإنجليزي الذي وصلها في 1898/12/7م، وعند بدء المفاوضات من جديد بواسطة الممثل البريطاني في أديس أبابا جون هارنجتون اتضح له أن منليك كان مدركاً لأهمية الحيازة الفعلية في المطالبة بالأراضي التي ادعاها داخل حدود السودان، وأن لديه اعتقاداً بقبول بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى للحدود التي بيّنها في منشوره لهذه الدول (1891م) ما دامت لم تعترض عليها، وفي هذا المنشور كانت ادعاءات منليك في الأراضي السودانية تصل حتى الخرطوم.(24)

بعد عُدة جلسات من التفاوض انحصر الخلاف حول بني شنقول والقلابات وبينما كان تمسك منليك ببني شنقول مفهوماً لإشتهارها بالذهب ولموقعها المهم للتجارة مع السودان وللملاحة والسيطرة على النيل الأزرق، لكن منليك عند الحديث عن القلابات قدم لهم أسباباً عاطفية تتمثل في أن بها عدداً كبيراً من المسيحيين وأنها البقعة التي قُتل فيها الإمبراطور يوهانس وطالبهم بمنحه إياها رغم اعترافه بأنها خارج حدود دولته.

تماماً كما جرى الوضع في المستعمرات كافة بين القوى الاستعمارية وكما عبر عن ذلك اللورد سالبسبورى " كنا منشغلين في رسم خطوط على خرائط تتعلق بأقليم وأرض لم تطأهما قدم رجل أبيض، كنا نمنح بعضنا بعضاً جبالاً وأنهاراً وبحيرات...كان العائق الوحيد الذى واجهناه في ذلك التوزيع هو أننا لم نكن ندري أين تقع تلك الجبال والأنهار والبحيرات".(25)

منحت بريطانيا منليك بني شنقول مقابل ضمان احتكار التنقيب عن الذهب للشركات البريطانية وقسمت المتمة بينه وبين السودان، فأعطته المدينة القديمة شرق خور أبونقارة وأبقت ضمن حدود السودان القلابات الجديدة غرب الخور والتي بني المهديون فيها حصناً حربياً متيناً. وإنطبق على هذا التوزيع مقولة هوايتيسي " الخريطة السياسية لأفريقيا نتاج للعبة الشطرنج الدبلوماسية بين القوى الاستعمارية...وقد بدأت تلك اللعبة منذ 1880م على موائد المجالس الأوروبية بواسطة أفراد لم يروا أفريقيا إطلاقاً ".(26)

وهكذا انتهى ملف الحدود بين السودان والحبشة رسمياً علـى الـورق وتبقى مسح تلك الحدود وتعيينها فانتدبت بريطانيا أثنين مـن المـساحين همـا الكابتن المهندس أوستين الذي كُلف بمسح الجزء الجنوبي من الحدود والميجـور المهندس جوين والذي كُلف بمسح الجزء الواقع بين النيـل الأزرق والـسوباط، وبعد مماطلة من منليك أكمل جوين مهمته في منتصف العـام 1901م وتمكـن الممثل البريطاني بأديس أبابا هارنجتون من الوصول لاتفاق مع منليـك جـرى التوقيع عليه في 15/مايو 1902م وشمل الاتفاق بالاضافة إلي تقنـين الحـدود نصاً بتكوين لجنة مشتركة لوضع معالم الحدود، ولكن منليك لـم يتجـاوب مـع قرار تشكيل اللجنة فقام جوين بوضع العلامات منفرداً وهذا ما قاد للخلاف حول تلك الحدود بعد منتصف القرن العشرين. كما اشتملت اتفاقية 1902م على ثلاث قضايا مرتبطة بالحدود هي :

1- تعهد منليك بعدم إقامة أية أعمال على النيل الأزرق أو بحيرة تانا أو نهر السوباط من شأنها التأثير على مياه النيل.

2- منح الحكومة البريطانية وحكومة السودان قطعة أرض مجاورة لإيتـانق على نهر (بارو) السوباط تستأجرها حكومة الـسودان بغـرض إدارتهـا كمحطة تجارية واحتلالها طوال فترة بقاء بريطانيا بالسودان علـى أن لا تستخدم لأي غرض سياسي أو عسكري "وهي القطعة التي حُولت لاحقـاً لقمبيلا".

3- تمنح الحبشة بريطانيا وحكومة السودان حق تشييد خط للـسكة الحديـد بـين السودان ويوغندا مروراً بأراضيها. وكانت أهم الملاحظـات علـى ترسـيم الحدود في قطاع البارو هى أنها قسمت الأراضي التي تقطنها قبيلتـا النـوير والأنواك وهما قبيلتان اعتادتا عبور الحدود طلباً للمرعي والصيد مما قاد فـي فترات لاحقة لمشاكل إدارية وأمنية شكلت صداعاً دائماً لحكـومتى الـسودان وبريطانيا، وجرت عُدة محاولات فيما بعد لتصحيح هـذا الوضـع إلا أنهـا إصطدمت برفض الحبشة مخافة أن يجر عليها تعديل الحدود على أساس قبلي نزاعات ودعاوى في حدودها الأخرى مع الصومال وكينيا.أما الجزء الجنوبي من الحدود فلم يتم ترسيمه إلا في 1907م وكان يقـع آنـذاك ضـمن حـدود يوغندا، وبعد ترسيم الحدود بين السودان ويوغندا في 1914م أصبح الـسودان ملزما تلقائيا بمعاهدة 1907م.(27)

وقد اكتسبت محطة قمبيلا أهمية كبيرة فيما بعد وأصبحت مركزاً تجارياً مهماً لاستيراد البن وساعدت على تطوير النقل التجاري عبر البواخر النيلية، كما استغلها البريطانيون لمراقبة الوضع في جنوب السودان خاصة قبيلة النوير أيام ثورتها العنيفة على البريطانيين والتي استمرت متقطعة بين 1901 و 1920م.(28) كما أنها لعبت دوراً كبيراً أثناء فترة الحرب العالمية الثانية عندما احتلت إيطاليا الحبشة وظلت هي تابعة للحكم البريطاني للسودان. إضافة لدورها في حل المشاكل ومتابعة مختلف القضايا في تلك المنطقة التي اتسمت بقدر كبير من عدم الإستقرار.

في بقية أنحاء الحدود كان الوضع مشابهاً: خلافات ونزاعات تنبعث أساساً من الأخطاء التي صاحبت ترسيم الحدود، كما في مركز الكرمك حيث استمر تبادل الرقيق بتلك المنطقة حتى عام 1912م، ورغم الجهود الكبيرة المبذولة لمحاربته من قبل البريطانيين بالسودان إلا أن تجارة الرق إزدهرت حتى أواخر العشرينات(29) وأدت إحدى مشاكل القبائل المشتركة مع الحبشة في هذا المركزعام 1931م إلي إثارتها بمجلس العموم البريطاني وعُقد مؤتمر بين الجانبين لحلها.(30) ويذكر هارولد ماكمايكل(31) أن اضطرابات الحدود كانت إحدى ثلاث مشاكل أقلقت هدوء البريطانيين الحاكمين للسودان ويضيف " كان خط الحدود بين السودان والحبشة مرتعاً خصباً للوطاويط مثيري المشاكل من سكان بني شنقول".(32)

وفى 1925م أثار رئيس الوزراء البريطانى رامسي ماكدونالد مع ولي العهد رأس تفري خلال زيارته إلي لندن مشاكل الحدود بين إثيوبيا والمستعمرات البريطانية فى السودان والصومال وكينيا. وقد رد رأس تفرى بأن سبب المشكلة هو عدم وضع علامات الحدود على الأرض.(33)

وفي 1927م كشفت السلطات البريطانية النقاب عن شبكة كبيرة لتهريب وبيع الرقيق من الحبشة للسودان وكان يقف خلفها الشيخ خوجلي الحسن، أحد مشايخ بني شنقول والذي كان يرسل الرقيق إلي إحدى زوجاته التي كانت تقيم في الكرمك ومن هناك يجري توزيعهم وبيعهم إلي مناطق النيل الأبيض وكردفان ودارفور، وقد ضُبطت المئات من الحالات وجرت محاكمة "ست آمنة" زوجة خوجلي الحسن.(34)

كما مثلت المشاكل الحدودية في أقصى الجنوب بين البلدين هاجساً دائماً لهما حيث اعتاد القادة الأحباش عبور الحدود السودانية في محاولة لضمها لسلطة منليك وظل القادة البريطانيون يرفعون الشكاوى باستمرار عبر البعثة البريطانية بأديس أبابا.(35)
ورغم انتقال مركز الدولة الحبشية نحو الوسط في "شوا" في نهاية القرن التاسع عشر إلا أن التجارة مع السودان عبر الحدود الغربية لم تضمحل خاصة بعد ما وفرته توسعات منليك جنوباً وغرباً من أراض شاسعة تذخر بالمنتجات الزراعية وبالثروة الحيوانية، كما أن الإستقرار الذي خيم على السودان بقدر كبير ساعد في تنمية تلك التجارة، ففي عام 1911م بلغ حجم التجارة المتبادلة عبر قمبيلا 266 ألف جنيه إسترليني، مما قاد لخلاف بين البلدين بشأن الضرائب المفروضة على البضائع المتبادلة. وكانت قمبيلا آنذاك المعبر الرئيس للبن الحبشي نحو السودان قبل أن يتحول جزء من هذه التجارة لنقطة الكرمك التي كانت تستقبل البن من التجار الأحباش وتبيعهم الملح والأقمشة القطنية.
وقد أدى التوسع إلي زيادة دخل الإمبراطور منليك بعد أن أضاف لسلطاته عدداً كبيراً من الولايات الغنية بمنتجاتها الزراعية والحيوانية إضافة لإحتكاره تجارة العاج. وزاد التوسع من تجارة الرقيق حتى وُصفت الولايات الجنوبية والغربية الجديدة بأنها " صالحة لصيد الإنسان والحيوان على السواء". وبلغت تجارة الرقيق حداً جعل الأباطرة وولاة الولايات يدفعون مصاريفهم وهداياهم عبيداً..ولم تبدأ خطوات جادة لمحاربة هذه التجارة إلا بعد 1920م عندما تقدمت الحبشة لعضوية عصبة الأمم وبعد الحملة المكثفة التي شنتها الصحف البريطانية على تجارة الرقيق في الحبشة(36) ولاستثمار الغضب الأوروبي من استمرار تجارة الرقيق، أدعت إيطاليا في غزوها للحبشة عام 1936م أنها تريد وقف غارات صيد الرقيق.
بانتقال العاصمة إلي أديس أبابا إنتقل إليها مركز الإمبراطورية التجاري وضعُفت مكانة قندر والمتمة في الغرب وأصبح معظم التجار يتجهون شرقاً نحو زيلع وبربرة وجيبوتي خاصة بعد أن بدأ تشييد خط السكة الحديد من جيبوتي نحو أديس أبابا مروراً بديرداوا حيث وصلت نسبة التجارة بواسطة هذا الطريق إلي 75% يليه طريق الشمال نحو إريتريا ثم الغرب نحو السودان، وأخيراً التجارة عبر الحدود الشرقية مع الصومال. وكان كبار التجار من الأجانب (الإيطاليون، البريطانيون، الهنود والأغاريق) ثم كبار الأمراء

والقادة حيث امتلكت الإمبراطورة "طهيتو" أول فندق في أديس أبابا كما كان لكل من الرأس تفري موكنن " الإمبراطور هيلاسلاسي لاحقاً" والرأس "هـايلو تكـلا هيمنوت" " ابن الملك عدال" تجارة متعددة وامتلكـوا عُـدة شـركات. ومثلـت الجمارك مورداً مهماً لخزينة الدولة خاصة جمارك هرر التي كانت تـأتي عـن طريقها أغلب الواردات.

وعملت الدول الأوروبية الثلاث على جذب التجارة نحـو مـستعمراتها المجاورة فحرصت فرنسا على خـط الـسكة الحديـد لـربط تجـارة الحبـشة بمستعمرتها "جيبوتي" وكانت بريطانيا تعمل على جذب التجارة نحـو محطتهـا التجارية في قمبيلا، كما قامت إيطاليا بذات الـدور بالنـسبة لمـستعمرتها فـي إريتريا. وأنشأت كل من فرنسا وإيطاليا قنصليات لهذا الهدف، فكـان لإيطاليـا ثلاث قنصليات في كل من عدوا، دسى وقندر، ولبريطانيـا أربـع فـي هـرر بالشرق وقورف بالغرب ودانقيلا وميجا بالجنوب. ومثل البن أهم سلع الـصادر كما كانت الأقمشة أهم سلع الوارد.(37)

ومنذ بداية القرن العشرين ساهم حرص البريطانيين على تـشغيل ونجـاح ميناء بورتسودان الجديد (1909م) وعلى تشجيع الحبـشة لاسـتخدامه بإعفـاء بضائعها من الضرائب والرسوم الجمركية.(38)

وفي العام 1930م وصلت نسبة التجارة عبر الحدود السودانية مـن جملـة التجارة الحبشية إلي 20% وكان الميزان التجاري يميل لصالح الحبشة بفـضل سلعة البن، كما أن تسوية الحدود في منطقة القلابـات أدت إلـي تقـسيم عائـد التجارة بين البلدين.(39)

ولاحقاً بعد الكرمك أفتتحت نقطة جمارك جديدة لتجارة الحدود هي "باسندة" شمال نهر الرهد وبذلك أصبحت بين البلدين أربع محطات للتجارة هي القلابات، باسندة، الكرمك، وقمبيلا، ولعبت هذه المحطات الحدودية دوراً كبيراً في التجارة بين البلدين. حيث أصبحت تمثل تجارة الحدود الرئيسة للسودان بالإضافة إلـي محطتين أخريين هما كسلا " مع إريتريا" ومنقلا " مع الكنغو". وتطورت تجـارة السودان مع الحبشة عبر هذه المحطات فبينما كانت تُـشكل 3% مـن واردات السودان عام 1919م تضاعفت في 1932 لتصبح 6% بقيمة 260 ألـف جنيـه إسترليني منها 28 ألف عبر القلابات و76 ألف عبر الكرمك و156 ألف عبـر القلابات، وكانت أهم سلع الصادر تشمل : الذرة، الدخن، المواد القطنية، الملـح، الجوالات الفارغة، السكر، فيما تشمل الواردات: البن، شـمع النحـل، الجلـود،

الخيول والبغال والحمير، العسل، التوابل، الماشية، السجائر، وكانت لتجارة الترانزيت من السودان للحبشة جزءاً مقدراً في الحركة التجارية بينهما لانعدام المنفذ البحري المباشر للحبشة، كما كانت هناك تجارة إعادة الصادر وتشمل سلعاً مثل الوقود، الأسمنت، المعدات والآليات، المواد الكيمائية والطبية، الماكينات والموتورات، ورغم ذلك كان الميزان التجاري يميل بصورة شبه دائمة للحبشة " صادراتها للسودان أكثر من وارداتها منه" بفضل سلعة البن.(40)

(3) الصراع على خلافة منليك:-

عُرف عن منليك إشرافه المباشر على كل شؤون الإمبراطورية التى بناها، لذلك كان غيابه يشغل بال مواطنيه والدول الأوروبية على السواء، وتواصل هذا الأنشغال طوال فترة مرض الإمبراطور التى تواصلت من 1906م إلي وفاته في 1913م. ورغم أن الإمبراطورية قامت على ما يمكن ان يُعتبر نوعا من اللامركزية الأ أن منليك ظل – خاصة بعد اتساع استخدام الهاتف في مطلع القرن العشرين- على اتصال شبه يومي ومباشر مع حكام ولاياته.(41)

في 1906م وعندما كان عمره 62 سنة أصيب منليك بالسكتة الدماغية الأولى وفي ذات العام توفي المرشح الأوفر حظا لخلافته وهو الرأس موكنن ولدي ميخائيل أبن عم الإمبراطور وساعده الأيمن في الشؤون العسكرية والسياسية وحاكم أغنى مقاطعاته "هرر". كما فقد في العام نفسه خدمات مستشاره للشؤون الخارجية " الفريد ايلج" وهو مهندس سويسري التحق بخدمة منليك منذ ان كان الأخير حاكماً لمقاطعة " اشوا" في نهاية ثمانينات القرن التاسع عشر وكان يتحدث الفرنسية والألمانية والعربية والأمهرية.(42)

ورغم بنيته الجسمية الضخمة، بدأت السكتة الدماغية تؤثر في منليك وظهرت عليه آثار الخرف المبكر وضُعف الذاكرة، فلجا لإنشاء مجلس وزراء في 1907م لإعطاء تأكيد باستمرار الحكم والدولة الموحدة والمستقرة الأ ان قلق وخوف البعثات الأجنبية خاصة الأوروبية كان أكبر من أن يُخفى فلجأوا لتجميع مقار بعثاتهم في منطقة وأحدة وشددوا عليها الحراسة.

وعند مرضه كان المرشح الوحيد هو حفيده ليج إياسو ورغم اختيار الإمبراطور له الأ أنه أحجم عن إعلان ذلك ربما بسبب صغر سنه حيث كان في الحادية عشرة من عمره أومخافة أن يقلل الإعلان عن ترشيحه من فرص توليه الحكم

ومن أن يجلب له الحسد والغيرة والتآمر الذى كان طبعا سائداً في البلاط الحبشي، وربما أيضاً لأن الإمبراطور كان مايزال آنذاك يمارس الحكم.

في أغسطس 1908م تعرض الإمبراطور لنزيف دماغي أخر أدي لشلله، وفي مايو 1909م أعلن المرسوم الإمبراطوري بوراثة ليج للعرش وتعيين وصيّ عليه وفي ذلك الوقت كان الإمبراطور يرقد جسدا بلا حراك وكانت زوجته الإمبراطورة "طهيتو" تُسَيّر دفة الحكم وهو وضع أدى بالضرورة لخلق مراكز قوى وصراع مصالح تتسابق نحو حماية مصالحها وضرب منافسيها.

أدت سيطرة ونفوذ الإمبراطورة المنحدرة من اقليم قندر إلي شعور قادة ونبلاء مقاطعة "شوا" بالخطر حيث رأو في هيمنتها محاولة لإعادة مركز الحكم للشمال. وتجمع هؤلاء دفاعاً عن مصالحهم وكان من بينهم كبار القادة العسكريين لمنليك وحكام ولاياته وعدد من شباب النبلاء الطامعين في الحكم إضافة إلي أخرين تضرروا من قرارات الإمبراطورة استُبعدوا من مراكزهم.

في المقابل كان لطهيتو شخصية قوية وآثرة، ولعبت طوال فترة حكم منليك أدواراً كبيرة وكانت تصاحبه في كل معاركه ورحلاته وعُرف عنها كراهيتها للأوروبيين وشكها الدائم فيهم، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنها كانت وراء قرار الإمبراطور بإلغاء معاهدة "أوتشإلي" وهو القرار الذى دفع إيطاليا لشن الحرب في عدوا.(43)

سعت طهيتو لتأمين جبهتها بخلق شبكة من عمليات المصاهرة لضمان مستقبلها السياسى وكان أهمها تزويج أبنة الإمبراطور الكبرى ذوديتو "من زوجة سابقة" من أبن اخيها رأس/ قوقسا وإلي وكانت "ذوديتو" مرشحة لخلافة أبيها وبحكم التقإليد الإمبراطورية كان زوجها سيكون وصيا عليها، وقد دعمت ترشيح ذوديتو بشدة في مواجهة اختيار الإمبراطور لإياسو. كما قامت بالعديد من التعيينات والعزل عن الخدمة معززة من مكانة مؤيديها وكانت في السنوات الأولى لمرض الإمبراطور وحتى إقصائها تمسك بزمام الأمور وتترأس مجلس التاج.

فيما يشبه الانقلاب بدأت خطوات عزل وإقصاء الإمبراطورة، وقلل من فرصها في الاستمرار والنجاح أن معظم مؤيديها العسكريين بعيدون عن العاصمة خاصة أخيها رأس/وإلي المتمركز في الشمال وابن أخيها الذى كان يدير ولاية قندر في الغرب.

وتمثلت إحدى محاولاتها للدفاع عن موقفها بكتابة رسائل لكنائيس أديس أبابا تشتكي فيها من التحرك الغادر ضدها "في الوقت الذى أصبحت فيه مشغولة بصحة الإمبراطور". كما حاولت دفع ممثلي البعثات الأوروبية للاعتراف بها رأسا للدولة وعرض جميع المسائل التى تهمهم عليها بدلاً عن رئيس الوزراء هايتى جيورجس والوصي على العرش الرأس"تسما" ولكنهم لم يستجيبوا لطلبها بالدعم. ولاحقاً أخذ عليها لجوءها إلي البعثات الأجنبية والذي أعتبر طلبا للتدخل الأجنبى في الشؤون الداخلية للبلاد.

في العام 1910م وصلت معارضة " الشوايين" للإمبراطورة قمتها واتصل هؤلاء بأبونا ماتيوز رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية وأقنعوه بدعمهم وبذلك لم تجد طهيتو سوى أن تطلب البقاء في القصر لرعاية زوجها المريض وبعد وفاته انتقلت للاعتكاف في أحد الأديرة حتى وفاتها في 1918م.(44)

أدى إبعاد الإمبراطورة "طهيتو" ووفاة الوصي على العرش الرأس/تسما إلي انتهاء أخر العقبات أمام ليج إياسو لتولي الحكم وإن كان جده الإمبراطور منليك ما زال حياً، ويمكن القول أن وصول ليج إياسو لعرش الإمبراطورية هو نتيجة طبيعة ونهاية لسلسلة من العلاقات بين حكام الإمبراطورية من الأمهرا والتقراي وبين شعوب الأرومو "الجالأ" الذين نجحوا عبر الهجرات المتتالية من الإستيطان والهيمنة على وسط الهضبة في شريط يمتد من سهول العفر شرقاً حتى منابع بحيرة تانا غرباً وتمددوا شمالاً حتى مملكة التقراي وجنوباً إلي مملكة شوا.

ولعب الأرومو في هذه المنطقة التى أصبحت تسمي "ولو" وعاصمتها دسي، أدواراً مهمة في التاريخ الحبشي وبلغوا قدرا من القوة والكثرة العددية جعلت حكام الإمبراطورية يميلون لخطب ودهم وكسبهم. وأصبحوا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يُشكلون نصف سكان الحبشة، وازدادت قوتهم بعد ان اقبلوا على اعتناق الإسلام وتعرضوا بسبب انتمائهم الإثني والديني لحملات تصفية واضطهاد قاسية خاصة في فترات حكم تيودور (1855 - 1865م) ويوهانس (1872 - 1889م) وأبعدوا عن وظائف الحكم وأجبروا على التنصر.(45)

وُلِد ليج بطنطا في مصر عام 1896م على عادة أميرات الأسرة الحاكمة في الحبشة من الذهاب لمراكز الكنيسة القبطية والتبرك بوضع مواليدهم بها- وكانت طنطا إحدى هذه المراكز- وقد قضي بطنطا عُدة سنوات حيث نشأ وترعرع وتعلم اللغة الفرنسية والعربية.(46) والده الرأس محمد علي قائد ولاية "ولو" التى يسكنها مسلمو الأرومو طوال الفترة من الربع الأخير للقرن التاسع عشر

وحتى 1916م، وعندما هزمه منليك وضم ولايته لحكمه عـام 1878م أجبـره على التنصر وإتخذ اسم "ميخائيل"، ولاحقاً أثرت خلفية والـده علـى مـستقبله السياسي من جهة جذوره الإسلامية ومن جهة قوته العسكرية حيث كـان تحـت إمرته أكثر من 100 الف مقاتل، وكعادة أباطرة الحبشة في إسـتخدام علاقـات المصاهرة والزواج لتوثيق التحالفات السياسية وكسب ولاء الزعمـاء الأقويـاء، زوج منليك الرأس ميخائيل من ابنته " شوارقا".
لم ينجب منليك أولادا فإنحصر التنافس على خلافته بين أحفاده وبناته، وعنـدما توفي حفيده الأخير عوسانا سجد لم يبق غير إياسو والذي بدأ حكمه فعليـا قبـل وفاة الإمبراطور واستمر لخمسة أعـوام "1911م – 1916م". ورغـم أن هـذه الفترة من تاريخ الحبشة كانت ملئية بالأحداث الأ ان المناوئين لإياسو نجحوا في تشويه صورته وتغييب فترة حكمه ومسحها من الذاكرة. وقد تضافرت على ذلك ثلاث قوى رئيسة هي:-

(1) مجموعة قادة ونبلاء شوا الذين هدد إياسو مصالحهم وحكمهم.

(2) الدول الأوروبية الثلاث "بريطانيا، فرنسا و إيطاليـا" التـي خافـت ان يُخرب عليها إياسو ترتيباتها للحبشة والمستعمرات المجاورة لها.

(3) الكنيسة الأرثوذكسية التى لم تكن مرتاحة لتولي ابن زعيم كان مـسلماً ومشكوك في إيمانه بالمسيحية مقاليد السلطة.

وفي الفترة القليلة التى حكم فيها ورغم عدم امتلاكه للـسلطة فعليـا حتـي 1913م، صعد نجم إياسو وحقق شعبية كبيرة وسط الشعب الذى كان معجباً بوسامته ومواهبه الخطابية ونهجه في الحكم القائم على الطواف الدائم على الولايات والأقاليم، ولم يكن إياسو يستقر بأديس أبابا إلا لفترات قصيرة يجهز ويعد فيها لزيارات تفقديـة تـستمر أسابيع وأحيانا شهوراً للولايات خصوصاً جنوب وشرق الحبشة.
كان إياسو يدرك أن فترة مرض الإمبراطور قوّت من حكـام الولايـات وجعلـتهم حاجزا بين السلطة في أديس أبابا والمواطنين، فأراد باتصاله المباشر معهم إزالة هذا الحاجز مجردا نفسه من طقوس الأباطرة وأخذ يتجول على صهوة فرسه حتى لُقِـب بالسواح(47) وفي كل تلك الجولات كان يلتقي مباشرة مـع النـاس ويـستمع إلـي

شكاويهم ويحل مظلماتهم. ولم يكن يخفي كرهه لطبقة حكام وقادة الولايات. على ان سياسته لم تكن مجرد مشاعر للكره فحسب بل اثبت أنه رغم صغر سنه وقِصر فترة حكمه كان يملك برنامجا سياسيا للإصلاح الاقتصادى والاجتماعي قام على ركيزتين هما: إزالة الفوارق الطبقية بالإنحياز إلي الطبقات الدنيا التي ظلمت وصُودرت أراضيها وأصبحت قطعانا من العبيد في مزارع وممتلكات طبقة الحكام، والثاني هو إزالة المظالم الدينية والعرقية وجذب المسلمين والأقليات والقوميات المضطهدة لمركز الدولة وإزالة غبنها.

(4) إياسو والحُكمُ المُجهض:-

هدفت سياسة إياسو إلي دعم مجتمع الريف وأثبت الملكية الفردية وأطلق نهضة زراعية وقام بتقليص التبذير والإتلاف الذى كان مؤسساً في النظام الإمبراطوري وأدخل إصلاحات ضريبية مهمة مثل تقليل الفاقد الناتج من نظام تقدير محصول الفلاحين قبل جمع الضريبة منهم " اسرات" وأوقف ومنع مصادرة الممتلكات كعقوبة للجرائم، كما جرت العادة.(48)

كما وضع نظاماً لمراجعة الحسابات الحكومية يّسرعملية كشف الاختلاسات، وشرع في توزيع الأراضي الشاسعة التى حصلت عليها الإمبراطورة "طهيتو " وعدد أخر من كبار أمراء " شوا " على الفلاحين، كما عمد إلي ترقية عدد من الشباب وخفض مكانة كبار الزعماء والقادة العسكريين الذين بنوا الإمبراطورية مع جده منليك، فاعفى حاكمي سيدامو وهرر وغيرهما.

وأبدى إياسو إهتماماً كبيراً بالأقليات التى عانت من حملات الضم القسري والإستلاب والقهر، فكان متعاطفاً مع شعوب الأرومو والصوماليين والعفر والتقراي والهرريين، حيث عّين عدداً من زعمائهم حكاما عليها، وكانت له نظرة خاصة تجاه شعب الأوغادين فعيّن "عبد الله صادق" حاكماً على الإقليم مما ساعد في تخفيف التوتر الأمني بعد أن وجد الصوماليون قائداً من بينهم يتعاملون معه.ويبدو أن الإمبراطور الشاب اختار هرر واقليم الأوغادين لتطبيق أفكاره وبرامجه لتوحيد شعبه وازالة الغبن من المسلمين وكسب سكان الولايات التى ضُمت حديثاً وتحقيق قدرا من المساواة والعدل بينهم وبين طبقة النبلاء الذين استولوا على أراضيهم الشاسعة وتحكموا في مواردهم، فأخذ يُكثر من الأقامة في هرر ودِرداو ويزور مساجدها وعّين أبناء المنطقة من الصوماليين والأرومو والعرب اليمنيين في شرطة المدينة بدلاً عن أبناء الأمهرا. وبينما كان البلاط الإمبراطوري يضم عدداً من مستشارين الأوروبيين اتجه إياسو لتنصيب عربي مسلم من الشام مسؤولاً عن

جمارك هرر وديرداو، وعندما عزل تفري موكنن من ولاية هرر وعينه وإليا ل"كافا" أعتبر هذا العزل قمة الأسلمة لهرر والأوغادين، ولسوء حظه فأن هذه السياسة زادت من تآمر الكنيسة التي أخذت توطن مفسها هناك، وأيضاً من حقد تفري موكنن الذي كان حاكماً لهذه الولاية ويعتبر الولاية أرثاً من والده. كما إرتبط إياسو بمنطقة العفر بعلاقة وصداقة وثيقة مع أحد أمرائها هو الأمير"يايو" ولجأ إليه بعد خلعه.(49)
وكغيره من حكام وأمراء الحبشة وظف إياسو علاقات المصاهرة والزواج لتمتين التحالفات السياسية، فتزوج من العفر ومن الأرومو ومن بعض ذوات الأصول العربية، ولتقريب الشقة وكسب ثقة شعوب الأقليات المسلمة أصبح يظهر مرتديا أزياءهم وكان يتناول طعامهم – وهو ما لا يتساهل فيه مسيحيو الحبشة– كما أنه نفي انتماؤه للأسرة السليمانية – التي ظلت تحكم الحبشة منذ ما قبل التاريخ وتدعي انحدارها من صلب نبي الله سليمان – وبدلاً عن ذلك أخذ يروج لأصله الإسلامي.
ويبدو أن ليج إياسو كان شديد الإرتباط بوالده الرأس ميخائيل فلجأ ومنذ بداية ممارسة سلطته لتقوية وتعزيز مركز والده وسط القادة والأمراء الكثر المحيطين به.
والرأس ميخائيل نفسه لم يكن جديداً على القيادة والمُلك فهو القائد القوى ل "ولو" وقد عُرف بالشجاعة والدهاء وتمكن من كسب ولاء شعبه في "ولو" وله مواقف بطولية في معركة عدوا الشهيرة حيث كان من بين القادة الأربعة للمعركة قائدا لجيوشه، كما اشترك في المعارك ضد المهديين في القلابات وكان قائدا اساسيا في فتوحات منليك خاصة في ممالك الجنوب، كما أنه عمل كل جهده في تأمين انتقال السلطة لأبنه فتمكن من هزيمة رأس/ وإلي الحاكم وقائد اقوى الجيوش في مقاطعة باجو واخ الإمبراطورة "طهيتو" كما تمكن لاحقاً من ابعاد واعتقال رأس/عباتى أحد اشد المناوئين لإياسو. وبمجرد وفاة الإمبراطور منليك في ديسمبر 1913م توج إياسو والده ميخائيل حاكماً مطلقاً على الشمال " والو وتقراي" ومُنح لقب رأس الرؤوس او ملك الملوك وبذلك أصبح اقوي شخصية في الحبشة وأجريت له مراسم تنصيب رسمية بقيادة أبونا بطرس ووضع له تاج منليك وزيه الإمبراطوري.
أدت سياسات إياسو في الحكم والاقتصاد إلي تهديد مؤسسة نبلاء شوا وللأسس التى قامت عليها غمبراطورية منليك، وقد أدى عزله لقيادي هذه الطبقة وتهميشهم إلي أصابتهم بالصدمة : داجاش/ تفري موكنن مثلا حُرم من قاعدته المالية والولاية التى ورثها عن أبيه عندما عزله إياسو من هرر وعينه حاكماً على أحدى ولايات الجنوب –كافا، هرر وديرى داو كانت تُعتبر ولاية مريحة بفضل مرور تجارة الإمبراطورية بها من وإلي جيبوتي وكانت بها محطة الجمارك الرئيسة.(50)

وبالجملة فان مجموعة السياسات وحركة التنقلات التى قام بها إياسو أدت لخلق عـدد من الأشخاص الغاضبين الذين كانوا على استعداد للتوحد معا لاسقاطه، وكان علـى رأس هؤلاء وزير الحرب فيتوراري هبتا – جيورجيس وداجاش/ تفـرى مـوكنن. ولكن إياسو ظل في موقف قوي وكان تحت إمرته من جنود والده والقادة الموالين له 263 الف جندي وكان يحتفظ بمعظم ترسانة الإمبراطورية من الأسـلحة والمـدافع الرشاشة.(51)

كان العامل الحاسم في المؤامرة ضد إياسو هو للقوى الأجنبيـة بريطانيـا- فرنـسا وإيطاليا" والتى مثلت اتجهات إياسو الإسـتقلالية تحـدياً لخططهـا بـشأن الخبـشة ومستعمراتها المجاورة لها التى صاغتها في الاتفاقية الثلاثيـة بينهـا عـام 1906م. وظهرت سياسات إياسو المعاكسة لها أوضح ما تكون بشأن الأوغادين خاصـة بعـد توارد المعلومات عن اتصاله ودعمه لجهاد السيد محمد عبد الله الحـسن الـذى قـاد مقاومة الصوماليين ضد الإستعمار البريطاني والإيطالي معا. وكانت نظـرة الـدول الثلاث لخطورة سياسات إياسو تنبع من أنها تشجع حركات المقاومة في مستعمراتها وربما تخلق فوضى عارمة فيها خاصة أنها حديثة عهد بـالحكم الإسـتعمارى ولـم يستتب الوضع فيها تماماً، وكاد التغاضى عن مثل هذه السياسات يهدد وجودها مـن أقصي الصومال إلي دارفور التى بدأ سلطانها على دينار يناوي البريطانيين ويتـصل بتركيا ويعلن دعمه لها مع بدايات الحرب العالمية الأولى.

أيضاً أبدت الدول الثلاث خشيتها من التزايد المستمر لإستيراد الحبشة للسلاح وتأثير ذلك على مستعمراتها المجاورة حتى أن البنادق والذخيرة المتسربة كانت تبـاع فـي السودان وشرق أفريقيا البريطانية " كينيا "والصومال، وقد أصبحت الدول المعادية – المانيا والنمسا وإليابان مصدرا لهذا السلاح كما أن المانيا اظهرت نزعة لان تكـون القوة الأجنبية الرئيسية في الحبشة.

يذكر تقرير للبعثة البريطانية في أديس أبابا بتاريخ يناير 1914م متابعتها لاتـصالأت إياسو بالنمسا وسفر القنصل النمساوي لبلاده لترتيب شـراء مائـة مـدفع للحبـشة وتدريب عدد من ضباطها على استخدامها.(52)

في ذلك الوقت أضحت الحبشة مرتعاً للبعثات التبشيرية من الدول الأوروبيـة كافـة، وتركز عملها فى الولايات الجديدة التى ضماها منليك في الجنوب والغرب والشرق، حتى وجدت فيها مجالاً خصبا لنشر المسيحية وسط سكانها الوثنيين والمسلمين علـى السواء. ولاشك أن تلك البعثات استشعرت خطر سياسات إياسو بتلك الولايات.

كانت كل المآخذ السابقة كافية لتكتل الدول الثلاث ضد إياسو وتحركهـا لاسـقاطه، وزادت عليها نذر الحرب العالمية مما يعني احتمال أن يجد الإمبراطور الشاب دعما دولياً يجعل تخريب سياسات الدول الثلاث حقيقة واقعة، والتى بدأت تنظـر لإياسـو كمن " تقمص شكل العفريت ليحرض سكان المستعمرات ليثوروا في وقت كان فيـه سادتهم مشغولين بمعارك دموية مع النمسا هنغاريا والمانيا وتركيـا"(53)، وكانـت الأخيرتين سعتا لضم إياسو لجانبهما.
وصلت الدول الثلاث لقناعة بضرورة التخلص من إياسو قبل أن يرسخ حكمه ويجـد الدعم الدولي في ظل تنافس الدول الأوروبية الذى أدى لقيام الحرب العالمية الأولى، ومنذ مارس 1914م أخذت التقارير البريطانية تتحدث عن الانطباع المتزايـد بـأن عدم الرضا السائد عن إياسو " من المحتمل أن يؤدي إلي محاولة من جانـب بعـض زعماء شوا لاستبداله بمرشح أخر يكون أكثر ملاءمة للعرش". ويبدو أن ما أخر هذا الترتيب هو أن فريق "الشوان" كان بدون قائد وبدون تماسك، كما أن إياسو بدأ يمسك الأمور بيديه – كما يقول تقرير بريطاني صدر في مايو 1914م.(54)
استمرت جهود الدول الثلاث في تشويه صورة الأميـر وتجميـع المعارضـين لـه والمتضررين من سياساته خاصة بعد أن شنت تركيا حملة دعائية قويـة ضـد دول التحالف وجهتها إلي اتباعها في القرن الأفريقي، ورعت الـدول الـثلاث محـاولتين عسكريتين فاشلتين لخلع الإمبراطور الشاب، كما استمرت فـي مـضايقة حكومتـه أحيانا بحظر السلاح واحيانا أخرى بالمطالبة بإعطـاء رعاياهـا معاملـة خاصـة، استمرت هذه الجهود طوال عامي 1914 و1915م، وبُـذل جـزء منهـا لاسـتمالة الكنيسة الأرثوذكسية – الضلع الثالث في المؤامرة – لتضفي التاييـد الـديني علـى الإنقلاب، ورغم ممانعة أبونا ماتيوس مطران الكنيسة في الحبشة الذى اعترض على تأييد خلع الإمبراطور لأنه لا توجد أدلة مقنعة بارتداده إلي الإسلام – فـأن ممثلـي الدول الثلاث في أديس أبابا والقادة المتضررين في شوا تمكنوا مـن نيـل موافقتـه مستخدمين أحد الكهنة – والد جورجيس– الذى كان الروح المحركة للمعارضة وكان منزله مقراً للمتآمرين.(55)
وفي أوائل سبتمبر 1916م أرسل ممثلو الدول الثلاث مـذكرة مـشتركة للحكومـة الحبشية يحتجون فيها على أعمال إياسو العدائية وعلاقته بالالمـان والأتـراك ولـم ينسوا أن يرفقوا ذلك بصور ومستندات مزورة(56)، لتأكيد التهمة الرئيسية الموجهة له – الإرتداد عن المسيحية والتحول للإسلام – فاستسلم "أبونا" محرراً المتآمرين من قسم الولاء بناءاً على طلبهم الذى جاء فيه: " نلتمس احلالنـا مـن قـسمنا بـالولاء

للامبراطور لأننا سوف لا نخضع للاسلام، ولن نسمح لملك ترك ديننا أن يحكمنا... وسوف تصبح ذوديتو ابنة منليك ملكة علينا - والرأس تفري وليا للعهد".(57)

لقد أصبح الإتهام بالردة هو مالصق بسيرة إياسو في التاريخ وهي كما يذكر العديد من المؤرخين مجرد تغطية وتمويه للصراع السياسي وللانقلاب عليه وإعطاء هذا التحرك بُعدا شعبياً وسط مجتمع شديد التعصب لعقيدته المسيحية، وأصبحت سياسته تجاه الأديان والقوميات المختلفة يُنظر إليها بأكثر من عين وزاوية، فبعض المؤرخين - المسيحيين منهم تحديداً- يفسر هذه السياسة بأنها لم تكن ضد المسيحية الأرثوذكسية ولصالح الإسلام وإنما هي محاولة لتعويض المظالم الماضية بجعل المسلمين يشعرون بالأمان في وطنهم واعتبروها" المحاولة الرئيسية الأولى لمعالجة مشكلة التكامل الديني" وأن هذه السياسة كانت تطبيقاً لرؤياه في الاندماج الديني والعرقي.(58)

مؤرخون أخرون ذهبوا إلي أن إياسو أعلن إسلامه وأنه أصبح يسمي نفسه "إلياس" وتزيا بازياء المسلمين وينفي نسبه للأسرة السليمانية ويؤكد جذوره الإسلامية، ويدللون على اعتقادهم هذا بأن اخفاء مسلمي "ولو" إسلامهم وقبولهم للتنصر ظاهريا كان أمرا شائعا، وقد أضفت حقيقة تنصر والده الرأس/ميخائيل مصداقية على هذا الإعتقاد.(59) كما أن هناك رواية عن أنه كتب على العلم الحبشي الشهادة باللغة الأمهرية ورسم عليه الهلال وأهداه للقنصل التركي وأرسله لعدد من حكام المسلمين وأنه اتصل بالألمان في تنجانيقا وأنه كان يحث المسلمين على الاستعداد للجهاد مع تركيا ضد الدول الصليبية.

نجح المتآمرون أيضاً في تشويه سلوكه، وانطبعت صورته في المراجع التاريخية كانسان شهواني لا هم له سوي إشباع رغباته الجنسية وهو إتهام يتناقض مع الإتهام الآخر بارتداده ودخوله الإسلام وسعيه لإعلان الجهاد مع السيد محمد الحسن ومع طبيعته الميالة للتجوال والسفر والتنقل بين الولايات.

وايّا كانت حقيقة هذه الإتهامات ودوافع ومقاصد إياسو من سياساته فأن المراجع التاريخية تكاد تجمع على أنه حُظي باعجاب وتاييد الشعب ونُظر إليه باعتباره حامي الضعفاء، ووجد تعاطفا منهم اكثر من ما وجده من الزعماء " كونه صغيرا في السن ووسيماً وجذاباً وموهوباً بمقدرات خطابية ومعبراً عن الرحمة والأهتمام بكل الشعب مسيحيين ومسلمين ووثنيين، شماليين وجنوبيين، فقد فاز بمحبتهم ومسامحتهم لنقاط ضعفه الشخصية والتى عزوها لصغر سنه"(60) ولم تكن ملكاته ومواهبه محل شك حتى لدي الأوروبيين الذين وصفوه بأنه " ذكي وسريع الفهم، نشيط، يجيد العربية

والفرنسية والأمهرية، وكانت لديه حكمة وبُعد نظر ويُدهش بدقة استنتاجاته وتفهمه للامور".(61)
في أول سبتمبرعندما وَجهتَ الدول الثلاث مذكرتها للحكومة وضعت قواتها في عصب وجيبوتي وبربره في حالة تأهب ودفعت أمراء شوا لإعداد جيوشهم ضد إياسو، وفي 27 سبتمبر 1916م يوم أحد اعياد المسيحيين الأرثوذكس، تم خلعه عندما كان في زيارة للاوغادين حيث اسرع من هناك نحو العاصمة أديس أبابا وجرت معركة بينه وبين جيوش أمراء شوا في "ميسو" عند منتصف الطريق بين العاصمة وديرداو، وبعد هزيمته التجا للعفر، وكانت المقاومة الرئيسية لصالحه من والده الرأس ميخائيل الذى زحف لأديس أبابا بجيش بلغ 80 ألف مقاتل واشتبك مع جيش "الشوايين" في توراماتك" 80 كلم شرق أديس أبابا في 17 اكتوبر وتمكن الرأس ميخائيل من الأنتصار وقتل قائد جيش شوا "لول سقاد" الأ أنه خُدع بمحاولة صلح إعقبتها معركة كبرى أعتبرت أكبر مواجهة دموية منذ معركة عدوا بعد عشرة أيام في "سقالي" حيث هزم جيشه والقي القبض عليه.
ظل إياسو نشطاً لخمس سنوات في تمرده ومعارضتة متحركاً في شرق وشمال الحبشة بين الصوماليين والعفر وحتى "ولو" حيث بقايا جيش والده بقيادة كبير قادته رأس/ يمر. وفي 1920م نظم تفري حملة كبرى في الشمال للقبض عليه وفي نهاية يناير 1921م وبعد معلومات تسربت من أتباعه، تحركت قوة بقيادة رأس/قوقسا ووكيل تفرى في عدوا بمحاصرة كنيسة محلية جنوب تامبن – على منحدرات التقراى الشرقية نحول سهول العفر – وأخذوا ليج إياسو وأتباعه بغتةً، ويقال أن الرأس/قوقسا سجد لإياسو قبل إعتقاله وبنى له تفري سجناً جديداً في "ويرى ايلو" في الطريق بين أديس أبابا وقوجام(62) وعندما تمرد حاكمها الرأس/هايلو في 1932م اطلق سراحه وقبض عليه ثانيةً ليسجن في محافظة رويالي على الحدود مع كينيا وظل هناك حتى أعلنت وفاته في ظروف غامضة في 1936م قبيل دخول الإيطاليين إلي أديس أبابا مما قوي الحديث عن اتهام الإمبراطور هيلاسلاسي بقتله مخافة أن يسعى الإيطاليون لتنصيبه امبراطورا على الحبشة.(63) خاصة وأن مقتله كان صبيحة الهزيمة الرئيسية لقوات الإمبراطور من الإيطاليين في "اشانجى" حيث تمرد وثار عليه مواطنو "ولو" وهو يشق أراضيهم منسحباً نحو أديس أبابا بعد سماعهم خبر موت إياسو.
رغم مرور قرابة القرن على أحداث فترة حكم إياسو الأ أنها ما تزال محاطة بالغموض والتناقض ومن المؤكد أن خلفه الإمبراطور هيلاسلاسي قام بدور رئيسي

في تشويه صورته وطمس إيجابياته فضلاً عن أنه كان أحد أهـم أعمـدة المـؤامرة عليه، ولحق التشويه والطمس والأبعاد ليس فقط حكمه وتاريخه وإنما أيـضاً عائلتـه لينهي أي أمل في وريث له.
مضت فترة إياسو بسرعة البرق وربما لو قُدر له أن يظل في الحكم لاختلف وضـع الحبشة جذريا عن ما آلت إليه ولكن يبدو أن طموح الإمبراطـور الـشاب وثوريتـه وربما عدم تحسبه للأوضاع العالمية التى كانت سائدة او انعدام الحليف الخارجي لـه عجل بنهايته .

(5) هيلاسلاسى والصعود للحـكم:-

ولد تفري في 1892/7/23م لوالده الرأس/مـوكنن ولـدي ميكائيـل ووالدتـه "يشمبيت علي" وكان مولده بقرية تبعد عن مدينة هـرر بمـسافة 55 كلـم تـسمي "ايجرساقورو".

والده الرأس/ موكنن كان أحد القيادات المهمة بالحبشة عُرف بأنه سياسي مـاهر وقائد عسكري شجاع كان قائداً لمعركة (امبالأجى) التى انتصر فيها الأحباش علـى الإيطاليين قبل معركة عدوا باسابيع، كما كان أحد القادة الرئيسيين في معركة عـدوا 1896م وأدى بعد ذلك أدورا مهمة خلال حكم منليك في فرض الحكم الإمبراطوري خاصة على شرق الحبشة، وعُين وإلياً على هرر التى كانت تمر بها معظـم تجـارة الإمبراطورية مع الخارج، كما كان يُعتبر بمثابة وزير خارجية منليـك وكانـت لـه علاقات جيدة مع الأجانب ووُصف بأنـه شخـصية منفتحـة وجذابـة وذو مظهـر حَسن.(64) وفي عام 1890م أرسله منليك إلي إيطاليا لتوقيع بنود ملحقة بمعاهـدة " اوتشابلي" واثرت فيه هذه الرحلة كثيراً وعاد مقتنعاً بأهمية التعليم الحديث وهـو مـا كان له تأثير في تربية ابنه، كما زار أوروبا ثانية في 1892م لحضور حفل تنصيب ملك بريطانيا ادوارد السابع.

الرأس/ موكنن هو أيضاً حفيد الملك سهلاسلاسي الذى حكـم "شـوا" (1813 - 1847م) وهو أبن عم الإمبراطور منليك وكان أقرب الناس إليه وأكثرهم إخلاصا له وقبل وفاته المبكرة في 1906م كان الإعتقاد أنه سيخلف منليك في العرش.

لم يُعرف الكثير عن والدته "يشمبيت" سوى أنها تنحدر من أسـرة مـسلمة مـن "ولو" وتزوجت بموكنن في 1876م بعد أن طلق زوجته الأولى والدة اخ تفري غيـر الشقيق (يلما) وقد كانت كل ولادتها ميته أو توفي اطفالها صغارا وتوفيت هـي بعـد ولادة تفري بأقل من عامين ولم تنجب سواه.(65)

عهد الرأس موكنن لقريبه فيتوراري /هيلى سلاسي بتربية تفرى وكـان لقريبـه هذا ولد يدعى "أمرو" في عمر تفري وصار بعد ذلك صديقه ورفيقه وأحد مـساعديه المقربين، ودرس تفري اللغة الفرنسية على يد فرنسي كان يدير المستشفي المحلـي بهرر ثم أرسل لمدرسة الرهبان ثم إلي مدرسة الكنيسة حيث تعلم الجئز والأمهريـة ومزمار داؤود على يد القس "أبا أندرياس".

بطلب من منليك غادر تفري هرر لأول مرة في حياته وعمـره عـشرة أعـوام حيث استقر بأديس أبابا وبعد عامين مُنح لقب "قرزمـاج" وعُـين حاكمـاً لمقاطعـة "قاراموليتا" بضواحي هرر وخُصص له منزل منفصل مع طاقم كامل من المساعدين وأصبح يحضر الإجتماعات الرسمية ويراقب والده والنُخب الأخرى وهـي تمـارس الحكم والإدارة وتترقى في مدارج السلطة.

كما كان لمدينة هرر تأثير مستقبلي عليه ومثلت إلي حد كبير تجربـة مـصغرة لحكمه لكل الحبشة فهى عاصمة لإقليم مقهور ضُم حـديثا للامبراطوريـة ومعظـم سكانها مسلمون يتحدثون بلغات ليست من بينها الأمهرية، وكانت هرر تـدر دخـلا كبيراً يذهب جميعه لخزانة الإمبراطور في أديس أبابا والذي كان يراقـب حمـلات الغزو للمقاطعات النائية لجمع الضرائب. وورث تفري في هرر حكم الأقليـة مـن طبقة الحكام وضباط الجيش الذين استقلوا وسادوا على أغلبية سكان الإقلـيم وأخـذ يتملكهم الشعور بتفوقهم الثقافي والديني وأنهم وُلدوا ليحكموا!.

توفي موكنن في 1906م تاركاً وصية يُورث فيها حكم ولايته لابنه تفري، وقـد شكلت وفاته ضربة لمنليك وأصبح عليه حل الأشكال بشأن خلافة هرر، كان تفـري ما يزال في الرابعة عشرة من عمره وكان منليك معجباً بأخ تفرى "يلما" الذى كـان في منتصف العشرينات وله خبرة بشؤون والده وادارة ولايته وعـزز مـن فـرص اختياره تدخل الإمبراطورة "طهيتو" لصالحه حيث كان يلما متزوجاً من ابنة أختها.

بالنسبة لتفري، أضيف موت والده المفاجئ لسلسلة من الأحزان وكان لهـا مـع الصراع والمؤمرات اللذان شهدهما فى تلك الفترة حول العرش، تأثير علـى حياتـه كلها وطبعت سلوكه طوال فترة حكمه.(66)

تشير بعض المصادر(67) إلي أن طموح تفري في السلطة بدأ منذ ذلك الوقـت وأنه أرسل خطابا لمنليك يطلب فيه خلافة أبيه في هرر وكان صـعباً علـى منليـك الإستجابة لهذا الطلب فهرر وأحدة من أهم ولايات الإمبراطورية وعلى حاكمهـا أن يكون ذا خبرة فى إدارة شؤون سكانها ذوي الأصول المتعددة وعليه أيضاً أن يكـون عسكرياً قديراً ودبلوماسياً متمرساً يعرف طبيعة العلاقة المعقدة في هذه المنطقة مـع

الدول الاستعمارية الثلاث " بريطانيا، فرنسا، إيطاليا" التي تجاور مستعمراتها الولاية.

بقي تفري بأديس أبابا قريبا من الإمبراطور الذى عينه في 1908م حاكما على ولاية "سيدامو" وبعد عام وأحد رجع لأديس أبابا عندما اشتد المرض على الإمبراطور. وخلال هذه الفترة أعلن حفيده ليج إياسو وريثا وخليفة له وظهر الصراع على الخلافة بين مؤيدي رغبة منليك في توريث إياسو والإمبراطورة طهيتو التى كانت تدفع لتوريث ابنة الإمبراطور (ذوديتو). وظل تفري يراقب الصراع بمهارة ومُكر دون الإشتراك فيه أو الانحياز لأى من طرفيه، فجعل نفسه مقبولاً سياسياً من كافة الأطراف فعُين في مارس 1910م حاكماً على هرر من قبل الإمبراطورة طهيتو، وبعد أيام وعندما جُردت طهيتو من صلاحياتها وأبعدت الغيت كافة القرارات التى إتخذتها عدا تعيين تفري في هرر.(68) في مايو 1910م وصل الحاكم الجديد إلي هرر واستقبل بحماس خاصة من جانب الآسيويين والأوروبيين المقيمين بالمدينة، وبعد عام تزوج من الأميرة منان حفيدة الرأس ميخائيل وابنة أخت ليج إياسو ولي العهد ورزق منها لاحقاً بثلاثة أبناء وثلاث بنات.

التزم تفري عند تعيينه حاكماً على ولاية هرر بأن لا يُشكل تهديداً لوريث العرش وعمل كل جهده ليثبت لمجلس الوصاية التزامه، فكان يحول ضرائب ولايته في وقتها ويذهب من حين لأخر للعاصمة ليؤكد إخلاصه للحكومة ولكن اهتمام إياسو الزائد بهرر دفعه لإبعاده عنها وتعيينه وإليا لولاية "كافا" في 1916م ولكبر حجم الضرر الذى أصابه من هذا القرار انخرط تفري في التيار الذى كان يخطط لعزل إياسو ألا أنه حرص على أن لا يظهر له أي دور، فنسق بعناية بين المتآمرين وتشير بعض المصادر إلي أنه أعد التهم الموجهة ضد إياسو بالردة والخيانة.(69)

بنجاح الإنقلاب في 1916/9/27م حصد تفري النتيجة: عُين ولياً للعهد ووصياً علي الملكة ورقي لرتبة رأس وكان عمره وقتها 24 عاما. وأصبح هو الماسك بزمام الأمور، غير أن فترة ولايته للعرش والتى استمرت أربعة عشرة عاما كانت مليئة بالصراعات والعقبات على المستويين الداخلي والخارجي.

لعبت الإمبراطورة دوراً حيويا وكانت لها أحيانا يد في وضع السياسات، لكن كان الوصي على العرش وولي العهد وحده المسئول عن أعمال الحكومة إليومية، بدأ متحمسا لواجباته يتعاطى شخصيا مع أي شئ من المفاوضات لإبرام اتفاقية إلي الأذن باستيراد مسدس..وكان أيضاً لا يتعب، يعمل يومياً من السابعة صباحاً وحتى

العاشرة ليلاً ساعياً لتطوير اداراته في إطار التقاليد والعادات الحبشية وبدأ خطواته بالعاصمة أديس أبابا متوقعاً تكيف سكانها بسرعة مع التغيير ومركزاً على التعليم.

بمجرد تنصيب ذوديتو وولي عهدها، انفجرت حركات المعارضة والتمرد خاصة في الشمال بين الزعماء والقادة العسكريين بالإضافة إلي مقاومة ليج إياسو الذى أصبح متحالفا مع زعماء العفر وبعض قادة "ولو" المتمردين.

وداخل البلاط ظهر أن تسوية 1916م كانت الحل الوسط والممكن لأطراف الصراع والمتآمرين على ليج إياسو خاصة مجموعة نبلاء شوا والبعثات الأجنبية فزوديتو لا خطر منها وليست لها ميزة غير أنها أبنة منليك وتفري كانت له مواقف ايجابية من الدول الإستعمارية الثلاث وكان ذا خلفية تشي بانفتاحه وتفهمه للأجانب، ولكن هذه التسوية أظهرت أيضاً التناقض بين طرفيها حيث اعتبرت شاذة وغريبة لأنها حملت في قرار واحد تعيين الإمبراطور وولي عهده الذى هو أيضاً الوصي على الإمبراطور. كانت الإمبراطورة في الأربعين من عمرها ومع ذلك اعتبرت قاصرا. كما كانت التسوية غامضة ومبهمة وحملت أيضاً الإزدواجية لقمة السلطة حيث لم تحدد بوضوح سلطات الطرفين مما فتح المجال لانفراد تفري بالقرار وجمع السلطات فى يديه.

التباين بين الاثنين قاد إلي صراع بين تياريهما: زوديتو كان تعليمها محدوداً وصُنفت كمسيحية مخلصة ومحافظة بينما كان تفري مثقفا ومنفتحاً وله برامج طموحة للتحديث.

كان ولي العهد أصغر منها بعشرين سنة، ولم يكن لديها أى نشاط عام، وقد كانت زوديتو قد تزوجت ثلاث مرات وجميعها زيجات سياسية من رأس أرايا سيلاسى أبن الإمبراطور يوهانس، ثم داجاش/ويبى انتاف سجد، وأخيراً رأس/ قوقسا وإلي، ومع وصول إياسو للسلطة تم نفيها خارج أديس أبابا وجئ بها فجأة إلي قمة السلطة بعد خمس سنوات من العزل.

لم ينتهي الصراع رغم حل مجلس الوزراء وتكوين مجلس مصغر من خمسة وزراء وبدأت زوديتو متارجحة بين تمسكها بالتقاليد وانحيازها لولي عهدها الذى يملك برنامجاً واضحاً للتغيير والتحديث.

ووقف في صف المحافظين وزير الحرب فيتوراري/هبتا قرقيس الذى ظل في هذا المنصب منذ 1907م وكان له من الإرث والملكات القيادية ما منع تفري من اتخاذ أى اجراء ضده إلي حين وفاته في 1926م حينها ورث أرضه ورجاله وزاد من قوته العسكرية والإقتصادية.(70) وبعد وفاة هبتا قرقيس، ضغط عدد من مؤيدي وأنصار تفري مطالبين بتتويجه ملكاً.

كان تفرى يتجرك بهدوء نحو السلطة العليا، يخطو بحذر ولا يخاطر أبداً بخطوة خاطئة أو أخرى قد تعرضه للخطر، وتدرج من أمير "ليج" ثم قائد منطقة "دجاز" ثم إلي قائد جيش " رأس"، وأخيراً أذعنت الإمبراطورة فى 27 أكتوبر 1928م وتوجته "نقوس" أى ملكاً بواسطة الكنيسة وأصبح بذلك "النقوس" الوحيد فى الإمبراطورية " اللقب الملكى الذى لم يمنحه لأحد آخر غيره طوال فترة حكمه وبذلك تم تسخير الكنيسة وغدت الإمبراطورة مجرد رمز.(71)

وإلي تلك اللحظة تمكن تفري من إخماد العديد من حركات التمرد والعصيان ففي 1920م استاء عدد من القادة العسكريين من تجريد ولي العهد الإمبراطورة من سلطاتها وبدوا تحركا بقيادة داجاش/ بلاشاسامو حاكم ولاية سيدامو متهمين تفري بأنه يبيع البلد في إشارة للإمتيازات التى منحها للاجانب، ولكن تحركهم فشل والقي القبض عليهم وسجنوا وصودرت ممتلكاتهم. تحدى داجاش/ اباويكاو بيرو قائد الحرس الإمبراطوري تفري أيضاً واظهر اخلاصا للامبراطورة ولكن تفري تمكن من سحق تمرده أيضاً. وفى الشهر الذى توج فيه ،حدث تمرد كبير فى إقليم "والو" وإنتشر فى كل مناطق الأرومو الذين طالبوا بعودة الأمير إياسو إن كان ما زال حياً أو معرفة مصيره(72)، غير أن تمرد الرأس قوقسا كان هو الأخطر، فهو زوج الإمبراطورة السابق وحمّل تفري مسؤولية انفصاله عن زوجته وكانت له اقطاعية كبيرة في ولاية قندر بدأ تفري يطمع في توزيعها على مؤيديه كما أن السيطرة على دخل الجمارك من محطة المتمة الحدودية مع السودان أضاف عاملاً آخر للصراع.

ويقال إن الإيطاليين في اريتريا حرضوا قوقسا على التمرد والعصيان كما حرضه أيضاً حاكما قوجام رأس/ هايلوتكلا هيمنوت وتقراي رأس/ سيوم منقشا. ورغم توسلات الإمبراطورة لزوجها السابق كان الصدام محتما في نهاية 1930م حيث استخدمت الطائرات الحربية لأول مرة لسحق التمرد الذى قتل فيه قوقسا، وبعد يومين توفيت الإمبراطورة ليتوج تفري امبراطورا و"ملك الملوك" واختار أسم هيلاسلاسي وتعني قوة الثالوث المقدس في 2/نوفمبر1930م في حفل لم تشهد له الحبشة والمنطقة مثيلاً من حيث الترف والأسراف والبذخ، أستخدم للحفل منظمي المهرجانات والاحتفالأت من أوروبا، كما تم استجلاب المركبة الرسمية لألمانيا الإمبراطورية لتنقل الزوجين الملكيين، الذهب والمخمل كانا في كل مكان ونظمت حملة ضخمة لتجميل العاصمة أديس أبابا وأزيلت الأحياء الفقيرة من واجهة الطرق الرئيسية وانيرت القصور الملكية وعبدت الطرق المهمة وحتى رجال الشرطة البسوا

حلة جديدة ونصب تمثال ضخم لمنليك على هيئة فارس على ظهر جواد، وكان الحضور العالمي لممثلي الدول والملوك والصحفيين يتناسب وهيبه المناسبة.(73)

بدأ هيلاسلاسي برامجه لتحديث الإمبراطورية منذ أن كان وليا للعهد خاصة بعد زيارته لأوروبا في العام 1924م، فقد ادخل أول مطبعة "برهان سلام" في 1923م ثم توسع فى استيراد واستخدام السيارات وزاد عدد الطلاب الأحباش المبعوثين للدراسة بأوروبا كماالجتهد في استتباب الأمن ومحاربة عصابات الشفتة واستخدم الجيش في ذلك. ومع التقدم في تنفيذ هذا البرنامج أخذ تفري يصبح مركز الدولة والمتحكم بشؤونها ونمت بموازاة ذلك ميوله نحو التفرد وحب السيطرة وإعجابه بمظاهر التقديس التى احيطت به وكانت نتائج خطواته السابقة أن أنهى الإقطاع الإقتصادى كما كان سائداً منذ قرون على أيدي النبلاء وقادة الإمبراطورية الذين كانوا يتحكمون في الحياة الإقتصادية والسياسية للشعب وكان بديل هيلاسلاسي تقسيمَ هذا الأرث فأصبحت السلطة السياسية بيد الملكية وضمن للنبلاء امتيازاتهم الإقتصادية.

هذه التسوية كانت جوهر الدستور الذى وضعه هيلاسلاسي في 1931م(74)، كما حسم الدستور الصراع بين مطالب النبلاء المتمسكين بوراثة مقاطعاتهم وطبقة الصفوة من المثقفين والوزراء الذين دعوا لأن تكون كل التعيينات بما فيها حكام الولايات على أساس الكفاءة والجدارة لا التوريث وانحاز الإمبراطور للاخيرين.

بالإضافة لذلك فإن الدستور الذى وُضع على غرار الدستور الإمبراطورى الياباني، نُظر إليه باعتباره محاولة لإيهام أوروبا والعالم الخارجي بسير الحبشة على مدارج التحديث ومتطلبات العصر ولم تكن لبنوده او المؤسسات التى اقامها فعالية تُذكر، فالبرلمان كان يعين الشق الأول منه – مجلس الشيوخ – من قبل الإمبراطور من بين طبقة النبلاء بالوراثة والنبلاء بالتعيين "ماكوانيت" والشق الثاني – مجلس النواب – كان يجري انتخابهم بصورة غير مباشرة من قبل الطبقة العليا الأرستقراطية، ولم تكن للبرلمان صلاحيات تذكر وبدلاً من ذلك نص الدستور بوضوح على أن يبقى الحكم والعرش في أسرة هيلاسلاسي وركز كل السلطات والصلاحيات بيد الإمبراطور من إصدار التشريعات وتعيين الوزراء وحق إعلان الحرب وإجراء المفاوضات وإبرام المعاهدات ولم يكن للبرلمان حق مناقشة القوانين دون موافقة الإمبراطور، كما لا يحق له مناقشة الميزانية أو الموافقة عليها.

لم تكن هناك حياة برلمانية قبل 1931م، ولم تشهد البلاد حركة فكرية أو مطالبة بحقوق دستورية وكان دستور 1931م كما وصفه الإمبراطور نفسه في الخطاب

الذى صدر به الدستور " تنازلاً منه للشعب بمحض إرادته عن بعض حقوق السيادة التى كانت مقصورة عليه" ولكنه كان تنازلاً شكلياً واهتم الدستور بصورة اساسية بتنظيم العلاقة بين الملكية والنبلاء وقصد الإمبرارطور أن يرأس البرلمان صاحب ولاء شخصي له ومن خارج طبقة النبلاء الذين حرروا بدخولهم للمجلس شهادة وفاتهم سياسيا.(75)

المعارضة الوحيدة للدستور كانت من رأس/ هايلو ابن الرأس/عدار في قوجام الذى ورث عن والده ولاية شاسعة وغنية، وعبر مجموعة من التحالفات والزيجات خلق لنفسه ما يشبه الحكم الذاتي لولايته التى حولها الدستور الجديد لمجرد مقاطعة ووسع من أعماله التجارية وكان يماثل الإمبراطور في الدهاء والمُكر، استغل الأخير استياء مواطني قوجام ورجال الدين فيها من الضرائب العالية التى كان رأس/هايو يفرضها عليهم، كما استغل أيضاً مساعدة رأس/هايلو في فرار ليج إياسو من سجنه بالولاية فقبض عليه الإمبراطور وحكم عليه بالإعدام الذى خفض للسجن ومصادرة الممتلكات. في العام التالي 1934م توفي حاكم ولاية جما "ابا جيفار" الذى كان يتمتع بحكم اقليمي موسع فتمكن هيلاسلاسي من ضم ولايته نهائيا منهياً عهد السلطنات والولايات شبه المستقلة.(76)

حكم الولايات أصبح شبه مركزي وبدأ الإمبراطور في تعيين القريبين منه لحكمها خاصة في الجنوب والغرب والشرق. كان الشمال وحده مصدر القلاقل، مقاطعة "ولو" ما زالت تتمرد بين الحين والأخر رغم تعيين أكبر أنجال الإمبراطور "اصفاوسن" وإليا عليها اما مقاطعة التقراي فكانت خارج سيطرة الإمبراطور تقريبا رغم محاولات ربط حاكميها –حفيدي الإمبراطور يوهانس– بعمليات الزواج والمصاهرة التقليدية رأس/سيوم منقشا يوهانس زُوجت أبنته "والأتا اسرائيل" من أبن الإمبراطور الأكبر وولي عهده "اصفا وسن"، حفيد الإمبراطور يوهانس الأخر رأس/ قوقسا ارايا تم تزويجه من أبنة اخت هيلاسلاسى وأبن قوقسا تم تزويجه من "ذاناباورق" أبنة الإمبراطور.

ظاهرياً لم يلجأ هيلاسلاسى للأساليب السافرة والعلنية فى إضطهاد المسلمين ولكنه أتبع نفس الإجراءات بإبعاد المسلمين عن وظائف الدولة ودواوينها، وعن الحياة السياسية عامة، وسمح لهم بممارسة الأنشطة الخاصة من تجارة وزراعة ورعي، وهذا ما وصفه بعض الكتاب الأوروبيين بأنه "تسامح دينى بسيط"(77)

وغني عن القول أن الدين المسيحي خاصة المذهب الأرثوذكسى، كان يتمتع بحماية الدولة وأعتبر مذهبها الرسمي ونص على ذلك الدستور الذى ربط بين الجنسية الإثيوبية والمذهب الأرثوذكسى، وتمتع مطران الكنيسة بعضوية مجلس التاج ومجلس الوصاية. وتكتظ إثيوبيا بالكنائس والأديرة والكهنة والرهبان، وكان للكنيسة قرابة ثلث الأراضى الزراعية (78) كما توجد بغرب إثيوبيا طائفة إليهود الفلاشا والذين لم يسجل لهم حضور أو دور فى الحياة العامة بإثيوبيا نظراً لقلة عددهم وانعزالهم واحتقار الإثيوبيين لهم.(79)

ولم يُضمن الإيطاليون يهود الفلاشا فى تقديراتهم التى أصدروها للتوزيع الديني لسكان الحبشة فى العام 1939م، فمن ضمن 7.500.000 نسمة هم عدد السكان آنذاك كان المسلمون منهم 50% والمسيحيون 38% والوثنيون 12% .(80)

فترة الانتقال في حكم الولايات التى سادت بين 1931م – 1935م كانت لها انعكاسات سالبة على القوة العسكرية التى كانت تقليدياً تجمع من الولايات بواسطة حكامها.

إهتم الإمبراطور ببناء جيش عصري واستخدم لذلك بعثة عسكرية من بلجيكا بدأت تكوين وحدات الجيش النظامي العصري بالحرس الإمبراطوري وفي 1934م تم افتتاح كلية تدريب الضباط في "هولتا" بغرب العاصمة بواسطة بعثة عسكرية سويدية. وعندما بدأ هجوم الإيطاليين على الإمبراطورية، إنضم بعض حكام الولايات الشمالية للقوات الإيطالية وعُينوا حكاما لهذه الولايات بعد الإنتصار الإيطالي وأخرون قاتلوا بدون حماس ومكرهين تحت قيادة حكامهم الجدد، ولم يكن الجيش النظامي الذى شرع في تكوينه ذا فعالية ولم تكمل الدفعة الأولى للضباط في كلية "هولتا" تدريبها عند بداية الغزو.

لتنفيذ برامجه للاصلاح والتحديث استعان الإمبراطور بخبرات ثلاثة مستشارين أجانب هم الجنرال فيرجين السويدي الجنسية للشؤون الخارجية، وكولسون الأمريكي للشؤون المالية وابيرسون الأمريكي أيضاً للشؤون القانونية، وشملت برامجه أيضاً استبدال بنك الحبشة الذى كان تحت إشراف البنك الأهلي المصري منذ انشائه في 1905م ببنك وطني سمي " البنك التجاري الأثيوبي"، وكان دخل الدولة انذاك ينحصر في الجمارك والضرائب التى تطورت ببطء وعائدات تصدير المزروعات التى بلغت في 1923م، 2 مليون جنيه استرليني.(81)

إلي العام1936م، لم تُضع ميزانية للبلد بالمعنى المعروف، كانت معظم الإيرادات والمنصرفات أشياء عينية: محاصيل، حيوانات، ذهب، ولم يكن هناك فرق بين ميزانية الإمبراطور وميزانية الدولة، وكانت حصيلة الدخل من: ضرائب الأقاليم، الجمارك، نصيب الدولة في خط السكة الحديد، وأخيراً تصدير بعض المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والبن.

ورغم ذلك فأنه بوجود ابن عمه الوفي رأس/أيمر حاكماً على (قوجام)، وذا الولاء المماثل كبير الأسرة المالكة رأس/كاسا حاكماً على (بقمدر)، وابنه الأكبر وولى العهد حاكماً على (والو)، وشخصه فى (شوا)، أشعر هيلاسلاسى ولو مؤقتاً بالأمان، فالأقاليم الخمسة التى شكلت الإمبراطورية التاريخية صارت فى النهاية تحت سيطرتة.(82)

(6) سياسته الخارجية:

انحصرت سياسة هيلاسلاسي الخارجية منذ أن عُين وصيا ووليا للعهد في 1916م وحتى الإجتياح الإيطالي لبلاده في 1936م، في قضايا محددة، اراد ادخال بلاده في نادي الدول الحديثة والعصرية بجلب وسائل الرقي ونُظم الإدارة الحديثة، وأراد أيضاً دخول عصبة الأمم والحصول على منفذ بحري والتصدي لمخططات الدول الإستعمارية الطامعة في بلاده، وفي مقابل هذا كان عليه التعامل مع متطلبات العالم الخارجي خاصة فى قضيتي تجارة الرق وتجارة السلاح وضمان مصالحها في بلاده.

أدرك هيلاسلاسي مبكرا أن لبلاده مشكلة حقيقية في صورتها لدى أوروبا فاتبع اسلوب العلاقات العامة معلنا في نوفمبر 1918م إلغاء تجارة الرقيق وتنظيم بيع السلاح وكان الأثنان مهمان من أجل تجاوز الحظر على السلاح الذى فُرض على بلاده في 1916م.

تصاعدت قضية الرق عندما بدأت الحبشة خطوات الانضمام لعصبة الأمم، حينها دُعيت الدول الأعضاء بالعصبة لتقديم تقاريرها عن الطلب الحبشي، وقد إعترف التقرير الفرنسي بوجود الرق في الحبشة وباستمرار تجارة الرق منها إلى المنطقة العربية، لكنه أشار إلي انخفاضها بشدة منذ 1916م شاكراً النظام الجديد في أديس أبابا(83). كان الرق متفشيا بالحبشة فبدأ ولي العهد حملة لمحاربته متاثراً بالدعاية التى كانت تبثها ضد بلاده جمعيات ومنظمات مثل جمعية محاربة الرق ببريطانيا، وفرض تفري في 1921م تطبيق قانون 1918م لمنع الرق مع أمر لكل الحكام بمنع تجارته، وعندما اعترضت بعض الدول من بينها بريطانيا على طلبه دخول عصبة الأمم وجه لها رسالة مؤثرة فعمدت لتخفيف شروطها لقبول طلبه ونال عضوية عصبة الأمم بعد تعهده بالتخلص كلياً من تجارة الرق.(84)

من المفارقات هنا أن بريطانيا مع سويسرا والنرويج واستراليا، عارضت طلب الحبشة لدخول العصبة بينما أيدته كل من فرنسا وإيطاليا، وكانت لكل من فرنسا وإيطاليا وبريطانيا منطلقاتها في فرض حظر السلاح وإعاقة الدخول للعصبة، فبريطانيا كانت قلقة حقا على أمن مستعمراتها المجاورة للحبشة بينما كان موقف إيطاليا خداعا في سبيل هدفها النهائى بفرض وصايتها على الحبشة وجعلها محمية لها، أما فرنسا فكان تأييدها بسبب ما تمثله الحبشة من عامل ازدهار لمستعمرتها في أرض الصومال.

وجاءت المعارضة لدخول عصبة الأمم أيضاً من طبقة النبلاء التى خشيت من اجتياح بلادهم من قبل الأجانب وكانت عقيدة الشك في الأجانب عقيدة راسخة وسط الشعب وقادته، اضافة إلي أن منع الرق يضر بمصالحهم الاقتصادية المباشرة، وأعقب الحملة ضد الرق صدور مرسوم بالسيطرة على السلاح في 1924م في إجراء قصد منه التأثير على أوروبا. ومع ذلك كان الرق وتجارته مستمرة خاصة على الحدود الغربية حتى نهاية الثلاثينات.

بعد تنصيبه أصدر هيلاسلاسي في 1931م، قانوناً بتحرير كل عبد فور وفاة سيده وكذلك العبيد المنخرطين في الجيش وفي نفس العام افتتح الإمبراطور مكتبا لمكافحة الرق، وفي العام 1933م تم تحرير 1427 عبداً وازدادت المكاتب المخصصة لمكافحة الرق إلي 64 مكتبا في العام 1934م والحق بها قضاة مسؤولون عن عمليات تحرير العبيد ومعاقبة المتاجرين بهم وتم في ذلك العام تحرير 3647 عبداً.

لقد عبرت الأطماع والمخاوف الإيطالية والبريطانية عن نفسها بوجه آخر بعد دخول الحبشة لعصبة الأمم في 1925م، استجابت لندن لضغوط روما وبدأتا معاً تبادل الرسائل بشأن تقاسم نفوذهما بالحبشة " أو التطبيق العملي لاتفاقية 1906م"، عرضت إيطاليا تنفيذ خط السكة الحديد لربط مستعمرتيها في الصومال وإريتريا وأيضاً منحها حق استقلال غرب الحبشة اقتصاديا مقابل أن تمنح بريطانيا حق تنفيذ سد بحيرة تانا وطريق من البحيرة إلي مستعمرتها في السودان، عندما توصل البلدان للاتفاق أخطر ولي العهد به والذى اعتبره " محاولة لممارسة ضغط على بلاده" محتجا على مبدأ أن تصل بريطانيا لاتفاق مع حكومة أخرى بشأن بحيرة تانا.(85)

كان رد فعل ولي العهد قويا وفوريا حيث تقدم بشكوى لعصبة الأمم مذكرا دول العصبة بواجبها في حماية استقلال بلاده واصفا سلوك لندن وروما بأنه " غير برئ وله اهداف سياسية ويتعارض مع المبادئ الجوهرية لعصبة الأمم" وأشار إلي أن الحديث عن أن الأتفاق بشأن أهداف اقتصادية فقط لا معنى له " لأن النفوذ الاقتصادي مرتبط بصورة وثيقة بالنفوذ السياسي".(86)

تراجعت بريطانيا وإيطاليا عن اتفاقهما في مواجهة الموقف الحبشي الذى دعمته فرنسا – والتي إتهمت الدولتين بخرق معاهدة 1906م الثلاثية– وقد سعت إيطاليا في 1928م للوصول لاتفاقية منفصلة وفضفاضة مع الحبشة في حين قلل من اهتمام بريطانيا بالمشروع اكتمال خزان سنار في 1926م وتدهور أسعار القطن.

اما ولي العهد فيبدو أنه كان له أكثر من سبب للتخوف من المشروع رغم أنه ظل مثار بحث بينه وبين بريطانيا منذ 1922م، فقد كانت لبريطانيا علاقة قوية بحاكمي قندر وقوجام على هضبة بحيرة تانا خاصة مع حاكم قوجام الرأس هايلو تكلا هيمنوت، وخشى أن دخلت بريطانيا للمنطقة أن تعمل على تقويته ومده بالأسلحة وربما تشجعه على التمرد او الإنفصال.(87) وفي خطوة لاحقة قام ولي العهد بعرض المشروع – انشاء خزان بحيرة تانا – على شركة جي وايت الأمريكية للانشاءات، إلا أن الكساد العالمي وانعدام التمويل وقفا عقبة أمام تمويله وإنشائه.

قام ولي العهد رأس تفري، في 1922م بأول رحلة له للخارج حيث سافر إلي عدن لحضور عرض جوي للسلاح الملكي البريطاني ورغم محدودية الرحلة وقربها إلا أنها تركت عنده ميلاً شديدا لبناء سلاح طيران وخطوط طيران مدنية وهو ما بدأ في تنفيذه لاحقا وكان له مدلولاته وتأثيره، غير أن الزيارة الثانية التى أخذته لأوروبا

طبعت كل حياته ومسيرته المستقبلية في الحكم لدرجة أنه خصص لهـا 40 صـفحة في مذكراته.(88)

بدأ رأس/ تفري رحلته الطويلة والتى استمرت لأكثر من 130 يومـا وشـملت ثمان دول مصحوبا بزوجته وحاشية ضمت منافسين محتملين من الذين قد يـستغلون غيابه لاغتصاب السلطة متوجها إلي جيبوتي في 1924/4/24. وبعد أربعـة أيـام صعدوا إلي القارب الذى اقلهم إلي قناة السويس وإلي جسر القنطرة حيث استقلوا من هناك قطارا إلي القدس واحتفلوا بعيد الفصح فيها ثم واصلوا زيارة منـاطق مقدسـة أخرى. وفي القدس أجروا مناقشات حول تأمين الدير الإثيوبي بها. (89)

غادرت الحاشية القدس يوم 1924/5/1 إلي القاهرة حيث استقبلت بحفـاوة من الملك فؤاد وأمضى الرأس/ تفري إليوم الثاني من الزيارة مع البطريرك قيورلـوس الذى قدم له رأس/ تفري هدايا متنوعة ضمت تاجاً ذهبياً ، عـصا ذهبيـة، صـليب ذهبي ورداءاً حريرياً مطرزاً بالذهب.

غادرت المجموعة الأسكندرية إلي فرنسا بتحية من البنادق. إظهـار الأحتـرام بهذه الطريقة تكرر في مختلف الموانئ التى زارتها المجموعة في طريق رحلتهـا ، وقد اثرت هذه الرحلة في رأس تفري كثيرا لدرجة أنه لاحقـاً سـرد كـل مناسـبة بتفاصيلها في سيرته.

في 16 مايو 1926م وصل ولى العهد إلي باريس - بعد توقـف فـي مينـاء مرسيليا- حيث استقبله رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعمدة باريس والـوزراء المهمون. عقد رأس/ تفري اجتماعات مع رئيس الوزراء ومع مـوظفين فـي وزارة الخارجية الفرنسية للحصول على منفذ إثيوبي إلي البحر الأحمر عبر محمية فرنسا، (جيبوتي). كان الموضوع الآخـر علـى الأجنـدة هـو إمكانيـة تحـسين اتفاقيـة (klobkowski) والتى تضمن للأجانب في الحبشة اعفاءً غير مستحق من القانون الحبشي.

وكان ممثل فرنسا في أديس أبابا قد أشار إلي أنه قد يكون ممكنـاً ترتيـب اتفـاق بخصوص جيبوتي. حاول رأس/ تفري إقناع الفرنسيين من خلال الإيحاء بأن إيطاليا وعدت بميناء مماثل في عصب . ومع ذلك فأنه لم يخرج بشئ منهم.

زار رأس/ تفري بلجيكا بدعوة من الملك البـرت . ومـن بلجيكـا سـافر إلـي لوكسمبورغ ومنها عاد إلي باريس عبر بلجيكا وبعد قليل غادر إلي الـسويد حيـث استضافه رئيس أساقفة اوباسالاً قبل أن يقابل الملك في قصره على البحـر خـارج استوكهلم في 1924/6/14م.

بعد يومين غادر ولى العهد إلي روما. وعلى الحدود الإيطالية استغل القطار الملكي لبقية الرحلة إلي روما حيث استقبل بواسطة الملك فيكتور امانويل والديكتاتور الإيطالي موسليني. كان الأستقبال الجماهيري طاغياً وجديراً بأن يُذكر حيث هتفت الجموع (عاشت ايطاليا) (عاشت إثيوبيا) (عاش صاحب السمو ولي العهد تفري). وعندما كان ولى العهد في روما، سعى للحصول على اطلالة على منطقة حرة لإثيوبيا في عصب. كان رد موسليني ومدير شؤونه السياسية مسودة اتفاقية تضمن الأمتياز لكن وفي نفس الوقت تجعل من إثيوبيا محمية إيطالية، متفاجئا برفض طلبه أبلغ رأس/ تفري الحكومة الإيطالية بطريقة دبلوماسية بأنه سيقدم المسودة للمجلس في أديس أبابا ، مدركاً أنها لن تنال القبول. وبعد مقابلة البابا عاد إلي باريس.(90)

في 7 يوليو1924م غادر رأس/ تفري وحاشيته باريس إلي انجلترا بعد حفاوة واهتمام فرنسي بالغين حيث رافقتهما عند مغادرتهما ساحل فرنسا سفينتان وتمت تحيتهم بإحدى وعشرين طلقة. وفي لندن ضغطت وزارة الخارجية على الملك جورج- الذى كان متافقاً من الزيارة- للاحتفال بالضيف الإمبراطوري. خلافاً للشعب والصحافة البريطانية الذين تابعا زيارته بشغف واهتمام.

التقى رأس/ تفري برئيس الوزراء رامسي ماكدونالد بخصوص الخلافات الحدودية وأيضاً بخصوص الرغبة البريطانية في بناء سد على بحيرة تانا، ولكن رأس/ تفري قرر أن يحتفظ بحق الحبشة في التصرف المستقل في الموضوع.

وخلال مناقشاته مع رئيس الوزراء أثار رأس/ تفري حظر السلاح الذى فرض من قبل القوى العظمى وخصوصا اتفاقية السيطرة على السلاح في عام 1919 والتى وقعت من قبل بريطانيا، فرنسا،وإيطاليا والقيود الأخرى التى فرضت في عام 1923م، وكانت المحادثات بلا جدوى، لأن رئيس الوزراء شدد على أن أى قرار يتعلق بهذه المسائل يجب أن يتخذ بالتشاور مع فرنسا وإيطاليا . تناول الرأس أيضاً موضوع الحصول على منفذ إلي البحر عبر الصومال البريطاني.(91)

عندما كانت الحاشية تستعد للمغادرة، أهدى الملك جورج رأس/ تفري واحداً من تيجان الإمبراطور تيودور التى غنمها جيشه بعد هزيمتهم للإمبراطور قبل ستين عاما في " مجدلا".

وفي إليونان صاحبت الوفد طائرات ورحب به من خلال إطلاق الطلقات . وفي 21 أغسطس غادر الوفد اثينا عائداً إلي القاهرة حيث استمرت المناقشات بخصوص

تامين الكنيسة الأثيوبية في القدس. وقد ترك الوصي على العرش وفدا منه لمواصلة المناقشات عائدا إلي بلاده في 4/ سبتمبر.

لقد حببت الرحلة إلي أوربا رأس/ تفري للجمهور في البلدان التى زارها. سحرهم سلوكه اللطيف ومشهد أمير أفريقي مستقل يدعي أنه من سلالة سليمان وسبا ووريث بلد هزم جيش أوروبي جعله فاتنا بالنسبة للجمهور الأوربي وتركت عليه بالمقابل آثاراً كبيرة:-

بعد عودته مباشرة من الرحلة أمر ببناء مدرسة تفري مكونن والتى بُنيت في الجانب الآخر من شارع قصره. فتحت المدرسة في مايو 1925. وفي 1931م أقنع زوجته الإمبراطورة (منن) بتأسيس مدرسة تحمل اسمها. كما أنشأ مستشفى جديداً مقابل لقصره.(92)

كانت الرحلة – وقبلها دخول عصبة الأمم – قمة نجاح رأس/تفرى الخارجي في عهد ولايته للعرش فقد كسب تعزيز مكانته الدولية وقوى من عزمه بإدخال الأساليب الأوروبية الحديثة في الإدارة، بعث سفراء وممثلين له بالخارج، وبدأ بإرسال الطلاب والمبعوثين للدراسة بأوروبا وأدخل السيارات والألات الحديثة لبلاده، وزاد من ارتباطه بالأجانب ومنحهم التسهيلات وتخفيض الضرائب عليهم حتى اتهم من قبل مناوئيه بأنه باع البلاد وارتد عن المذهب الأرثوذكسي وأصبح كاثوليكيا.(93)
وبالرغم من نجاح العلاقات العامة الذى حققه رأس/ تفري للحبشة ولنفسه، لم يستطع تأمين وأحد من الأهداف الرئيسية لرحلته : الحصول على منفذ إلي البحر.

مراجع الفصل الأول

1. عمر محرم أحمد عبد الرحمن، معركة عدوا وآثارها على الصراع الاستعماري في شرق أفريقيا 1896 – 1935، بحث لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة .
2. مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ،دار الجيل ، بيروت، 1991م، ص 469.
3. محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، 1820–1955م ، الخرطوم– 1992م، ص 313.
4. المرجع نفسه، ص 257.
5. المرجع نفسه، ص 272.
6. برخيت هابتي سيلاسي ، الصراع في القرن الأفريقي، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت 1980م ص 201.وأيضاً راجع الخريطة رقم(1)
7. Bahru Zewde, Ahistary OF Modern Ethiopia 1855-1991, Adis Ababa University Press, 2002 – P 65
8. جاد محمد طه، فاشودة، رسالة لنيل درجة الدبلوم ،غير منشورة ، معهد الدراسات الأفريقية، جامهة القاهرة ، 1959م. ص 28.
9. برخيت هابتي سيلاسي، مرجع سابق، ص 28.
10. عبد الغفار محمد حسين، سلطنة هرر تحت النفوذ المصري من 1875 –1885، رسالة دبلوم من معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة –1965م، ص 119.
11. Harold G. Marcus, ,THE LIFE AND TIME OF MENELIKE 11 1844-1913, OXFORD 1975, P.180
12. برخيت هابتي سيلاسي – مرجع سابق، ص 112.
13. راجع ملحق رقم (1) نص منشور منليك للدول الأوروبية.
14. Harold G. Marcus, Op.cit, p.194
15. Ibid, p.217
16. Ibid, P.193

17. Bahru Zewde Op.cit, P. 108
18. صادق المؤيد العظم ، رحلة الحبشة – من الإستانة إلي أديس أبابا 1896، دار السويدي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي 2001م، ص 154 و206.
19. المرجع نفسه، ص 27.
20. أحمد إبراهيم أبو شوك، مذكرات يوسف ميخائيل –التركية والمهدية والحكم الثنائي، مركز عبد الكريم مرغني الثقافي، أم درمان 2004م
21. Bahru Zewde, 0p.cit, P 114
22. Harold G. Marcus, Op.cit P. 207
23. شغل منصب نائب المفوض البريطاني بمصر وكان ضمن بعثته العقيد ونجت الذي أصبح لاحقاً حاكم عام السودان .راجع : البخاري عبد الله الجعلى ، حدود السودان الشرقية مع إثيوبيا وإريتريا ، الدوحة 2000م ، ص 66.
24. المرجع نفسه ، ص 65.
25. المرجع نفسه ، ص32.
26. المرجع نفسه ، ص 33.
27. المرجع نفسه، ص 81 و 82.
28. دار الوثائق القومية ، ملف التقارير الأمنية من قمبيلا رقم INTLE 1/14/63
29. محمد عمر بشير، مشكلة جنوب السودان – خلفية النزاع من الحرب الداخلية إلي السلام، ترجمة هنري رياض، دار الجيل – بيروت– 1983م ص 61.
30. في يونيو عبرت مجموعة تتكون من 40 رجلاً وأمرا' وطفل الحدود من الحبشة إلي مركز الكرمك هرباً من اضطهاد سادقم الوطاويط ونزلوا في منطقة "شيمة" وما لبث هؤلاء أن لحقوا هم وأعادوهم بالقوة إلي الحبشة، ونقل مفتش مركز جنوب الفونج جيمس روبرتسون الحادث ببرقية وصلت للخارجية البريطانية وأثير الحادث بمجلس العموم فسارع الإمبراطور هيلاسلاسي لعقد مؤتمر مشترك لمسئولي الحدود في البلدين بالكرمك

لمحاولة إنهاء مثل هذه المشاكل. راجع: جيمس روبتسون، السودان من الحكم المباشـــر إلي فجر الاستقلال، دار الجيل بيروت 1996م ص 107.

31. السير هارولد ماكمايكل : بريطاني التحق بخدمـــة حكومـــة الـــسودان بـــين 1905م و1934م ووصل حتى منصب السكرتير الإداري .

32. مجلة الفجر، عدد 24 تاريخ 1935/8/1 ، الخرطوم .

33. Hailesellassie,: My Life And Ethiopia's Progress, Volume one, Addis Ababa,1973.Edited and Translated by Edward Ullendorff ,Oxford,1976 P.107

34. جيمس روبرتسون ، مرجع سابق ، ص 99.

35. دار الوثائق القومية، أنظر مثلاً: ملف المراسلات الخاصة بمشاكل الحدود بـــين الحبـــشة والمستعمرات البريطانية 1925م، REPORTS 5/1/23

36. Bahru Zewde, OP.cit P. 93

37. Ibid, P 96

38. صلاح الدين شامي، الموانئ السودانية، مكتبة مصر، القاهرة 1961م ص 161.

39. دار الوثائق القومية، الخرطوم، تقارير التجارة الخارجية: Reports 4/12/46-48

40. دار الوثائق القومية ، الخرطوم، تقارير التجـــارة عـــبر الحـــدود: REPORTS: 3/1/1,2,34 –

41. Harold G. Marcus,OP.cit, P.214

42. صادق المؤيد العظم، مرجع سابق، ص 191.

43. المرجع نفسه ، ص 211.

44. Bahru Zewde.OP.cit P 120

45. فتحي غيث ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ص 253.

46. حسن عبد الرحيم الطيب،الملك المسلم ليج إياسو، مقال بجريدة الـــسياسة ، الخرطـــوم ، 1986/9/20م، عدد رقم 80.

47. المرجع نفسه .

48. Bahru Zewde.OP.cit P. 92

49. جمال الدين شامي، المنهل في تاريخ وأخبار العفر " الـدناكل" ، القـاهرة 1997م ، ص 354.

50. Bahru Zewde, OP.cit P. 125

51. Harold G. Marcus,, OP.cit, P.261

52. دار الوثائق القومية، الخرطوم، تقارير استخبارات أديس أبابـا 1914م، ملـف رقـم Intel:1/15/73

53. Bahru Zewde, OP.cit P. 127

54. دار الوثائق القومية، الخرطوم، تقارير استخبارات أديس أبابا 1914م، مصدر سابق.

55. Bahru Zewde, OP.cit P. 127

56. Ibid. P. 127

57. فتحي غيث، مرجع سابق ، ص 258.

58. Bahru Zewde , OP.cit P. 124 & Harold G. Marcus, OP.cit, P.258

59. انظر : فتحي غيث، مرجع سابق ص 257،زاهر رياض، مرجع سابق، ص 131، يذكر حفيد للامبراطور ليج إياسو من أبنته "افكو" التي لجأت للسودان بعد الغـزو الإيطـالي للحبشة أن جدته لامه ذكرت له ان جده ليج إياسو كان مسلماً. راجع الصادق إدريس منصور صحيفة السياسة، الخرطوم 1986/8/10م وأيضاً د. حسن عبد الرحيم الطيب، مرجع سابق.

60. Harold G. Marcus,OP.cit P.258_

61. فتحي غيث، مرجع، سابق، ص 258

62. Harold G. Marcus,, HAILE -SELLASSISI, THE FORMATIVE YEARS 1892-1936, New Jersey, RED SEA PRESS third printing 1998.P 7

63. حسن عبد الرحيم الطيب، مرجع سابق، يورد ان إياسو مـات مـسموما علـى يـد الإمبراطور هيلاسلاسي نفسه وان إياسو خاطب هيلاسلاسي عندما شعر بالسم يسري في جسده قائلا " إن كانت الأرض تناديك يا تفري فان السماء الطاهرة تدعوني".

64. Harold G. Marcus, HAILE -SELLASSISI, OP.cit.P.2

65. Indrias Getacher, beyond the throne -the enduring. legacy of emperor haile sellassisi,shamu books, Addis ababa,2001,P. 34

66. Ibid,P.74

67. Harold G. Marcus,, HAILE -SELLASSISI, OP.cit.P. 48

68. Indrias Getacher, op.cit P. 40

69. Harold G. Marcus, HAILE -SELLASSISI, OP.cit.P.18

70. Bahru Zewde,OP.cit P.132

71. Anthony Mockler, HAILESELASSIES WAR-THE ITALIAN-ETHIOPIAN CAMPAIGN,1935-1941,RANDOM HOUSE, NEW YORK, 1985,P.9

72. Ibid, P.9

73. Bahru Zewde,OP.cit, P.137

74. نص الدستور فى الملحق رقم "2".

75. Bahru Zewde,OP.cit,.P.143

76. Ibid.P.145

77. فتحي غيث، مرجع سابق، ص 264.

78. مكرم سويحة بخيت، إثيوبيا فى عصر الإمبراطور هيلاسلاسي الأول 1935- 1974م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - 1988م ، ص 252.

79. المرجع نفسه، ص 255.

80. فتحي غيث، مرجع سابق، ص 350.

81. Harold G. Marcus, HAILE -SELLASSISI, OP.cit.P.56

82. Anthony Mockler,OP.cit, P.20

83. Harold G. Marcus, HAILE -SELLASSISI, OP.cit.P.52

84. Indrias Getacher,OPcit,P.52

85. دار الوثائق القومية - الخرطوم - ملف المراسلات المتعلقة بالاتفاقية بين المملكة المتحدة وإيطاليا بشأن بحيرة تانا 1925م REPORTS 5/1/2

86. المصدر السابق.

87. دار الوثائق القومية – الخرطوم- تقارير استخبارات أديس أبابا 1914م ملف Intell:1/15/73 وأيضاً: John Waterbury, The Nile Basin, Yale University Press,London-2002, P.63

88. Haile Sellassie, OP.cit,.P.P. 81 -120

89. Indris Getacher,OP.cit, P. 55

90. Ibid, P. 58

91. Ibid. P. 59

92. Ibid, P. 61

93. Bahru Zewde.OP.cit, P.129

الـــفـــصـــل الثانى

الاحتلال الإيطالي لإثيـــوبيـــا

(1) الأطماع الإيطالية فى إثيوبيا.

(2) المسألة الحبشية.

(3) الغزو العسكري.

(4) الاحتلال والمقاومة.

(5) الإمبراطور فى المنفى.

(6) الأصداء العالمية لاحتلال إثيوبيا.

(1) الأطماع الإيطالية فى إثيوبيا:-

فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، تركز الصراع الدولي حول معاهدة فرساي (1919م) التى فرضت على الدول المهزومة وفى مقدمتها ألمانيا عقوبات قاسية حيث جردتها من سلاحها ووضعت لها سقفاً للتسلح وجعلت إقليم الراين منطقة منزوعة السلاح، ولكن هذا الإستقرار الهش الذى تولد عن معاهدة فرساي إهتز بالكساد الضخم الذى بدأ في 1929م وعصف بالإقتصاد الأميركي والأوربي وأثر على كل العالم وكان من عقابيله إعتلاء النازيين بقيادة هتلر للسلطة فى ألمانيا آوائل العام 1933م فأنهى توجه بعض الولايات للإنفصال وجعل من ألمانيا دولة موحدة وأدخل تعديلات عميقة على ميزانيتها وإقتصادها وأصبح شخصية محورية يجمع كل السلطات فى يده وإتجه لتحرير بلده من معاهدة فرساي للصلح مستعيداً قوة جيشه وجاعلاً من ألمانيا أكبر قوة أوروبية إستناداً إلي مواردها وإمكانياتها الطبيعية الضخمة.(1)

وكانت الإلية التى إرتضتها الدول المنتصرة فى الحرب لحفظ السلام والأمن الدوليين تواجه أول إختبار لها مطلع الثلاثينيات فيما عُرف بالمسألة المنشورية، حيث فشلت "عصبة الأمم" فى هذا التحدي ولم تمنع إحتلال إليابان لإقليم "منشوريا" الصينى ووقفت الدول الأوروبية موقفاً سلبياً من هذه الأزمة خاصة بريطانيا التى لم ترد التضحية بمصالحها التجارية الواسعة مع إليابان وفى شرق آسيا، مما ولّد الإنطباع بأن لندن تنظر لعصبة الأمم بإعتبارها أداة للتوفيق وليست نظاماً للأمن.(2) وأعتبرت المسألة المنشورية أول خيانة لميثاق العصبة حيث لم تدان إليابان كمعتدِ وإنما فقط للجوئها لإستخدام القوة مما أدى لإنسحابها من العصبة.

وفى روما صعد الفاشيون للسلطة بقيادة موسلينى فى 1922م مما أوصل الأحلام والتطلعات الإيطالية الإستعمارية للقمة وأعطى الفاشيون شعار إعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية الزخم المطلوب ولسوء حظ الأثيوبيين كانت بلادهم هى المسرح المثإلي لمحاولة تطبيق وترجمة هذه الأحلام.

كانت إيطاليا ما تزال تلعق جراح وعار هزيمة "عدوا" التاريخية ولذلك عندما إنشغل الحلفاء فى أعقاب الحرب العالمية الأولي بتقسيم غنائم الحرب، ركز الإيطاليون نظرهم على القرن الأفريقي، ورغم إستقرارهم فى إريتريا والصومال الإيطالي إلا أن فقر هذين الإقليمين جعلهم ينظرون لإثيوبيا كالثمرة الناضجة بمواردها الثرة من الأراضى الخصبة الشاسعة والمياه الكثيرة والمناخ المعتدل وبموقعها الجغرافى الذى

يربط بين مستعمرتيها فى الشمال – إريتريا – وفى الشرق – الـصومال الإيطـالي، وأكثر من ذلك تمثل إثيوبيا المرحلة الضرورية والأهم فـى تكـوين الإمبراطوريـة الإيطالية في أفريقيا من طرابلس إلي مقديشو(3) وقبل هذا وبعده كان الثأر لهزيمـة "عدوا" أحد شعارات التفاخر الفاشي.

المطلوب لشن العدوان هو حجة أو ذريعة وقامـــت حادثـــة "وال وال" بهـــذا الـــدور التاريخي.(8)



خريطة رقم (٣)

مطامع إيطاليا الإقليمية في أُفريقيا (مخططات ١٩٤٠م)

المصدر: مقتبس من كتاب L'Afrique Hitler vaulait الناشر: Editions L' Harmattan باريس ١٩٨٠

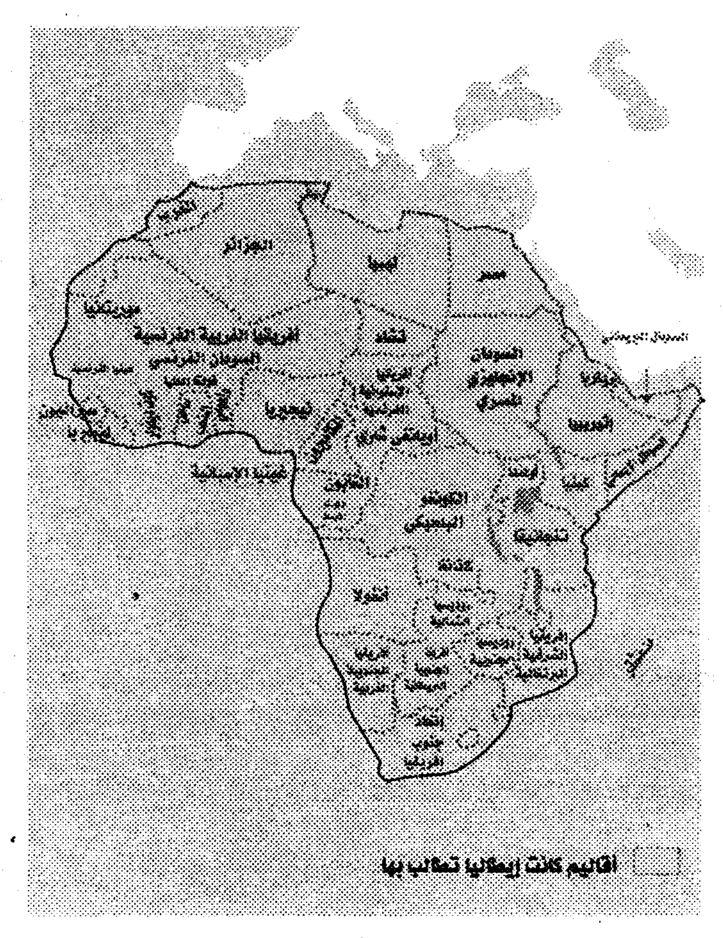
بدأ موسليني تحقيق حلمه عن طريق الدبلوماسية مستهدفاً تخلي بريطانيا وفرنسا عن مستعمرتيهما فى الصومال وجيبوتي وعن مصالحهما الإقتصادية المتمثلة فـى بنـك الحبشة وخط السكة الحديد من جيبوتي فى إطار أشمل لإعـادة ترتيـب المـصالح الإقليمية والإقتصادية للدول الإستعمارية الثلاث مما سيمنح إيطاليـا سـيطرة كاملـة علي مدخل إثيوبيا للبحر ويجعـل منهـا مـستعمرة حديثـة لهـا. لكـن الـدولتين الإستعماريتين لم تكونا على إستعداد للتخلي عن مصالحهما فى القرن الأفريقى رغـم الضغوط والمساومات الإيطالية.(4)

وفى محاولة جديدة غير موسليني من تكتيكه للوصول لهدفه فأراد كسب صداقة وثقة إثيوبيا فدعم طلبها لدخول عصبة الأمم في 1924م رغم التحفظ البريطاني، ومـرة أخرى حاول موسليني مع بريطانيا إبرام اتفاقية "أنجلو – إيطالية" بشأن إثيوبيا ورغم التصديق البريطانى على هذه الاتفاقية، إلا أنها تكسرت على عتبة الرفض الإثيـوبي والفرنسي القوى ومثل ذلك جرس إنذار لإثيوبيا بأن عصبة الأمم التى لم يمض على إنضمامها لها سوى عامين ويتصرف أثنان من أعضائها بهذه الطريقـة الـسافرة لا يمكن أن تحميها أمام ما هو آتٍ مستقبلاً.

لجأ موسليني فى 1928م للتقارب من جديد مع إثيوبيا فتوصل معها لاتفاقية منفـردة للسلام والصداقة نص فيها على أن تدوم لعشرين عاماً ولكنها لم تصمد لثمان أعـوام ونُظر إليها بإعتبارها تستهدف بعث الأمل الكاذب بالأمن لدى الإثيوبيين.(5)

فى موازاة ذلك كانت للإيطاليين سياسة مختلفة علي الحدود بـين مـستعمرتهم فـي إريتريا وإثيوبيا تقوم على إحداث التفرقة والكراهية بيْن الأمهرا والتقـراي وكـسب ولاء القادة الإقليميين في إقليم التقراي المحادد لإريتريا، وكانت القنصليات الإيطاليـة فى مدن الشمال عدوا، قندار، دبرماركوس، ديسي، أداة لتنفيذ هذه السياسة.(6)

كشفت إعترافات المارشال "أمبيلودى برنو" بعد الحرب العالمية الثانية أن موسـليني قرر غزو إثيوبيا في صيف 1933م وحدد لذلك تاريخاً أقـصاه 1936م(7) وكـان النازيون وقتها قد وصلوا للسلطة فى برلين وإضطر موسلينى للتراجع أمام هتلر فـي ممر "برينر" صيف العام 1934م، ولتغطيـة هزيمتـه علـى المـسرح الأوروبـي وخسارته الوشيكة لمطالبه فى النمسا، بحث الزعيم الفاشى عن مكان آخـر للـسلطة والمجد يعوض به الذل والإيأس وفشل الفاشية في الجبهة الداخلية وأصبح غزو إثيوبيا مهماً ليس فقط للإنعاش الإقتصادي بل كتكتيك إنصرافى ومعالجة جماعيـة، وكـان



خريطة رقم (٣)

مطامع إيطاليا الإقليمية في أفريقيا (مخططات ١٩٤٠م)

المصدر: مقتبس من كتاب L'Afrique Hitler voulait الناشر: Editions L' Harmattan باريس ١٩٨٠

(2) المسألة الحبشية:-

كانت إثيوبيا تعج بالأسلحة المنتشرة فى أيدي أفراد القبائل خاصة بمناطق الحدود وعانت المستعمرات المجاورة لها "البريطانية والفرنسية والإيطالية من حوادث التعدي على الحدود التى تقوم بها عصابات الشفتة" من أجل النهب والسرقة، كما كانت الحدود نفسها سبباً فى الكثير من النزاعات وعاملاً للتوتر وعدم الإستقرار، ومع إقتران ذلك بالنيات الإيطالية التى تبحث عن ذريعة للغزو كانت حادثة "وال وال" نتاجاً طبيعياً لهذا الوضع.

فى مطلع العام 1934م كانت النيات الإيطالية واضحة وفى 18 مارس 1934م أعلن موسليني من مقر اللجنة الفاشستية فى روما " أنني أحدد في هذا الموقف مستقبل الأجيال الإيطالية وأنه لا توجد مسألة حول غزونا لمناطق أفريقيا، ويجب أن يكون ذلك مفهوماً لدى كل الدول الأوروبية التى تمتلك مصالح إقتصادية فى أفريقيا، وأنه يجب أن نكون في هذه الوهلة في غاية الحذر قبل أن نتخذ أية قرارات عسكرية، ولكن إذا إتخذنا قرارنا العسكري فإننا سوف نسير للأمام ولن نفكر أبداً فى الرجوع والتقهقر، وبحلول 31 يوليو القادم فإن كل دوافعنا مثل إلغاء الرق وإدخال التقدم الحضارى في الحبشة لابد أن تصبح فى حيز التنفيذ"(9) وذكر موسليني فى ذات الخطاب أنه بعد خمسة أشهر في 18 أغسطس يجب على إيطاليا البدء فى التوسع بأفريقيا لأنها أمة قوية تحتاج إلي المواد الخام للنهوض بصناعتها والبحث عن مخرج للمهاجرين من شعبها حتى يمكنها تعويض تأخرها في الحصول على نصيبها من المستعمرات الأفريقية والذى أرجعه لضعف حكوماتها السابقة وترددها فى التوسع الإقتصادي الخارجى.(10)

كانت كل الشواهد تدل على أن منطقة "والوال" تتبع لإثيوبيا(11) وهى منطقة تكثر بها المياه وسط صحراء الأوغادين الجرداء التى تشكل المياه أمراً ضرورياً لسكانها البدو من رعاة الأبل، وبدأ الحاكم الإيطالي لمستعمرة الصومال منذ 1926م فى توسيع نطاق الحدود لتشمل تلك المنطقة وبدأت الدوريات الإيطالية تصل للمنطقة بإنتظام منذ 1929م وقام الإيطاليون فى 1930م بتشييد نقاط عسكرية حولها واحتلوها فعلياً، وعمد الإمبراطور هيلاسلاسى لإعادة السيطرة عليها بتزويد أحد قادة القبائل الصومالية الموإلين لإثيوبيا فى الإقليم " عمر سمنتر" بالأسلحة والاموال لتجنيد مليشيا لإستعادة المنطقة وطرد الإيطاليين منها، وأصبح الوضع بالمنطقة متوتراً وعندما وصلتها لجنة بريطانية إثيوبية مشتركة فى 20 نوفمبر 1934م لتعيين

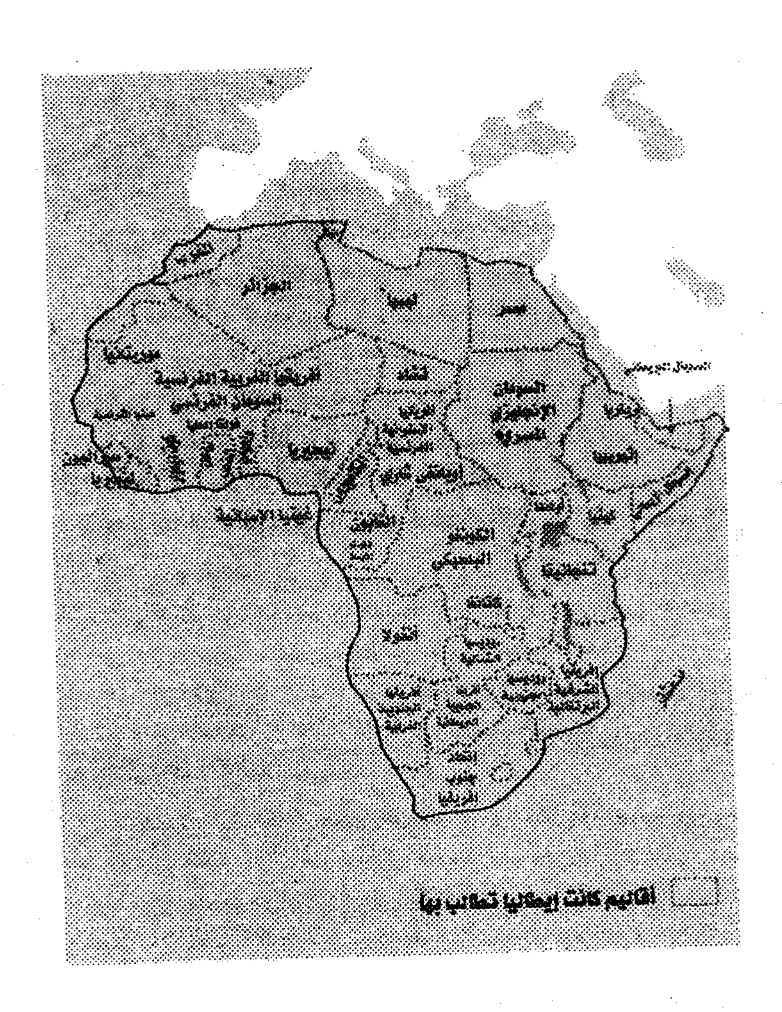
مناطق الحدود، إصطدمت بالحامية الإيطالية بها. وخسر الإثيوبيون فى هذا الإشتباك 107 قتلى و35 جريحاً بينما كانت خسائر القوة الإيطالية وجميعها من المليشيات المحلية 30 قتيلاً و100 جريح.(12)

إنطلقت من هذا الحادث شرارة الأزمة التى أصبحت تُعرف ب"المسألة الحبشية" والتي قادت للحرب ومن ثم الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا حيث طالبت الحكومة الإيطالية في 11/ديسمبر بتعويض مالي عن الأحداث وإعتذار إثيوبي رسمي والإعتراف بحق إيطاليا فى "وال وال" وأن تقوم قوات إثيوبية بتقديم التحية للعلم الإيطالي هنالك وتسليم عمر سمنتر للسلطات الإيطالية، وحددت إيطاليا التعويض ب 200.000 دولار ماريا تريزا. ورفضت إخضاع الخلاف للتحكيم كما تنص بذلك اتفاقية 1928م الموقعة بين البلدين، وحاول قنصلا بريطانيا وفرنسا الضغط على الإمبراطور هيلاسلاسي للقبول بالمطالب الإيطالية إلا أنه رفض ذلك محتجاً بأن هذا الأسلوب سيشجع إيطاليا على المزيد من الأعمال العدائية وقد رفع الأمر لعصبة الأمم.(13)

وطوال الفترة من منتصف ديسمبر وإلي إندلاع الحرب فى أول أكتوبر 1935م دار نزاع دبلوماسي مرير بين البلدين بعصبة الأمم وبينما أوضحت إثيوبيا إستعدادها للإيفاء بالمطالب الإيطالية إذا ثبتت مسؤوليتها عن الأحداث عبر لجان التحقيق والتحكيم رفضت إيطاليا قبول مبدأ التحكيم وأتبعت أسلوب المناورات لكسب الوقت لإكمال إستعداداتها العسكرية للغزو.

وإزا ذلك طالب وزير خارجية إثيوبيا فى 3/ يناير 1935م فى رسالة لسكرتير عصبة الأمم بتنفيذ المادة "11" من ميثاق العصبة بشأن النزاع وهى المادة التى تنص على الأخذ في الحال أي إجراء أو تدبير يعمل على حماية السلام. ورداً على ذلك أرسلت الحكومة الإيطالية الجنرال " دى بونو" إلي شرق إفريقيا للعمل على خلق قاعدة لإمداد القوات الإيطالية التى ستتدفق على المنطقة، وفى 10/يناير عُين الجنرال "دى بونو" مفوضاً عاماً لشرق أفريقيا ووصل إلي مصوع فى 16/يناير.

ومنذ بداية إندلاع الأزمة وقفت بريطانيا وفرنسا بجانب إيطاليا وقاومتا بشدة إدراج المسألة فى جدول أعمال العصبة، ثم تحولت خططهم بعد قبول العصبة إدراج الشكوى الإثيوبية لبذل مختلف الجهود لإسقاط مناقشتها والضغط على مندوب إثيوبيا لتعديل موقفه، وفى يناير قام رئيس وزراء فرنسا بيير لافال بزيارة روما منهياً عداء باريس التقليدى لها ومطلقاً يد إيطاليا في إثيوبيا، وقد ورد أن إتفاق لافال مع موسلينى تضمن تنازل فرنسا لإيطاليا عن بعض الأراضي فى تونس وجيبوتى



مطامع إيطاليا الإقليمية في أفريقيا (مخططات ١٩٤٠م)

المصدر: مقتبس من كتاب L'Afrique Hitler voulait الناشر: Editions L' Harmattan باريس ١٩٨٠

ومنحها 20% من أسهم خط سكة حديد جيبوتي - أديس أبابا نظير تنازل إيطاليا عن إدعاءاتها بشأن تونس وتسوية أوضاع الجالية الإيطالية هناك. وإستناداً علـــى إحـــدى الروايات فإنه تكلم مع موسليني مؤيداً الأطماع الإيطاليـــة، علـــي شـــرط أن يكـــون إشرافها على إثيوبيا قائماً على السلام - كإشراف فرنسا علـــى مـــراكش - حـــسب زعمه، وفى رواية أخرى وعد لافال موسليني بتأكيد أن عصبة الأمم إذا ما تـــدخلت فلن تضير إيطاليا وأنه لن يكون هناك خطر أو منـــع فـــي إمـــدادات إيطاليـــا مـــن البترول(14) وأصبحت باريس تردد الحجج البريطانية فى إمتداح التوفيـــق وشـــجب العمل الإلي للأمن الجماعي.

وفى سترسا إجتمع رئيس الوزراء البريطاني - ماكدونالد ووزير خارجيتـــه الـــسير جون سيمون بموسليني، ولم يناقشا معه المسألة الحبشية، مما أعطي الزعيم الفاشـــي إنطباعاً بأنهما لا يمانعان فى مغامرته هناك، وولد الموقف البريطاني إنطباعـــاً آخـــر لدى المراقبين والمؤرخين هو أن الساسة البريطانيين أرادوا إسترضاء موسليني وفى الوقت نفسه دعم نفوذ عصبة الأمم. وظهر هذ الموقف على حقيقته فى زيارة قام بها الوزير المفوض لشؤون العصبة أيدن لروما فى يونيو 1935م حيث عـــرض علـــى الإيطاليين أن تعطي بريطانيا إثيوبيا منفذاً على البحر عبر الصومال البريطانى مقابل تنازل إثيوبيا لإيطاليا عن بعض أراضيها النائية تجاه حدودها مع مستعمراتها. وبـــدا أن السياسة البريطانية تظهر على السطح تمسكها بالأمن الجماعي وعـــصبة الأمـــم ولكنها خلف الستار تتقدم بالتسويات إلي موسليني الذى لم يتزحزح عن مواقفه.(15)

ولم يعتدل الموقف البريطاني إلا بعد أن خلف بالدوين ماكدونالد فى رئاسة الـــوزراء وأصبح بموجب هذا التعديل سير صمويل هور وزيراً للخارجية بدلاً عـــن ســـيمون، حيث قاد هور إعتماد العصبة للعقوبات الإقتصادية على إيطاليا بعد الغـــزو، ورغـــم ذلك كان واضحاً أن كلاً من باريس ولندن حريصتان على ود روما ويسيطر عليهما هاجس إقتراب موسليني من هتلر، ولم تكن إثيوبيا ثمناً باهظاً لإبعاد هـــذا الهـــاجس، وبعد بدء الغزو العسكري الإيطالي لم تكن للعقوبات الإقتصادية فاعلية تذكر، لأنهـــا لم تتضمن البترول وحتى ذلك الوقت لم تتوقـــف محـــاولات المـــساومة البريطانيـــة الفرنسية والتى طورت مقترح أيدن القديم بجعله أكثر كرماً لإيطاليا بإعطـــائهم حـــق الإنتداب على السهول التى إحتلوها فى الشمال والشرق، وأن يحـــتفظ الإمبراطـــور بمملكته فى مرتفعات شوا وسوف تعطيه بريطانيا ممراً لميناء زيلع فى الـــصومـــال، وفشـــل هذا المشروع الذى سمي مشروع "هور - لافال" بعد أن كـــشفته الـــصحافة الفرنسية قبل طرحه على عصبة الأمم.

نجحت مساعى إثيوبيا الدبلوماسية فى قبول دول العصبة مناقشة المسألة رسمياً، حينها تبدل التكتيك الإيطالي خاضعاً لوضع القضية بين يدي العصبة وأعلن المندوب الإيطالي أنه تمشياً مع روح ميثاق العصبة ووفقاً لتقاليدها فإن إيطاليا ترغب في تشجيع المفاوضات المباشرة التى تتعلق بالنزاع، وكان إعلان حُسن النيات هذا خادعاً من جانب إيطاليا.(16)

وكانت بريطانيا منزعجة من عناد الإمبراطور هيلاسلاسي، الذى كان على ثقة من أن التمسك المتشدد بالأمن الجماعي سوف يقوى عرشه، كما حدث في حقيقة الأمر وإن كان على مدى أطول مما توقع. وكان الخبراء العسكريون الإنجليز واثقون من أن العمليات العسكرية والمتاعب الإقتصادية ستروض موسلينى كما ستروض الهزيمة الإمبراطور، وعندئذ سوف ينفتح الطريق للتسوية.(17)

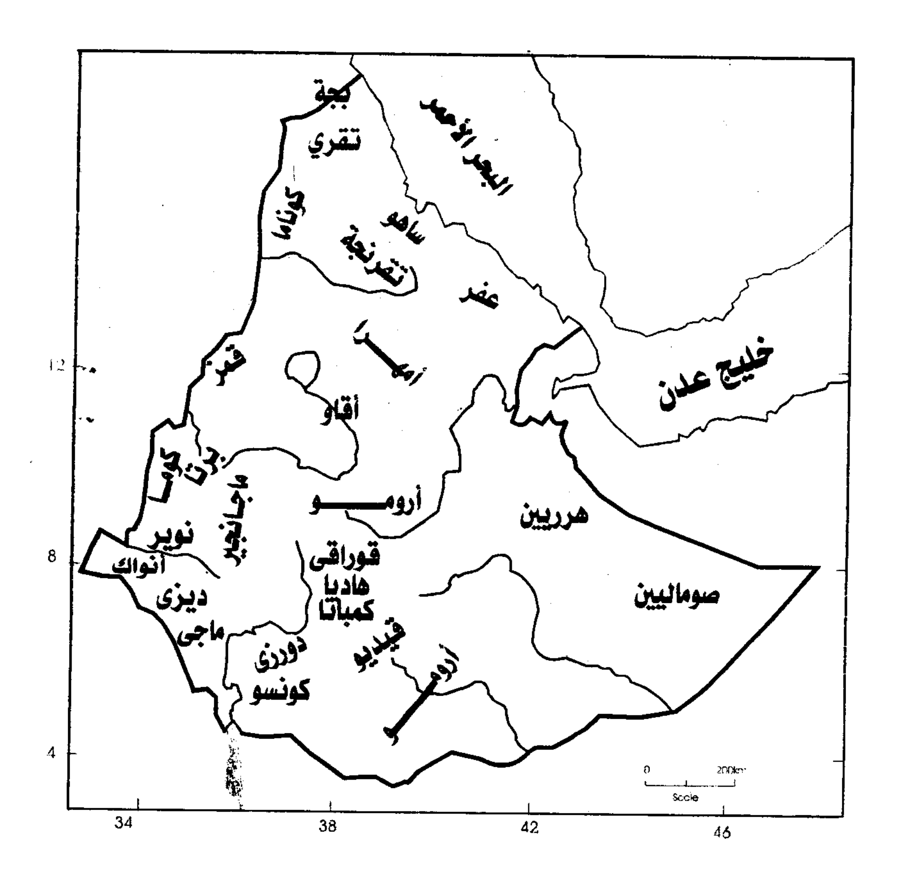
وإنطلت الحيلة الإيطالية على إثيوبيا التى قبلت الرجوع بالأمر للتحكيم المباشر في الوقت الذى واصلت فيه إيطاليا إستعداداتها العسكرية وزادت من صخب حملات التعبئة العامة وتهيئة النفوس للغزو، وأعطى الرجوع للتحكيم إيطاليا الوقت الكافي لإكمال إستعداداتها العسكرية مستفيدة من الموقف البريطاني الفرنسي الموالي لها.

وعمدت إيطاليا لتطويل إجراءات التحكيم، وأن لا يكتب لها النجاح مستفيدة من الإنطباع الذى تولد من موافقتها عليه والذى صورها بأنها ساعية إلي تسوية سلمية للنزاع من خلال القنوات الدبلوماسية وإستناداً إلي اتفاقية 1928م الموقعة بين البلدين.

طالب الإيطاليون في البداية بإنشاء منطقة محايدة قبل بدء المفاوضات ورضخ الإثيوبيون لهذا الطلب وعينت هذه المنطقة في 13/مارس عند الحدود الإثيوبية مع المستعمرة الإيطالية فى إريتريا. وتعطلت المفاوضات لإصرار إيطاليا على إستجابة إثيوبيا لمطلبها بالتعويض والإعتذار أولاً بينما رفض الإثيوبيون دفع تعويضات والإعتذار إلا عن طريق حكم قضائي بواسطة محكمة دولية.

ومجدداً إستأنفت إثيوبيا مراسلاتها لعصبة الأمم داعية لتنفيذ ميثاق العصبة بشأن النزاع ولافتة النظر لخطورة التعبئة العامة في إيطاليا وإرسال قواتها ومعداتها إلى حدود مستعمراتها معها وعندما رفضت العصبة إعتراض إيطاليا علي الطلب الإثيوبي الأخير أخطرت إيطاليا العصبة بإنتهاء مرحلة المفاوضات المباشرة وأنها ستقوم بتهيئة المناخ لبدء خطوات إنشاء لجنة تحكيم وكان هذا الأسلوب يهدف إلي تعطيل وتأخير حل النزاع وإبعاده عن عصبة الأمم.

المطلوب لشن العدوان هو حجة أو ذريعة وقامت حادثة "وال وال" بهذا الدور



خريطة رقم (٢)

مواقع القوميات بأثيوبيا واريتريا عند الغزو الإيطالى ـ ١٩٣٦م

المصدر: BAHRU ZEWDE, A History of Modern Ethiopia 1855 - 1991 p.6

في سبتمبر 1935م وصلت الحرب الدبلوماسية بين الطرفين ذروتها في عصبة الأمم عندما قدم مندوب إثيوبيا مشروع قرار بإدانة إعتداءات إيطاليا ومخالفتها لميثاق العصبة، وردت إيطاليا بمذكرة مطولة تحدثت فيها عن تهديد إثيوبيا لأمن وسلامة البلاد المجاورة لها من المستعمرات الإيطالية وأنها عدو مستمر لإيطاليا، وأشارت المذكرة إلي أن إثيوبيا دولة غير متماسكة أو متحدة وأن الجنس الأمهرى هو المتسيد على بقية الشعوب الأثيوبية المسترقة، كما أن الحكومة المركزية في أديس أبابا عاجزة عن خلق درجة معينة من الحضارة والتقدم التي يجب أن تحصل عليها كل دولة حديثة مشتركة في عضوية العصبة.(18)

وكان الإعتراض الوحيد وغير المؤثر من جانب الإتحاد السوفيتي، أما بريطانيا وفرنسا فكانتا فى غاية الحذر من توجيه أي إنتقاد أو إتهام لإيطاليا. وكونت العصبة لجنة خماسية لدراسة الأزمة والبحث عن حل سلمي لها وضمت اللجنة بريطانيا،فرنسا،بولندا،أسبانيا وتركيا، وقدمت اللجنة تقريرها منتصف سبتمبر موصية بأن تعمل إثيوبيا على منع الإسترقاق وضبط حمل السلاح، وحماية أماكن سكن الأوروبيين، وحفظ الأمن بالأقاليم الحدودية، كما أوصت اللجنة بتخلى بريطانيا وفرنسا عن أجزاء من مستعمراتهما في الصومال لإيطاليا ومنح إثيوبيا منفذاً على البحر، وبينما قبلت إثيوبيا الخطة رفضتها إيطاليا أيضاً كسابقاتها وشنت صحفها حملة قوية على أيدن ووصفته بأنه " شيطان المسألة الحبشية".(19)

وبنهاية سبتمبر 1935م أعلنت إيطاليا سحب كل إلتزاماتها تجاه عصبة الأمم وما يتصل بها وكان واضحاً أن سياستها فى المماطلة أتت أكلها وأعطتها مهلة من الزمن حتى نهايات فصل الخريف لبدء غزوها العسكري.

(3) الـغـزو العسـكـري:-

مع مطلع العام 1935م وبمجرد نشوب الأزمة، عملت إيطاليا على الإستفادة من عنصر الوقت لتحقيق هدفها فى غزو إثيوبيا، فبدأت إجراءات التمهيد للغزو بإصلاح مينائي المنطقة فى مصوع ومقديشو وكان الميناءان فيما سبق أقرب إلي مراسي السفن الصغيرة ولم تكن بهما أية تجهيزات ذات بال وكانا يفتقدان أساسيات الحياة مثل مياه الشرب. وكانت إيطاليا قد مدت خط السكة الحديد بين مصوع وأسمرا في 1934م، مثلاً كان ميناء مصوع لا يتسع لرسو سوى خمس سفن فى اليوم ولا يملك من قدرات إفراغ السفن سوى ما ينجز عشرة أطنان في اليوم وكانت مياه الشرب تُجلب له من ضاحية علي بعد خمسة أميال وكثيراً ما كانت غير صالحة للشرب، فعملت البحرية الإيطالية على رفع كفاءة إفراغ الميناء من عشرة أطنان إلي

2.500طن في إليوم وشيدت به الأرصفة لأفراغ السفن ورسوها، ووسعت الأحواض وأنشأت المستودعات الضخمة وربطت الأرصفة والمستودعات بشبكة خط سكة حديد حتى وصلت طاقة الميناء إلي 60.000 طن شهرياً وبلغ عدد السفن الراسية به يومياً 55 سفينة وتقلصت فترة بقاء السفن داخل الميناء من 18 يوماً إلي ستة أيام، وحفرت آبار مياه الشرب وإستوردت سفينتين تعملان كمصنعى ثلج وبهما مخازن إضافية للتبريد لحفظ الأدوية والأغذية.(20)

وذات الشئ جرى بميناء مقديشو فرفعت كفاءته من تفريغ 10 أطنان إلي 2 ألف طن يومياً وأصبح رصيفه يتسع ل 25 سفينة بعد أن كان يستوعب 10 سفن فقط، إضافة إلي ذلك فقد حسنت البحرية الإيطالية من قدرات المراسي الطبيعية والصغيرة في بندر قاسم، وألولا، ودانتي، وأوسيا، ومرقه ويراقا.

بموازاة ذلك وسعت إيطاليا من قدرات بحريتها فأشترت إحدى عشرة سفينة شحن وأوكل لها أيضاً إنشاء وإدارة خدمات الهاتف ومحطات الإتصال من المواني وإلي أقصى الحدود في إريتريا والصومال، كما كانت لها محطتا راديو لتقديم الخدمات الإذاعية في أسمرا ومقديشو. وكانت الحكومة الإيطالية قد عينت الجنرال "دى بونو" مفوضاً أعلى لإيطاليا في شرق أفريقيا في 16/فبراير1935م وخلال ذلك الشهر وصل للمستعمرات الإيطالية في شرق أفريقيا نحو 10 آلاف عامل إيطإلي للعمل في شق الطرق تمهيداً لتحرك قوات الغزو، وفي يونيو بلغ عدد هؤلاء العمال الإيطاليين 30 ألفاً، هذا غير العمال من السكان المحليين، وخلال الأشهر التى سبقت الغزو تمكن هؤلاء من إنشاء أكثر من 500 ميل من الطرق في طبيعة وعرة وشيدت العشرات من الكباري ومجاري المياه وأحواض مياه الشرب ومدت أسلاك الهاتف والكهرباء على مسار القوات العسكرية.

تنحدر القوات الإيطالية المشتركة في الحملة من ثلاثة جذور:

(1) القوات الإيطالية النظامية ومتطوعو الحزب الفاشي المعروفون بذوي القمصان السود.

(2) المجندون محلياً من سكان إريتريا والصومال الذين جُندوا بدافع كسب الرزق كما أن العلاقة لم تكن ودية بينهم وبين الإثيوبيين ولهذا السبب كان ولاؤهم غير كامل واستخدموا في معظم الأحيان كرأس حربة في العمليات العسكرية.

(3) القوات المتطوعة من المستعمرات الإيطالية الأخرى خاصة من ليبيا.

وعند إكتمال عملية الغزو بلغ عدد هذه القوات مجتمعة 300 ألف جندى مسلحين بأحدث ما وصلت له الصناعة العسكرية فى العالم من الطائرات التى بلغ عددها 200 طائرة مقاتلة وقاذفة والآلاف من قطع المدفعية والمدرعات وحاملات الجند وللأسلحة الرشاشة،إضافة إلي كامل تجهيزات الحرب من وسائل النقل - أدخلت الشاحنات لأول مرة إلي الهضبة الإثيوبية- والإمداد والتموين والذخائر والمهام الطبية.

فى الجانب الإثيوبي قاد الإمبراطور هيلاسلاسي حملة التعبئة ضد الغزو الإيطالي ورغم أنه كان يعلق آمالاً كبيرة على عصبة الأمم، إلا أن الإمبراطور سعى لتأكيد وحدة شعبه وإيمانه بقضيته وإستعداده للدفاع عنها وأخذ يخاطب وفود المواطنين ويستغل مظاهراتهم الغاضبة ضد الإيطاليين وشرع في تجنيد الشباب لمواجهة الغزو عبر مراكز التجنيد التى أنشئت فى مختلف المدن، وبدأ فى وضع الإستعدادات التموينية والإقتصادية اللازمة لمواجهة الحرب، وفى 4/سبتمبر1935م خاطب الإمبراطور تجمعاً كبيراً للمواطنين في أديس أبابا قائلاً: " إذا فشلت جهودي وجهود الأمم الأخرى وقامت الحرب فإن ذلك سيلحق العار بالعالم وأن إثيوبيا ستنهض وعلى رأسها إمبراطورها وأنها ستقاوم الغزاة لأخر نقطة دم".(21)

وفى الأسبوع الأخير من سبتمر تدفق الآلاف من العاصمة أديس أبابا متجهين نحو الجبهة الشمالية مرددين الهتافات المنددة بإيطاليا ومؤكدين قدرتهم على إعادة نصر عدوا قبل أربعين عاماً.

كانت بريطانيا هى القوى العظمى آنذاك فعلق الإمبراطور آمالاً كبيرة على دعمها له، وفى 23 سبتمبر إستدعى الإمبراطور مراسل جريدة "التايمز" اللندنية لإجراء مقابلة معه فذكر أن لديه طلبين من بريطانيا هما إمداده بسفينة محملة بالأسلحة والذخائر وأن تقدم له قرضاً مالياً بضمان مصادر دخل الحكومة مؤكداً أن تحقيق هذين المطلبين هما الضمانة الوحيدة لقيام إثيوبيا بحماية نفسها(22)، وبديهي أن حسابات بريطانيا كانت بعيدة عما حلم به الإمبراطور.

عمل الإمبراطور جاهداً لفتح وإصلاح الطرق العسكرية وبدأ في تحصين المناطق الحدودية مع إريتريا وكانت معسكرات التدريب تحت إشراف عدد من المدربين العسكريين من الزنوج الأمريكان الذين خدموا فى شرق أفريقيا البريطانية "كينيا" ضمن الجيش البريطاني وتطوعوا للعمل فى إثيوبيا، وزاد جيشه النظامي وعين عدداً من الملحقين العسكريين بالدول الأوروبية فى الوقت الذى بدأت فيه المصانع الحربية إنتاج الذخيرة، وختم إستعدادته للحرب بلقاء مع كافة الرؤوس والقادة الإثيوبيين حيث أعلنوا جميعا إستعدادهم للحرب ضد إيطاليا – عدا أثنين تغيبا عن الحضور وكان الجيش الإثيوبى يتكون من:-

(1) الحرس الإمبراطوري وبه حوإلي 3 آلاف جندى نظامى مسلحين بالبنادق الإلية والمدافع الرشاشة دربوا تدريباً عإلياً بواسطة البعثة البلجيكية.

(2) الجيش الحكومي وبه حوإلي 100 ألف جندى وهو مكون من الجنود المدربين والمزودين بالأسلحة الخفيفة.

(3) الجيوش الخاصة بالرؤوس وقادة الأقإليم وكان تسليحها أقل وتمدها وزارة الدفاع الإثيوبية بالمواد العسكرية.

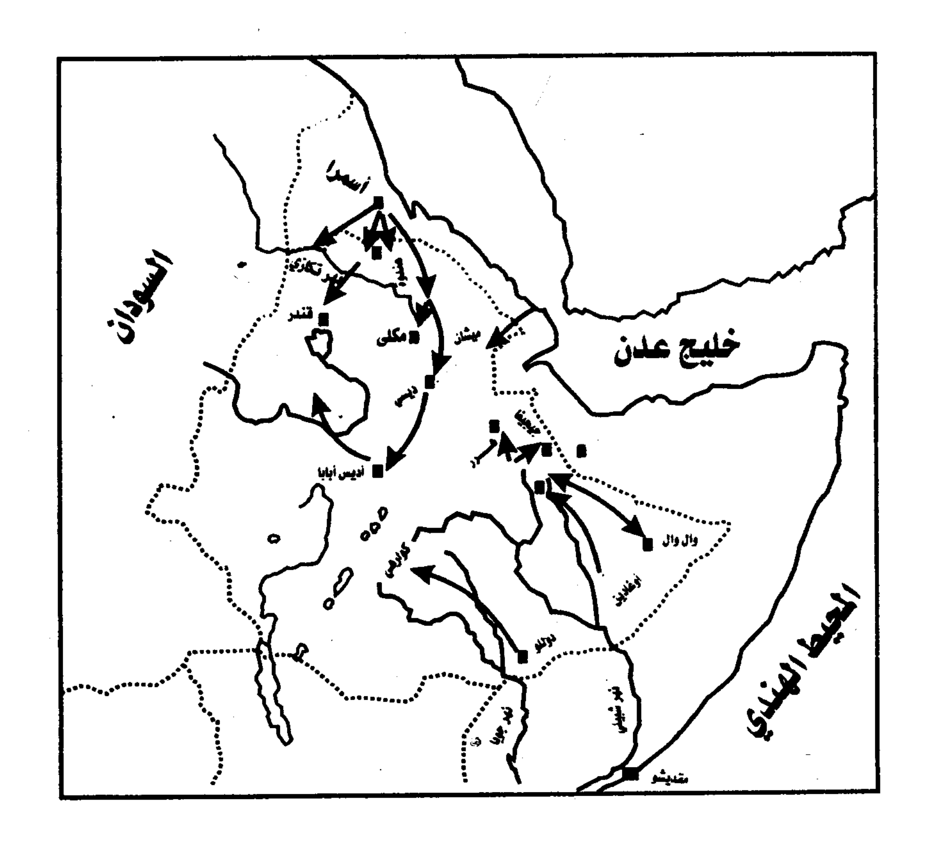
في 3/أكتوبر عبرت القوات الإيطالية الحدود إلي منطقة عدوا(23) وكانت المقاومة الإثيوبية ضعيفة، وبعد يومين دخل الجيش الإيطالي مدينة "عدقرات" وإستطاع بسهولة إحتلال عدوا في إليوم الثاني غاسلاً عار الهزيمة السابقة ولم تكن هجمات جيش الرأس/ سيوم منقشا حفيد الإمبراطور يوهانس ذات جدوى، وفى 13/أكتوبر زار عدوا قائد الجيش الإيطالي بشرق أفريقيا الجنرال "دى بونو" وأقام نصباً تذكارياً للايطإليين الذين سقطوا في معركتى 1896م و1936م. وإتجهت القوات الإيطالية فى 7/نوفمبر لمقلي وإحتلتها سريعاً ودارت بعد ذلك معارك طاحنة مثلت أول بوادر التصدي الإثيوبى للغزاة.

عطل الهجوم الإثيوبي المضاد على مقلي سرعة تقدم الإيطاليين وإستمرت إحدى المعارك هناك لثلاثة أيام فاستبدل موسليني قائده "دى بونو" بالمارشال "بيترو بادقيلو" الذى إرتبط أسمه بالمرحلة الأكثر قساوة ووحشية فى الحرب بما فيها اللجوء لإستعمال غاز الخردل المحرم.(24) وكانت أقوى معارك الدفاع الأثيوبية فى "تامين" 20 – 24 يناير 1936م حيث إستعصم الإيطاليون بإستحكاماتها المنيعة، كما جرت معركة شرسة فى "شيري" غرب التقراي وتمكن الأثيوبيون من إبادة قوة الأسكاريس " جنود المستعمرات الإيطالية".

المعركة الخاتمة فى كل جبهة الشمال كانت فى "ميشاو" قرب بحيرة "أشانقى" والتي إشترك فيها الحرس الإمبراطوري بقيادة الإمبراطور شخصياً، ورغم البداية المشجعة للقوة الإثيوبية المنهكة، كان للطيران عامل حاسم لجانب الإيطاليين الذين طاردوا الجيش الإثيوبي المنسحب والذى لم يسلم من هجمات السكان المحليين من الأرومو الغاضبين من الإمبراطور ومن قصفهم بغاز الخردل من قبل الطائرات الإيطالية.

المحور الثاني للغزو الإيطالي بالجنوب والجنوب الشرقي قاده جنرال "رودلفو جراز يانى" وقد واجه قيادة قوية ومنظمة من قبل رأس/ داستا دامتاو، حاكم سيدامو في الجنوب وداجاش/نسيبو أمانويل حاكم هرر فى الشرق، ورغم المقاومة سقطت "كوارهى" فى الأوغادين أوائل نوفمبر 1935 وتلا ذلك هجوم على ثلاث شعب مسنود بالطيران الذى قصف مدن هرر وجيقجقا وكانت خسائر الإيطاليين في هذه الجبهة أعلى من خسائرهم بالجبهة الشمالية.

فى العاشر من فبراير تجدد الهجوم الإيطالي بالجبهة الشمالية بعد كسر مقاومة الجيش الإثيوبي وبعد تقوية وتعزيز المناطق التي سيطروا عليه، إندفع الإيطاليون في هجومهم معززين بجيوش العمال والمهندسين الذين أصلحوا الطرق القديمة وبنوا طرقاً جديدة ونقلوا السلع والإمدادت العسكرية للمخازن التي شيدوها فعبروا نهر عطبرة "تكازي" في 10/مارس وزحفوا على إقليم الأمهرا وإحتلوا المناطق الغربية حتى الحدود مع السودان بما فيها مدينة "قندر" التاريخية دون قتال يُذكر.(25)



خريطة رقم (٤)

(مسار القوات الإيطالية لغزو إثيوبيا ـ١٩٣٦م)

المصدر : معلومات الباحث

وبدأ الزحف نحو أديس أبابا فى أعقاب الإنسحاب والتقهقر الإثيوبي من مدينة "دسى" التي دخلتها القوات الإيطالية فى 14/أبريل وقاد المارشال "بادوجيلو" الفيالق الحربية نحو العاصمة في 24 من أبريل وكانت مقاومة الإثيوبيين قد إنهارت بالكامل وخرج الإمبراطور هيلاسلاسي من عاصمته بمعية أسرته وعدد من كبار القادة والزعماء فى الثاني من مايو متجهين عبر القطار لجيبوتي ومنها لمنفاه بإنجلترا عبر القدس.

ودخل بادوجيلو أديس أبابا فى 5/مايو مطلقاً الصواريخ المضيئة الملونة إيذاناً بإحتلال إيطاليا لها وأعلنت روما سيادتها الكاملة على إثيوبيا ومُنح ملك إيطاليا لقب إمبراطور إثيوبيا وعين المارشال بادوجيلو نائباً للملك فى إثيوبيا وتمت ترقية الجنرال جرازياني لرتبة مارشال في الجيش الإيطالي.

عوامل كثيرة أدت للإنتصار الإيطالي السريع، الذى لم يكن متوقعاً، فمعظم المحللين والقادة العسكريين إعتقدوا أن إيطاليا تحتاج لعامين على الأقل لنجاح حملتها فى غزو إثيوبيا(26). كانت الفجوة كبيرة بين الجانبين، فقد جاء الإيطاليون مسلحين بأحدث الأجهزة العسكرية وحرم الحصار الذى فرضته عصبة الأمم على إمدادات السلاح للطرفين إثيوبيا من الحصول على الحد الأدنى من إحتياجاتها، عدد البنادق بالجيش الإثيوبى لم يتعد 60 ألف وكان الإيطاليون يستخدمون في معركة واحدة نصف ما لدى الأثيوبيين من ذخيرة، والفارق الكبير كان فى الطيران فإثيوبيا كانت لديها 11 طائرة ثلاث منها متعطلة والصالحة للعمل خُصصت للنقل والمواصلات مقابل 300 طائرة إيطالية بالجبهة الشمالية و100 أخرى بالجبهة الجنوبية الشرقية ولم يكن لدى الجيش الإثيوبى نظام للإمداد أو علاج وإخلاء الجرحى وكان هذا الجيش كما وصفه أحد المؤرخين الغربيين " كالإمبراطورية نفسها أقرب لأن تكون إدعاء منها إلي الحقيقة، سرعان ماتفتت إلي لا شئ".(27)

إضافة لذلك كان التفاوت العظيم في أعداد المقاتلين الإيطاليين في الكثير من المعارك بفضل تجنيدهم للسكان المحليين في إريتريا والصومال وحتى ليبيا، وإختصر كل ذلك أحد الكتاب الغربيين بقوله " قبل أن يلتقي الإثيوبيون بالأوروبيين كان عليهم تحمل خمسة مستويات من الجحيم : القنابل من الجو، القصف من المدافع بعيدة المدى، دمدمة المدافع الرشاشة، الدبابات، ثم جنود الأسكارياس".(28)

وقبل ذلك وبعده كان الفارق الرئيسي بين نصر عدوا وهزيمة 1936م في المجتمع الإثيوبى الذى كان موحداً وأكثر تجانساً في 1896م بينما كانت إثيوبيا تحت حكم هيلاسلاسي ونتيجة لسياسته في التحديث والمركزية متشرذمة ومليئة بالأحقاد

والمظالم والفوارق الطبقية والدينية والأثنية مما أدى لتدني الروح القتالية وظهر ذلك في إنضمام العديد من القادة الأثيوبيين للجيش الغازي وفى مهاجمة بعض السكان للجيش الإثيوبى المنهزم عند إنسحابه، إضافة إلي الفوارق بين جيل 1896 الذى كان محارباً بطبعه وأجيال ما بعد عدوا التى مال قادتها للحكم والإدارة والتجارة، وأخيراً كان للتطورات العالمية والإقليمية من عصبة الأمم ونفوذ الدول الإستعمارية المحيطة بإثيوبيا دور آخر فى نتائج الغزو(29) فإثيوبيا كانت دولة حبيسة وخط السكة الحديد الذى يربطها بجيبوتي كان بيد الفرنسيين الذين مالوا لصالح إيطاليا كما أن عقوبات عصبة الأمم وحظر السلاح تضررت منها إثيوبيا أكثر من إيطاليا التى كانت تمتلك وتصنع ترسانة ضخمة من احتياجاتها العسكرية.

(4) الإحتلال والمقاومة:-

بين خروج الإمبراطور من أديس أبابا فى 2/مايو ودخول الجيش الإيطالي لها فى الخامس منه، عاشت العاصمة ثلاثة أيام من العنف والنهب والفوضى وأصبح الإيطاليون كأنهم رسل الخلاص مما قاد الكثير من المؤرخين إلي إتهامهم وتفسير تباطئهم فى دخولها بأنه كان مقصوداً لإعطاء عصابات النهب والسرقة الفرصة في ترويع السكان والأجانب.(30)

كون الإيطاليون إمبراطورية سموها " إمبراطورية شرق أفريقيا الإيطالية" جمعوا فيها إريتريا وإثيوبيا والصومال الإيطالي وقسموها لستة أقاليم: إريتريا وتشمل التقراي وعاصمته أسمرا، الأمهرا وعاصمته قندر، قالا وسيدامو وعاصمته جيما، أديس أبابا وعاصمته أديس أبابا، هرر وعاصمته هرر، ومقديشو وعاصمته مقديشو.(31) ومن تحت هذه الأقاليم كانت المحافظات ثم المراكز وعلي قمة الجهاز الممثل الرئيسي للحكومة الإيطالية والذى كان يمنح لقب نائب الملك ويمتلك كل السلطات القضائية والمدنية والعسكرية. وتعاقب على هذا المنصب كل من مارشال "بادوقيلو" – الذى قاد جيش الغزو ومكث بأديس أبابا شهراً واحداً– ومارشال "جرزياني" وأخيراً "أمادي أم برتودى أوستا" المعروف بدوق أوستا. ويساعد نائب الملك مسؤولان أحدهم للشؤون الإدارية في منصب الحاكم العام والثانى للشؤون العسكرية في منصب القائد العام للجيش فى الإمبراطورية. وتقوم وزارة أفريقيا الإيطالية بالإشراف وتنظيم الحياة فى الإمبراطورية وهى التى ترشح نائب الملك وتصدر القوانين التشريعية وتنسق العلاقة بين مختلف الأقسام الإدارية بها.(32)

حكم جزرياني الإمبراطورية 18 شهراً وعُرف بالقسوة والبطش في مواجهة الأثيوبيين الذين دبروا لإغتياله، أما دوق أوستا فقد إتسمت فترته بالحكمة وأبدى قدراً من المشاعر الإنسانية وكان معجباً بالنظام الإستعماري البريطاني.



خريطة رقم (٥)

(التقسيم الإداري لمستعمرة شرق إفريقيا الإيطالية)

Italian East Africa , 1936 - 1941
(adapted from consociazione Turistica Italiana , Guida dell `Africa Orientale Italiana Milan 1938

ورغم أن الإدارة الإيطالية للإمبراطورية الجديدة إتسمت بعدم الكفاءة وربما الفساد أيضاً إلا أنه كانت هناك إستثناءات فحاكم هرر الجنرال "قوقليمو ناسي" نجح في خلق الإستقرار بإقليمه وحاز على ولاء سكانه خصوصاً المسلمين منهم وعندما رقى لمنصب نائب دوق أوستا قاد مناقشات ناجحة أدت لإستسلام مقاتلي إقليم شوا الوطنيين(33)، كما تمكن من إستمالة الرأس/هايلو تكلاهيمونت في قوجام بغرب إثيوبيا والرأس/سيوم حفيد الإمبراطور يوهانس في التقراى وجعلهما على رأس جيش من أنصارهما لكبح جماح المقاومة المؤيدة للإمبراطور، هؤلاء وقد تُركت لهؤلاء وقادة آخرون من طبقة النبلاء ألقابهم مع مرتبات شهرية وأعيدت لهم سلطة الإشراف علي أقاليمهم في 1939م.

نظراً لنشاط المقاومة إنحصر الحكم الإيطالي في المدن وفى المستوطنات الزراعية التي قسمت عليها الأراضي الزراعية الخصبة خاصة الأراضى التى صودرت من الإمبراطور وأسرته – أراضي المواطنين تركت في الغالب دون مصادرة – وبلغت هذه المستوطنات في 1940 حوالي 400 مستوطنة كبيرة وصغيرة وكان يديرها ضباط إيطاليون إنتدبوا للعمل بها وتركزت هذه المستوطنات في قوجام وهرر وجيما، ولكن نجاحها كان ضئيلاً نظراً لإنعدام الأمن وإنتشار أعمال المقاومة.(34)

النجاح الأوضح لفترة الحكم الإيطالي كان في مجال الإنشاءات الهندسية خاصة في عواصم الأقاليم حيث شيدت المباني الضخمة ونُظمت الأحياء والأسواق والمجمعات السكنية المخصصة للإيطاليين ومُدت شبكات المياه والكهرباء بعد إنشاء أربعة محطات توليد في أعالي نهر أواش، وكانت قمة الإنجاز في شق الطرق وبناء الجسور مما فتح المجال لإستخدام السيارات في المواصلات والنقل، وعند إنتهاء الاحتلال الإيطالي كانت أديس أبابا قد رُبطت بطريق طوله 1080 كلم مع أسمرا مخترقاً أعالي الهضبة الأثيوبية عبر مجموعة كبيرة من الجسور والمعابر، كما رُبطت مدن قندر وبحر دار ودبر ماركوس بطريق مع العاصمة، وربطت مدن الشمال أكسوم وعدوا ومكلى بطريق آخر، وجما ونقمتى وديرى داو وهرر حتى مقديشو بطريق مماثل، وبلغ عدد العمال الذين وُظفوا في بناء الطرق 16 ألف عامل من الإيطاليين والمواطنين المحليين. وبلغ طول الطرق التى أنشئت 15 ألف ميل، كما طورت البحرية الإيطالية ميناء عصب ومدت خط السكة الحديد من مصوع إلي أسمرا ومنها غرباً إلى الحدود السودانية حتى مدينة أغوردات.(35) وعند نهاية الاحتلال في 1941 كانت إثيوبيا تسجل أعلى معدلات النمو الحضرى وبلغ عدد سكان أديس أبابا 100 ألف نسمة وتضاعف حجم سكان ميناء جيبوتي إلي 20 ألف

نسمة وتوسع ميناؤها لخدمة التنمية والإستيطان الإيطـالي.(36) لقـد فـاق إنجـاز الإيطاليين في هذا المجال خلال إحتلالهم الذى لم يتجاوز الخمـس سـنوات إنجـاز البريطانيين والفرنسيين بمستعمراتهم التى احتلوهـا لخمـسين عامـاً دون مقاومـة تُذكر.(37)كما كان للايطاليين فضل فتح أبواب البلاد بصورة كبيرة أمام المـؤثرات الخارجية وإرغام أهلها على الخروج من عـزلتهم، وشـعر الإثيوبيـون أن الغـزو أيغظهم من سباتهم العميق.(38)

إجتماعياً، حرّم الإيطاليون زواج أبنائهم من الإثيوبيات ورغم ذلك حدثت العديد مـن الزيجات كما فصلوا بينهم وبين الأثيوبيين في أماكن السكن والمواصلات وعـاملوهم في بلدهم كرعايا من الطبقة الدنيا، وشكل الإيطاليون طبقة مميزة فـي إثيوبيـا بعـد إحتلالها وإستوطن القادة والعسكريون في قصور ومنـازل الأسـرة الإمبراطوريـة وكبار مساعدى الإمبراطور، كما وفد إلى إثيوبيا الكثير مـن المـستثمرين ورجـال الأعمال الإيطاليين وخُصصت الكثير من الإمتيازات للمهاجرين الإيطـاليين الـذين وفدوا للإستيطان حيث منحوا الأراضي الزراعية وإمتيـازات الإسـتثمار والحمايـة العسكرية بحكم أن الإستعمار الإيطالي كان إستعماراً إستيطانياً في المقام الأول، كمـا كانت هناك فئة من العمال الإيطاليين أصـحاب الحـرف المهنيـة – شـيدت لهـم معسكرات سكنية.(39)

سعى الإيطاليون للتقرب من المسلمين، رافعين شعار مساواتهم بالمـسيحيين. وفـي أكثر من مناسبة أعلن موسليني، أنه سيضمن لهم السلام والعدل والرفاهية وسـيحترم قوانين الشريعة الإسلامية فسمحوا لهم بإستغلال أموال الأوقاف في بنـاء المـساجد وصيانتها خاصة بالمدن مثل مساجد مصوع وهرر وديـسي وقنـدار وديـرى داو وجيجقا وعصب و جيما ومناطق الأرومو وسيدامو وبنوا المسجد الكبير فـي أديـس أبابا، وأتاحوا للمحاكم الشرعية حرية العمل وعينوا القـضاة الـشرعيين وسـمحوا للمسلمين بإستخدام اللغة العربية في مدارسهم وكذلك في المكاتبات الرسمية في هرر وجيما وتم إنشاء كلية دار العلوم الإسلامية في جيما.(40)

وربما كان موقف الإيطاليين من المسلمين بإثيوبيـا مـرتبط بحقيقـة أن المـسلمين يشكلون غالبية مستعمراتهم "إرتريا والصومال المجاورتين لإثيوبيا" فحسب تقـديرات الإدارة البريطانية لإريتريا فى العـام 1952م، فـأن جملـة سـكان إريتريـا كـان 1.031.000 نسمة مـنهم 514.000 مـسلمون و510.000 مـسيحيون و 7.000 وثنيون.(41)وقد إحتضن الإيطاليون الكثير من زعماء المسلمين هنـاك خـصوصاً رجال الطريقة الختمية وكان فى مقدمة هؤلاء الشريفة علوية أبنة السيد هاشم نجـل

مؤسس الطريقة السيد محمد عثمان الميرغني التى زارت روما بدعوة من الحكومة الإيطالية وكانت ضمن الوفد الإسلامي الإرتري الذى رتب له الإيطاليون زيارة إثيوبيا بعد إحتلالهم لها ليطلعوا بأنفسهم على تحسن أحوال المسلمين بها، ومكث أعضاء الوفد من العلماء والقضاة والخلفاء والنظار والأعيان شهرين زاروا خلالها عدة مدن إثيوبية(42)، وأعطى الإيطاليون عدد من قادة المسلمين ألقاب ونياشين مثل السيد جعفر الميرغنى بإرتريا والسلطان محمد يايو سلطان أواشا فى العفر اللذان أعطيا لقب غراند كردوني "حامل أكبر قلادة".

لفتت سياسات الإيطاليين في إريتريا وإثيوبيا نظر الكاتب الإسلامي شكيب أرسلان الذى أشاد بها وبرر ذلك بأنه إنصاف للمسلمين من بعد قرون من الكبت والظلم رغم مساوئ الإيطاليين الأخرى ودوافعهم من التقارب مع المسلمين الذى إقتضته سياستهم الإستعمارية وكان موقف الإيطاليين من الكنيسة الارثوذكسية متذبذباً ففى البداية عاملوا قسيسيها بقسوة وأعدموا بعضهم وفى المرحلة الثانية هادنوهم وحاولوا إحتواءهم وإخضاعهم لكنيسة روما وأعلنوا فصل الكنيسة الأثيوبية عن الكنيسة القبطية المصرية بالإسكندرية.

كانت المقاومة الأثيوبية للإحتلال مستمرة فى مواجهة الغزو وعلى الرغم من إنتشار أعمال المقاومة في أنحاء متفرقة من إثيوبيا، إلا أن الواضح للمراقب أنها كانت نشطة وأكثر فعالية وإستمرارية بولايات شوا، قوجام وقندر، وسط شعب الأمهرا الذى ينتمي لهم الإمبراطور، وكانوا يمسكون بمفاصل السلطة والثروة وحتى وسط الأمهريين فإن عدداً من كبار قادتهم مثل رأس/هايلو في قوجام إنحازو في فترة من الفترات للإيطاليين وعملوا معهم.

المرحلة الأولى من المقاومة والتى مثلت إمتداداً لحرب التصدي للغزو قادها أعضاء من طبقة النبلاء الذين تشتتوا بجيوشهم بعد إنتصار الجيش الإيطالي وكان طابعها العام الحروب التقليدية وتميزت -طبقاً لمصالح قادتها النبلاء- بالتأرجح ما بين المعارضة والمصالحة.(43)

وقد إنطلقت هذه المقاومة من الأراضى التي لم يصل لها الاحتلال في مرتفعات التقراى بالشمال وفي الجنوب والجنوب الغربي لإثيوبيا. وكان قوادها رأس/ أميرو هيلاسلاسى ورأس/دستا دامتو ورأس/كاسا ورأس سيوم منقشا. وفي تلك الفترة حاولت المقاومة بقيادة رأس/أميرو- الذى عينه الإمبراطور نائباً له- القيام بزحف عسكري من الجنوب نحو العاصمة أديس أبابا إلا أن المحاولة التى كان محكوماً عليها بالفشل إنتهت بالإستسلام. نظم عدد من الرؤوس والقادة محاولة جريئة سابقة في صيف 1936م وإستهدفوا بها مهاجمة الإيطاليين داخل العاصمة إنطلاقاً من

الضواحى الشمالية لها، وعندما أخفقت الخطة نتيجة لعدم التنسيق أعدم قادتها ومن بينهم أثنان من أبناء الرأس/كاسا، كما مات نتيجة التعذيب أبونا بطرس أسقف الكنيسة الأرثوذكسية في "ولو".

وكانت المقاومة آنذاك قد نظمت نفسها في منظمة بأسم " الأسد الاسود" وضمت ضباطاً من الجيش ومثقفين مدنيين(44) ورغم أن هذه المنظمة تمت تصفيتها بعد سنة من الاحتلال إلا أنها تمتعت بتنظيم دقيق وبدستور مكتوب وكان لها معسكر تدريب عسكري وكانت توجهاتها محافظة وتمسكت بالولاء للإمبراطور.

واصل الجيش الإثيوبي الذى تصدى للغزو الإيطالي على الجبهة الجنوبية الشرقية بقيادة رأس/داستا دامتو، مقاومته لعام كامل مستفيداً من الجنود الإريتريين " الأسكارياس" الذين تركوا الإيطاليين وإنحازوا له. وأخيراً هُزمت قواته المطاردة فى مناطق " قوارقي" فى فبراير 1937م وألقى القبض عليه حيث أعدم سريعاً.

وجاءت المرحلة الثانية للمقاومة بعد محاولة إغتيال الجنرال جرازياني فى 19/فبراير 1937م عندما ألقى عليه شابان إثيوبيان قنابل يدوية خلال احتفال جماهيري وأصيب فيها ببعض الإصابات. حملة القتل والرعب التى أطلقها جرازيانى بعد ذلك صعدت من أوار المقاومة وألهبت الصحافة العالمية مشاعر الإثيوبيين بالخارج بما كشفته عن المجازر وحملات التصفية التى إستهدفت المثقفين الإثيوبيين على وجه الخصوص.

تمركزت المقاومة في مرحلتها الثانية بصورة أساسية على الحدود الغربية المحاددة للسودان خاصة"قوجام" والمناطق الجنوبية الغربية حول مدينة"قوري" مستفيدة من طبيعة هذه المناطق المناسبة لحرب العصابات ومن قربها للسودان الذى كان يمثل مركزاً رئيسياً للمقاومة بالخارج وملجأ للاجئين ومعبراً للاتصال بالقادة والرؤوس الإثيوبيين بالمنفى، ونشطت فى هذه المرحلة حركة المقاومة الجمهورية التى حاولت إعطاء المقاومة توجهاً سياسياً متماسكاً بإصرارها على تحرير إثيوبيا بواسطة أبنائها وليس عبر القوى الأجنبية، وقد دعت لإقامة حكومة شعبية منفتحة بعد التحرير بدلاً عن إعادة الملكية. وطرحت هذه الحركة خيار الفيدرإلية لإستيعاب التنوع وسط الإثيوبيين، ولم يكتب النجاح لهذه الحركة بعد التحرر لأنها كانت ذات ميول فرنسية ونبعت من أوساط المثقفين في مدينة "ديرى داو" التي كان للفرنسيين وجود كبير بها بسبب رئاسة السكة الحديد المملوكة لفرنسا. ولم تكن توجهات الحركة مستساغة لدى الإمبراطور وحلفائه البريطانيين(45)، على أن الدور الأخير في المقاومة الخارجية قام به حزب الشباب الإثيوبي الذى إندمجت فيه تجمعات وفصائل المقاومة الأخرى خصوصاً بالسودان ومثل جناحاً سياسياً للمقاومة وإحتفظ بقدر عال من السرية ودقة

التنظيم ونشط في إصدار البيانات وتشكيل الخلايا بالداخل والخارج ونفــذ أعــضاؤه العديد من العمليات الحربية.(46)

ورغم الضربات التى وجهت له إلا أن مقاومة حزب الشباب الإثيوبي ظلت مــستمرة وأدت إلي بث الوعي الوطني بين الإثيوبيين وتنظيم مختلف فئاتهم خصوصاً العمــال والمثقفين والطلاب، كما قاد حملة لإرهاب المواطنين المتعــاونين مــع الإيطــاليين، وكان للحزب 22 لجنة فرعية موزعة علي أقاليم إثيوبيا المختلفة وتضم كــل لجنــة لجاناً أصغر، كما كان له ست لجان للإتصالات الخارجية خاصة مع الدول المحــاددة لإثيوبيا ورعى من خلال تلك اللجان أوضاع اللاجئين الإثيوبيين بالخــارج وكانــت للحزب ولجانه إتصالات بالإمبراطور في المنفى وكانــت تتلقــى منــه التوجهيــات وتزوده بأخبار أنشطتها.(47)

تمكنت مجموعات المقاومة من إرهاق القوات الإيطالية بإستمرار وحصرت سيطرتها ونفوذها على المدن وكان المقاومون يستفيدون من القلاع والحصون الطبيعيــة فــى الجبال ووسط الغابات حيث يغيرون منها على الحاميات الإيطالية المنعزلة ويخربون خطوط المواصلات وقد وجدوا تعاطفاً كبيراً من السكان المحليــين وإســتهدفوا فــى بعض الأحيان الزعماء الإثيوبيين المتعاونين مع الإحتلال الإيطالي.(48)

بالرغم من إنتصاراتها القليلة إلا أن حركة المقاومة الاثيوبية مثلت صفحة جديدة فــى تاريخ إثيوبيا ودللت على إستعداد الإثيوبيين للحفاظ على حريتهم وإستقلالهم وقدرتهم على مواجهة أعتى أنواع الإستعمار وكان للمقاومة تأثير مــدمر علــى الإيطــاليين وخططهم للإستيطان بإثيوبيا ومنطقة شرق أفريقيا عامة حيث أرهقتهم مالياً ونفــسياً وإستطاعت شل حركة 56 كتيبة إيطالية كانت منتشرة بإثيوبيــا(49)، كمــا أفــشلت مشاريعهم الاقتصادية والإستيطانية، وتركت الجيش الإيطالي عند إعــلان الحــرب العالمية الثانية في يونيو 1940م منهوك القوى ومكشوفاً أمام حملة التحرير فى يناير 1941م.

ورغم ذلك لم تكن مرحلة مقاومة الاحتلال بلا مشاكل أو سلبيات، فهى كانت مقاومة متمركزة فى أقاليم محددة حمل لواءها لحد كبير الأمهريون، ولتلافي هــذا الــنقص أعاد الأمهرا إلي المسرح السياسي أبناء الإمبراطور السابق ليج إياسو من بعد عقدين من النسيان والإهمال والتغييب المتعمد للإستفادة من شعبية والدهم وولاء قطاع كبير من السكان له ولإعطاء المقاومة قدراً من الوحدة.(50)

والسلبية الأكثر وضوحاً فى تجربة المقاومة الأثيوبية كان إفتقارها للقائد أو الزعيم المجمع عليه، ولقد مثل لجوء الإمبراطور للمنفى الفجوة التى أضعفت المقاومة رغم إستمرار نشاطه بالخارج وتواصله مع مواطنيه ومع المقاومة بالداخل.

(5) نشاط الإمبراطور فى المنفى:-

عندما إقتربت القوات الإيطالية من العاصمة أديس أبابا، اختار الإمبراطور هيلاسلاسي اللجوء للخارج لمواصلة المقاومة عبر العمل الدبلوماسي. وكان بذلك أول إمبراطور يلجأ خارج بلده، وشكل خروجه من إثيوبيا ضربة لمعنويات شعبه التى كانت فى الحضيض جراء الهزيمة والأساليب الوحشية التى قام بها الجيش الإيطالي لإحراز إنتصاره ومن بينها إستخدام الغازات المحرمة دولياً، ومهما يكن فإن الإمبراطور أضطلع بدور لا ينكر بعد خروجه حيث توجه أولاً إلي جيبوتي ومنها إلي القدس التى تحتفظ فيها الكنيسة الأرثوذكسية الأثيوبية بدير تاريخي، كما إحتفظت معها بعلاقة روحية ظلت مستمرة لعدة قرون، وفى القدس خلف الإمبراطور عدداً من كبار قادته ومساعديه وتوجه إلي لندن التى وصلها فى 30يونيو عبر جبل طارق.

كانت بريطانيا الخيار الأمثل أمام الإمبراطور لقيادة حملته الدبلوماسية ومخاطبة الرأى العام العالمي وإجراء الإتصالات بالدول والقادة رغم إحساسه بالمرارة من موقفها تجاه الغزو الإيطالي.

كان العامل الأساسي الذى وجه تعامل بريطانيا مع الغزو ثم الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا هو حرصها على عدم استفزاز موسليني وإبعاده عن هتلر ولذلك قبلت إقامة الإمبراطور بأراضيها دون أن تمنحه حق اللجوء السياسي رسمياً(51)، وقيل وقتها إن السلطات البريطانية نصحت الإمبراطور بالإنتقال إلي أمريكا وظل طيلة إقامته فى بريطانيا مقيداً فى تحركاته ومحظوراً عليه القيام بأي تصرفات يمكن إعتبارها عملاً معادياً للإيطاليين.(52) توجه الإمبراطور من لندن إلي جنيف لمخاطبة عصبة الأمم وكانت مقابلة السويسريين له جافة فلم يسمحوا له بالإقامة فى فيلته الخاصة قرب جنيف، ولكن خطابه أمام العصبة أحدث صدى عالمياً وأعتُبرخطاباً تاريخياً مؤثراً إستمر لساعة ونصف وهزت كلماته بعمق مشاعر وأحاسيس المجتمعين حيث قال لهم:

" أنا أتيت إلي جنيف لأضع أمامكم الآلام الكبيرة التى يعانيها رئيس دولة... ماهى الإجابة التى سأرجع بها لشعبي...لقد رفضت بإستمرار كل المقترحات التى تقدمت بها الحكومة الإيطالية لمصلحتي الشخصية، حيث إننى لم أكن أود إذلال شعبي

وإحتقار ميثاق عصبة الأمم بل كنتُ مدافعاً عن قضية كل الشعوب الصغيرة المهددة بالإعتداء... إن الأخلاق العالمية تصبح في مهب الريح إذا كان التوقيع على ميثاق العصبة بلا جدوى إلا عندما تتضرر المصالح المباشرة للدول الكبرى... إن المسألة هنا ليست إستحالة وقف معتدٍ وإنما رفض إيقافه... إننى أطلب من الدول الكبرى التى وعدت بالأمن الجماعي للدول الصغيرة أن تبر بوعدها".(53)

وأبان هيلاسلاسي فى خطابه خيبة أمله فى مواقف كل من بريطانيا وفرنسا اللتين بدأتا آنذاك فى تقديم مشروع قرار لرفع العقوبات الإقتصادية عن إيطاليا خاصة وقف تزويدها بالبترول – ضمت عصبة الأمم البترول لقائمة العقوبات الاقتصادية فى 2/مارس1936م– بحجة الأمر الواقع وأن إيطاليا إستولت فعلياً على إثيوبيا. فقال الإمبراطور فى خطابه بشأنها:" إن بلادي مُنعت من نقل العتاد بالسكة الحديد من جيبوتى التى تعتبر خط الإمداد الرئيسي لقوات العدوان الإيطالي الذى لم يوقف كما يقتضى مبدأ الحياد، فأطلق العنان للمعتدى وحُرم الضحية من وسائل رد العدوان...إن من المؤلم أن أعرف عشية محاولتى الكبرى للدفاع عن شعبى أمام الجمعية العامة لعصبة الأمم أن هناك مبادرة لرفع العقوبات عن الحكومة الإيطالية مع إنتهاكاتها العديدة لإتفاقات عدم اللجوء للسلاح وإستخدام وسائل القتال البربرية بما يعنى ترك إثيوبيا ضحية للمعتدي والركوع له...إن هناك مقترحات أمام الجمعية لإصلاح ميثاق العصبة لتصبح أكثر فعالية، لكن هل الميثاق الذى يحتاج للإصلاح؟ وهل التعهدات الدولية لها قيمة إذا إفتقدت الإرادة؟ إنها الأخلاق العالمية التى تتطلب الإصلاح وليس مواد الميثاق".(54)

كانت قضية إثيوبيا تنال الإهتمام العالمي آنذاك خاصة ببريطانيا، فخرجت عدة مظاهرات في شوارع لندن تشجب العدوان الإيطالي وتطالب الإمبراطور بالإستمرار فى نضاله، وقد رجع الإمبراطور إلي جنيف لمخاطبة عصبة الأمم ولبحث إتجاه بعض الدول – ألمانيا وإيطاليا– لسحب الإعتراف بإثيوبيا وحرمانها من مقعدها داخل العصبة. وظلت إتصالاته ورسائله متصلة إلي عصبة الأمم ودولها يُذكرها بوعودها ويعارض المقترحات الهادفة لطمس قضيته ويزودها بالمعلومات عن مقاومة شعبه وعن فشل الإيطاليين فى تحقيق الإستقرار وفرض احتلالهم.(55)

ووقعت فرنسا تحت الإبتزاز الإيطالي مع تصاعد تهديدات هتلر لها، فرضخت لضغوط موسلينى وأتاحت له إستغلال ميناء جيبوتى وخط السكة الحديد لنقل عتاده العسكري ووصلت إستجابتها لضغوطه إلي حد تجميد الحسابات الشخصية للإمبراطور فى بنك الهند الصينية.

كانت بريطانيا تمضي آنذاك في التقرب إلي موسليني وأخذت تتردد في الأوساط البريطانية الحاكمة أحاديث عن ضعف شعبية الإمبراطور حتى بين قومه الأمهرا وكان عراب هذه السياسة وزير الخارجية البريطاني الذى حث عصبة الأمم على التخلي عن إثيوبيا مطلع 1937م(56) وفي 16 أبريل 1938م وقعت بريطانيا حلفاً مع إيطاليا إعترفت فيه بسيادتها على إثيوبيا وطالبت العصبة بإلغاء العقوبات المفروضة عليها، ويلخص أ.ج.ب. تايلور موقف كل من فرنسا وبريطانيا بأنهما لم تكونا مستعدتين للحرب وأن سياستهما تجاه المسألة الحبشية كانت متخبطة ومتناقضة وفاشلة، فهما لم تستطيعا مؤازرة عصبة الأمم لدرجة دخول حرب ضد موسليني ومع ذلك لم تستخدما كل ما في أيدي العصبة ضده. ونظر الكثير من الساسة الغربيين إلي أنه ليس هناك مجال لفعل المزيد من أجل المثالية الغربية والتضحية حتى أن رئيس الوزراء البريطانى تشمبرليني رفض العقوبات على إيطاليا في 1938م واعتبرها" قمة الجنون الخيالي".(57)

لقد كان الساسة البريطانيون مع العصبة حتى حافة الحرب ولكنهم ليسوا مع الحرب وكان شعارهم " ما هي الفائدة في هيئة لمنع الحرب إذا كانت الحرب هى نتيجة نشاطها؟"(58) وكان أكبر همهم كسب السياسة المحلية وليست العالمية ومن أجل ذلك راعوا مصالحهم الانتخابية وإبتعدوا عن خيار الحرب حتى فُرض عليهم. ولم يكن موقف الولايات المتحدة الأمريكية يختلف كثيراً عن بريطانيا وفرنسا فهى رغم عدم إعترافها بالاحتلال الإيطالي رفضت السماح للإمبراطور بزيارتها وأعلنت الحياد ومنعت حتى متطوعيها من الزنوج الأمريكان من الإلتحاق بصفوف المقاومة الإثيوبية كما كان يرغب بعضهم. ومن بين دول العصبة ال 51 ظلت 4 دول فقط متمسكة بعدم الاعتراف بالاحتلال وهي " الإتحاد السوفيتي، الصين، المكسيك ونيوزيلاندا".(59)

وظل الإمبراطور متابعاً نشاط المعارضة داخل بلده تصله الرسائل من الداخل عبر الخرطوم وكان عدد هذه الخطابات كثيراً بعضها من قادة المقاومة يشرحون له فيها تفاصيل نشاطهم وأخرى من اللاجئين بالخارج يجددون فيها ولاءهم له.

ومن مقر لجوئه فى حي " فيرفلد " بمدينة "بات" الواقعة فى جنوب غرب بريطانيا، تسلح الإمبراطور بالصبر والعزيمة منتظراً الفرصة المواتية وكانت معنوياته تتأرجح بين مقاومة شعبه بالداخل وسياسات الدول الكبرى خاصة بريطانيا وفرنسا، وفى تلك الفترة جرت عدة محاولات للوساطة بين الإمبراطور والإيطاليين ففى نهاية

1936م عرض الكاردينال باسيلي سكرتير عام الفاتيكان على الإمبراطور بطلب من موسليني مبلغ مليون جنيه إسترليني نظير تنازله عن العرش(60) ويشير بعض المؤرخين إلى أن الإمبراطور فكر في قبول هذا العرض خاصة بعد أن ساءت ظروفه وضاقت فرص عودته لعرشه.(61)

ظروف الغزو والاندحار السريع للمقاومة، لم تُمكن الإمبراطور وأفراد أسرته من أخذ الكثير من الأموال معهم، وبعد أن جمدت بريطانيا حساباته بالبنوك، اضطر الإمبراطور لبيع التحف وأواني الفضة الخالصة التى حملها معه لتأمين شراء الفيلا التى أقام بها بحي (فيرفيلد) بمدينة بات، وفي شتاء 1937- 1938م، عجز الإمبراطور عن شراء فحم التدفئة.(62)

وفي صيف 1939م بدأت خشية بريطانيا وفرنسا من تحالف هتلر وموسليني في طريقها لأن تصبح حقيقة واقعة خاصة بعد أن بدأ هتلر في الإنتقال من نصر إلى نصر فى أوروبا، فأتخذ الإمبراطور سياسة أكثر جرأة وأرسل أحد مرافقيه من الإثيوبيين وهو "لورنزو تايزاز" للقيام بمهمة سرية تتمثل في دخول غرب إثيوبيا عبر الحدود السودانية وإستطلاع الوضع هناك، وتمكن تايزاز من الوصول إلى قوجام والإلتقاء بقادة المقاومة وجمع الكثير من المعلومات قدمها في تقرير للأمبراطور وللسلطات البريطانية في القاهرة(63) ولاحت الفرصة التي إنتظرها الإمبراطور طويلاً. في مطلع يونيو 1940م،عندما أعلن موسليني الحرب ضد بريطانيا وفرنسا وبدأ الإمبراطور وأصدقاؤه في بريطانيا إتصالات نشطة نجحت بعد أسبوعين في إتخاذ قرار عودة الإمبراطور إلي بلاده عبر السودان.(64)

(6) الأصداء العالمية لاحتلال إثيوبيا :-

ظلت إثيوبيا مستقلة لأكثر من ألفي عام ولعبت طبيعتها الجبلية الصعبة وديانتها المسيحية المتجذرة دوراً كبيراً في احتفاظها باستقلالها وعندما أنهت الدول الأوروبية مؤتمر برلين في مطلع 1885م لتقسيم مناطق النفوذ كانت بكل القارة ثلاث دول فقط مستقلة: دولة المهدية المنبثقة حديثاً في ذات الشهر وإثيوبيا وليبريا.

وكانت الأسرة الحاكمة فى إثيوبيا تدعي بأنها من نسل نبي الله سليمان، وترتبط روحياً بالقدس وتخضع كنيستها للكنيسة القبطية المصرية في الاسكندرية وتتحدر لغتها من اللغة الجعزية القديمة القادمة من جنوب الجزيرة العربية، ولم تكن الأسرة الإثيوبية الحاكمة ترى لها أي رباط بإفريقيا والإفريقيين.(65)

وعندما احتلت إيطاليا إثيوبيا وأذلتها فى 1936م كانت العواقب شديدة الإيلام إذ تجرعت سائر الشعوب الإفريقية والعالم الاسود آلاماً مُرة، فدخل الإمبراطور

هيلاسلاسي في تجربة ذاقها قبله زعماء وقادة القارة قبل خمسين عاماً وشهد في المقابل مساندة واسعة النطاق من الأفارقة السود له ولشعبه في مواجهة التحدي الإيطالي مما شكل بداية وعي عرقي جديد في البيت الإمبراطوري الحاكم.(66)
كان لتقدم وسائل الإعلام والاتصال دور كبير في تعريف العالم بمجريات الغزو الإيطالي وشكلت أنباء المجازر وإستخدام الغازات السامة من قبل الإيطاليين صدمة لدى الأفارقة، وعندما سمع كوامي نكروما وكان آنذاك شاباً في بريطانيا أنباء احتلال إثيوبيا سار في شوارع لندن ودموع الغضب تنساب على خديه وكانت هذه الأنباء المؤسفة حافزاً آخر لإيمان نكروما بالهوية الإفريقية(67)، وتأسست من جراء هذا الانفعال وسط الأفارقة والسود عموماً تيارات ومنظمات عملت على نصرة إثيوبيا والتنديد بالاحتلال الإيطالي وكان لها دور كبير بعد ذلك في تعميق دعوة الأفريقانية.
في 1936م أسس ببريطانيا س.ل.ر. جيمس وآخرون "عصبة الأصدقاء الأفارقة" لنصرة إثيوبيا واستطاعت هذه الجمعية بفضل نشاطها بالمحاضرات وتقديم العرائض وتنظيم المظاهرات أن تكسب الدعم والتأييد وسط البريطانيين واللاجئين السود فيها لإثيوبيا، كما تشكلت في 1937م منظمة ذات قاعدة أعرض وقوة نضالية أعظم هي " المكتب الدولي للخدمات الأفريقية" وأصبحت أكثر فعالية في ربط قضايا الأفارقة والسود المحلية بالأزمة الأثيوبية، واصدرت هذه المنظمة صحيفة الرأي الأفريقي الدولي (International African Opinion) وبلغ الشعور والتجاوب مع القضية الإثيوبية أن أحد الزعماء الغانيين الشباب وكان لاجئاً ببريطانيا هو جورج توماس سمى نفسه " الرأس/موكنن" ولعب الرأس موكنن دوراً كبيراً في تحريك السود ببريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من أجل أهداف منظمة المكتب الدولى للخدمات الأفريقية، وعمل على توظيف الطلاب السود في بريطانيا بمنشآته التي أقامها ومن ضمنها سلسلة من المطاعم والمقاهي، كان أحدها يسمى "مقهى الشاي الأثيوبي" وأنشأ موكنن أيضاً بمساعدة جومو كنياتا وآخرين "شركة عموم إفريقيا" في 1944م كما نظم المؤتمر الخامس لعموم إفريقيا بمانشستر في 1945م.(68)
وفى الولايات المتحدة نظم السود الأفريقيون وأبناء الشتات بزعامة وليم ليو هانسيرى " مجلس البحوث الإثيوبي" لنشر المعلومات عن إثيوبيا والمساعدة على إقامة شبكة دولية من السّود تعمل لصالح القضايا الأفريقية، وكان مع هانسيرى كل من مالاكو باين من إثيوبيا وسيانا بونغو من يوغندا ورالف بانش ووليم ستيفن من الولايات المتحدة الأمريكية، وجميعهم أساتذة وطلاب منسوبون لجامعة "هوارد"، وقد أدرك هؤلاء أن إثيوبيا "تمارس قدراً من الإغراء لدى الشعوب الأفريقية وأن الوعي

بالتراث الإثيوبي هو الذي ألهم عبر مراحل التاريخ الأيدولوجية الفدائية التي ظلت القوة المتجددة للهوية والتضامن في أفريقيا ولدى أبناء الشتات".(69)

وأقام هؤلاء علاقة وطيدة مع الأفراد الملتزمين في عدة مدن أمريكية وفي بريطانيا وفرنسا وإثيوبيا ومنطقة الكاريبي وحتى إيطاليا ورغم أن تأسيس المركز كان سابقاً للغزو الإيطالي بعام واحد إلا أنه بعد الاحتلال مثل قناة لتبادل المعلومات الخاصة بإثيوبيا ومنسقاً للأنشطة التي تنفذ لصالحها.

وعند بداية الغزو الإيطالي أعرب عدد كبير من الأفارقة الأمريكيين عن تلهفهم للإنضمام والتطوع مع المقاومة الإثيوبية، ولكن الولايات المتحدة التي أعلنت الحياد منعتهم من الاشتراك في الحرب. ورغم هذا الموقف الرسمي شارك طياران من السود الأمريكان هما هربرت جوليان وجون ربنسون بتشجيع من مركز البحوث الإثيوبي في القتال مع الأثيوبيين، وأصبح روبنسون الطيار الخاص للإمبراطور ومستشاراً لهيئة الطيران الأثيوبي لاحقاً، وقام ربنسون الذي عُرف ب" النسر الاسود" بعدة مهام جوية قصفت في إحداها طائرته وأسقطت.(70)

وبالإضافة للمساهمة العسكرية قدم أبناء الشتات السود بالولايات المتحدة مساهمات مادية ومعنوية وكونوا عدداً من المنظمات المناصرة للقضية الإثيوبية منها "جمعية أصدقاء إثيوبيا" التي أسسها ويليس هافتر وأصبحت لها في سنة واحدة فروع في 106 مدن و19 ولاية وعملت علي جمع الأموال والتبرعات للإثيوبيين بالتعاون مع "جمعية الأصدقاء الأفارقة الدوليين".(71)

وشكل الأطباء السود في الولايات المتحدة ومنطقة الكاريبي الذين كانوا يعملون في نيويورك " اللجنة الطبية للدفاع عن إثيوبيا" وأرسلوا عُدة شحنات من الأدوية والإمدادات الطبية للمقاومين الأثيوبيين، وشملت أعمال ونشاطات مناصرة إثيوبيا دولاً مثل جامايكا وترينيداد وبنما وبربادوس وسانت لوشيا وغيرها، ووصل الشعر المناصر لإثيوبيا قمته في جامايكا خاصة بين "الرستافريين" الذين كانون يؤلهون الإمبراطور هيلاسلاسي واتخذوا من اسمه السابق "رأس تفري" شعاراً لهم.(72)

ودخل الأفارقة الأمريكيون ساحة الدبلوماسية – رغم الموقف الأمريكي المتحفظ تجاه دعم الإمبراطور– فأرسلوا وفداً للإمبراطور بعد وصوله لندن وأقنعوه بإيفاد مبعوث للولايات المتحدة لحشد الدعم فوصل ملاكو باين نيويورك في 1936م مبعوثاً من الإمبراطور للأمريكيين وأسس "الإتحاد الأثيوبي العالمي " في 1937م وأصدر نشرة صوت إثيوبيا (The Voice of Ethiopia) ووصفها بأنها صحيفة " من أجل الكومنولث الاسود العالمي الواسع وأصدقاء إثيوبيا في كل مكان" ولعبت هذه

الصحيفة دوراً مركزياً في التعريف بالشعوب الإفريقية ورفعت شعار " لن يسيل أي رجل أسود دمه في سبيل أوروبا حتى تُحرر إثيوبيا".
ونشرت الصحيفة رسائل من مصر، السودان، إثيوبيا، بنما، جامايكا، هندوراس،فنزويلا ونيجيريا ونقلت تقاريرها الصحف التي تصدر في هذه البلاد، وبفضل فروع الاتحاد الإثيوبى العالمي أزيح الستار عن ميثاق الإتحاد الأثيوبي في كل من جامايكا، هافانا، كوبا، وتيلا"هندوراس الأسبانية".(73)
وأوحى غزو إيطاليا لإثيوبيا أيضاً بتكوين " اللجنة الدولية لأفريقيا" بالولايات المتحدة الأمريكية في 1937م التى قادت نشاطاً مكثفاً استمر لما بعد الحرب العالمية الثانية واعتبر ناشطوها نواة اللوبي الإفريقي في الولايات المتحدة الذى أصبح أوسع نشاطاً وأشد فعالية منذ الخمسينات.
ولإن كانت مكافحة الرق السبب المباشر في ميلاد حركة " الأفريقانية" فإن مواجهة الغزو الإيطالي لإثيوبيا مثلت بداية المرحلة الثانية للحركة والتى عملت علي تصفية الإستعمار وجمعت هذه المرحلة بين الأفريقيين والسود عامة وبين الأفارقة داخل القارة وبالشتات، وأصبحت الإثيوبية (ETHIOPIANISM) فكرة مركزية في حركة الأفريقانية واعتبرت المعتقد الأصلي للسود قبل المسيحية.(74)
لقد كانت بداية الحرب العالمية الثانية بالنسبة لأفريقيا هى الغزو الإيطالي لإثيوبيا في 1936م وليس 1939م. وكان من نتاج "المسألة الحبشية" كما كانت تسمى آنذاك وظهور الإمبراطور هيلاسلاسي كأول زعيم أسود على مسرح عصبة الأمم، أن انتشر الوعي بالذاتية السوداء كشكل من أشكال الهوية الأفريقية على نطاق القارة ووسط الشتات، مما خلق للقارة وحدتها اللاحقة.(75)

مراجع الفصل الثاني

1. أ.ج.ب. تايلور، أصول الحرب العالمية الثانية، ترجمة مصطفي كامل حميس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1990م ، ص 91..
2. المرجع نفسه، ، ص 86 .
3. أنظر الخريطة رقم (2).
4. Bahru Zewde,OP.cit, P.151
5. محمود الشرقاوى ، إثيوبيا، القاهرة 1959م، ص 51..
6. أنظر الخريطة رقم (3).
7. فتحي غيث ، مرجع سابق ، ص 270.
8. Bahru Zewde,OP.cit, P. 153
9. صلاح الدين إبراهيم زكى، الاستعمار الإيطالي فى الحبشة فى الفترة من سنة 1935 إلي سنة 1941م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم التاريخ، 1983م، ص 5.
10. أنظر الخريطة رقم (3).
11. صلاح الدين إبراهيم زكى ، مرجع سابق، ص 8.
12. المرجع نفسه، ص 14.
13. المرجع نفسه، ص 14.
14. أ.ج.ب.تايلور، مرجع سابق، ص 112.
15. المرجع نفسه ، ص 114.
16. صلاح الدين إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 18.
17. أ.ج.ب.تايلور، مرجع سابق، ص 116.
18. صلاح الدين إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 23.
19. مكرم سويحة بخيت، مرجع سابق ، ص 64.
20. صلاح إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 31.

21. المرجع نفسه، ص 28.

22. المرجع نفسه، ص 29.

23. أنظر خريطة رقم (4) .

24. Bahru Zewde,OP.cit, P. 154

25. صلاح الدين إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 47.

26. أ.ج.ب. تايلور، مرجع سابق، ص 116.

27. المرجع نفسه ، ص 119.

28. Bahru Zewde,OP.cit.P.159

29. Ibid,, P. 160

30. مكرم سويحة بخيت، مرجع سابق، ص 74.

31. أنظر خريطة رقم (5) .

32. صلاح إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 54.

33. Bahru Zewde,OP.cit, P. 162

34. Ibid.P165

35. صلاح الدين إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 95 و96.

36. الطيب شنتوف، (القرن الأفريقى وشمال أفريقيا 1935 -1945م: الأزمات والتغـــيير) في تاريخ أفريقيا العام، مج/8 – إليونسكو 1998م ص 57.

37. فتحى غيث، مرجع سابق، ص 277.

38. راشد البراوى ، الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث ، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة ، ص 70.

39. صلاح الدين إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 118 و 119.

40. فتحى غيث، مرجع سابق، ص 280 .

41. المرجع نفسه، ص 275.

42. لمزيد من التفاصيل عن الشريفة علوية وعلاقتها بالإيطاليين، راجع على الإنترنـــت موقـــع: WWW.MUKHTAR.CA

43. Bahru Zewde,OP.cit P. 167

44. Ibid,.P.168

45. Ibid, P. 176

46. صلاح الدين إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 142 – 145.

47. المرجع نفسه، ص 149 و 150.

48. Bahru Zewde,OP.cit, P. 172

49. على أ. مزروعى: (نحو عام 2000م) فى تاريخ أفريقيا العـــام، مـــج/8 – إليونـــسكو 1998م، ص 982.

50. Bahru Zewde,OP.cit P. 174

51. مكرم سويحة بخيت، مرجع سابق، ص 76.

52. محمد خير البدوى، مواقف وبطولات سودانية في الحرب العالمية الثانية، الخرطوم 1992م، ص 22.

53. The Imperial Ethiopian, Ministry of Information Publication, Selected Speeches of His Imperial Majesty Haileselassie First 1918 to 1967, Addis Ababa,1967,P 315

54. أنظر : ترجمة لنص الخطاب ملحق رقم "3" .

55. The Imperial Ethiopian, OP. cit, P.P. 316 – 328

56. مكرم سويحة بخيت، مرجع سابق، ص 83.

57. أ.ج.ب. تايلور، مرجع سابق، ص 152.

58. المرجع نفسه، ص 133.

59. مكرم سويحة بخيت، مرجع سابق، ص 81.

60. المرجع نفسه ، ص 83.

61. Bahru Zewde,OP.cit, P. 166

62. Indrias Getacher,OP.cit,P. 97

63. مكرم سويحة بخيت، مرجع سابق، ص 84.

64. Anthony Mockler,OP.cit, P.9

65. عبد الهادي صديق، السودان والأفريقانية، مركز الدراســـات الإســـتراتيجية، الخرطـــوم– 1997، ص 20

66. علي أ. مزروعي، مقدمة مج/8، تاريخ أفريقيا العام، إليونسكو، 1998م ، ص 27.

67. المرجع نفسه، ص 27.

68. جوزيف أ. هاريس، (الشتات الأفريقي منذ عام 1935) في تاريخ أفريقيـــا العـــام،مج/8، إليونسكو 1998م، ص 770.

69. المرجع نفسه، ص 771.

70. المرجع نفسه، ص 772.

71. المرجع نفسه، ص 772.

72. المرجع نفسه، ص 772.

73. المرجع نفسه، ص 773.

74. عبد الهادى صديق، مرجع سابق، ص 56.

75. علي أ. مزروعي، مرجع سابق، ص 29

الــفــصــل الثـــالـــث

السودان فى مواجــهة الخطــر الإيطالي

(1) موقف السودانيين.

(2) موقف الحكومـــة.

(3) السودان صبيحـــة إعلان الحرب.

(4) احتلال كسلا والقلابـــات والكرمـــك.

(5) احتواء الخطـــر الإيطالي.

(6) دعـــم السودان للمقاومــــة الإثيوبية.

(1) موقف السودانيين:-

" السودان الإيطالي" تحت هذا العنوان نشرت مجلة الفجر السودانية التى كانت تعبر عن آراء طليعة المثقفين السودانيين في يونيو 1935م تحذر من التحرش الإيطالي بإثيوبيا بعد أن بدأت الأولى حشد جيوشها استعداداً للحرب، وانتقدت المجلة موقف الحكام البريطانيين والسودانيين لسماحهم بتصدير المواشي للإيطاليين بإريتريا قائلة:" والسودان بلا شك موقفه موقف المحايد ولكن ما نراه من الظواهر يدل على أن السودان مستعمرة إيطالية، وعليها أن تمد جيوش إيطاليا في إريتريا بالزاد والمواشي، فقد رأينا إهتماماً بشراء المواشي وتصديرها من السودان لإريتريا، وقد أدى ذلك لإرتفاع أسعارها حتى بلغ ثمن الثور عشرة جنيهات بعد أن كان يتراوح بين الأثنين والثلاثة جنيهات، ونحن بلا شك نؤمن بحرية التجارة ولكن في ذات الوقت نؤمن بأن الوطن أولى بمحصولات بلاده من غيره".(1)
وقبل هذا التاريخ وبعده أظهرت مجلة الفجر إهتمام السودانيين بما كان يجري بين إثيوبيا وإيطاليا وعبرت عبر تغطيتها لبداية الخلاف وتطوراته عن موقف قوي يؤيد إثيوبيا ويندد بمطامع إيطاليا ويحذر من آثار ذلك على السودان، ففى الأول من مايو 1935م إنتقدت المجلة تناقض رئيس الوزراء الإيطالي برنو موسلينى بحديثه عن المحافظة على السلم واستمراره في خطوات التعبئة وحشد الجيوش وقالت" وجيراننا السمر قد تعودوا السير في المنعرجات السياسية الأوروبية التى تشبه طرق جبالهم الملتوية فلا يخشون برقاً ولا رعداً ولا يستنيمون لمعسول من الوعود والعهود".(2)
وقبل نشوب الحرب بأربعة أشهر وفي ظل المماطلات وتجاهل الدول الأوروبية بعصبة الأمم للسلوك الإيطالي، حذرت مجلة الفجر وشككت في قدرة العصبة في حل النزاع قائلة" سيرى العالم ما سيكون من حل تأتي به عصبة الأمم فإما برهنت على أنها عصبة تسعي للصالح الدولي العام، وإما أكدت مايشاع عن تحيزها".(3)
وعبرت المجلة عن تأييدها لموقف إثيوبيا وأحقيتها المشروعة في التسلح للدفاع المشروع عن نفسها، كما انتقدت المجلة التأجيل المتكرر للفصل في النزاع داخل عصبة الأمم وقالت " نوهنا قبل إليوم بأن هناك عدلاً أبيض وعدلاً أسود وأن لا أمل لابن السوداء فى أن يُعامل مثل ابن البيضاء!".(4)

وواصلت المجلة متابعتها لمجريات الأحداث وتطورات النزاع حيث سخرت من تنديد إيطاليا بإثيوبيا واتهامها بأنها موبوءة بالرق والهمجية وأنها وصمة في جبين المدنية ولا يحق لها الجلوس في مقاعد الأمم المتحضرة، معيدة للأذهان تأييد إيطاليا لطلب إثيوبيا الإنضمام لعصبة الأمم وإشادتها آنذاك بولي العهد رأس/ تفري، كما إنتقدت المجلة الموقف البريطاني والفرنسي من الأزمة. ووصفت بريطانيا وفرنسا بأنهما تقفان مع الظالم ضد المظلوم وأنهما تقدمان مصالحهما وعلاقاتهما بإيطاليا على مبادئ الحق والعدل وحقوق الإنسان التي ترفعانها، كما إنتقدت أيضاً موقف الولايات المتحدة الأمريكية وصمت البيت الأبيض في الوقت الذى تمضي فيه إيطاليا فى إكمال إستعداداتها للحرب، ورأت المجلة فى رفض موسليني المقترح الذى قدمه وزير شؤون العصبة البريطانى أنتونى أيدن تأكيداً على رفضه حسم النزاع وإتجاهه للعدوان خاصة وأن المقترح يمنح إثيوبيا ميناء زيلع مما قد يساعدها على أن تصبح قوة بحرية.(5)

واستمرت مجلة الفجر التي كانت مثالاً للصحف السودانية فى نقل أخبار النزاع وأفردت مساحة ثابتة فى كل أعدادها لذلك، مما يؤكد متابعة السودانيين للنزاع الذي أصبح حديث مجالسهم، وكان واضحاً التعاطف السوداني مع الشعب الإثيوبي بعد أن إكتمل الغزو، وكانت معلومات السودانيين عن الغزو والاحتلال والفظائع التي إرتكبها الإيطاليون بإثيوبيا آنذاك تأتي بخلاف الصحف والراديو من اللاجئين الإثيوبيين المتدفقين على السودان ومن العمال السودانيين الذين عملوا منذ مطلع الثلاثينات مع الإيطاليين فى إريتريا، وكان الإيطاليون قد فتحوا فرص عمل كثيرة عندما خططوا لمد نفوذهم نحو السودان وإثيوبيا حيث شقوا الطرق وأقاموا المطارات وشيدوا المباني لحامياتهم العسكرية.(6)

ويورد أمين التوم فى ذكرياته ان اهتمام السودانيين بأخبار الغزو الإيطالي لاثيوبيا وتناقل قصص بطولات المقاومين الاثيوبيين، ولدّ اهتماماً شعبياً بالمسألة الحبشية، وأن الصحف السودانية تابعت تلك الأحداث بالتفاصيل الدقيقة، وأن بعض القراء والمهتمين بالأدب كتبوا وألفوا قصصاً خيالية مستوحاة من ما سمعوه عن تلك الأحداث.(7)

وبعد محاولة اغتيال المارشال جرازياني فى 1937 وحملات العنف والتصفية التي مارستها القوات الإيطالية، تدفق المزيد من اللاجئين الإثيوبيين نحو السودان خاصة المثقفين والمتعلمين وكانت عدة آلاف منهم إستقرت بمدن الروصيرص والقضارف ومدني والخرطوم، وكانت روايات هؤلاء تزيد من هلع وخوف السودانيين من

الإيطاليين، ولم تفلح تطمينات وادعاءات موسليني بأنه يحتـرم الإسـلام والـشريعة الإسلامية فى تطمين السودانيين تجاههم وأصبح تعاطفهم مع الأثيوبيين ينتقل لمرحلة اعتبار أنفسهم طرفاً فى الحرب خوفاً من أن يلقـوا مـصير شـعوب المـستعمرات الإيطالية.
فالسودانيون الذين فقدوا حريتهم تحت الحكم الثنائي كانوا يدركون آنذاك أنه لو قـدر لبلادهم الوقوع فريسة فى قبضة المحور فإنهم سيفقدون فى هذه المرحلة روحهـم لا محالة، فالحرية قد تسترد عاجلاً أو آجلاً أما الروح فلا أمل فى استردادها إذا طواها القدر.(8)
فى خضم هذا المناخ وفى سبتمبر 1939م عندما إنـدلعت الحـرب بـين بريطانيـا وإيطاليا سارعت الزعامات القبلية والطائفية والدينية فى الـسودان تلقائيـاً لمـساندة بريطانيا وحليفاتها وقبل ذلك بيومين سلم السيد إسماعيل الأزهري سـكرتير مـؤتمر الخريجين رسالة إلي حاكم السودان العام معرباً عن ثقته فى قـدرة الحكومـة علـى الدفاع عن البلاد وأهلها، وأبدى الأزهري فى رسالته إستعداد المؤتمر لتقديم كل مـا يُطلب منه من خدمات(9)، وقد كان التأييد والتعاطف مع الشعب الإثيوبي يشمل كـل طبقات المجتمع السوداني خاصة سكان المدن من موظفي الحكومة والتجار والعلمـاء والطلاب وأصحاب الحرف، وكان هذا التعاطف ينطلق من عـدة إعتبـارات منهـا علاقة الجوار وما تولد عنها من تعامل وإتصال وتداخل سـكاني وأن إثيوبيـا دولـة مستقلة وضعيفة إحتلتها دولة إستعمارية إضافة إلي العامل الديني لـدى الـسودانيين حيث بأن إثيوبيا الكثير من المسلمين وأنها تاريخيـاً إسـتقبلت وأكرمـت الـصحابة رضوان الله عليهم فى هجرتهم الأولى.(10)
وتشير تقارير المخابرات البريطانية إلي أن الاهتمام والمتابعة والتعاطف مع إثيوبيـا ضد الإيطاليين وصل إلي الألعاب التى يقوم بها الأطفال آنذاك والذين كانو يقومـون بتمثيل هجوم من الإثيو بيين على طوابير الجيش الإيطالي ينتهى بهزيمة الإيطـاليين، وتشير تلك الوثائق الرسمية إلي أن الشباب فى السودان ترجم التعاطف والتأييد بجمع المساعدات المادية والعينية والتبرعات للإثيوبيين ووزعوا المنشورات الحاثـة علـى ذلك، وبلغ التعاطف إلي درجة أن الكثير من السودانيين – خاصة الذين عـادوا مـن إريتريا– طلبوا التطوع فى المقاومة الإثيوبية(11)، وتأكد للمخـابرات البريطانيـة – أن السودانيين ليسوا فقط متعاطفين مع الإثيوبيين وإنما يلقون باللوم علـى بريطانيـا لعدم مساندتها للإثيوبيين وكان لديهم أمل فى أن تتشدد بريطانيا فى عصبة الأمم ضد إيطاليا حتى تخرجها من إثيوبيا. وساد رأي بين السودانيين مفاده أن إيطاليا لم تكـن

لتتجرأ وتتورط فى غزو واحتلال إثيوبيا ما لم تكن بريطانيا تؤيد هذه السياسة أوعلى الأقل تغض الطرف عنها.(12)

(2) موقــف الحكــومــة:-

كان لنظام الحكم الاستعماري الفريد بالسودان تأثيره على موقف الإدارة البريطانيـة فيه من الاحتلال الإيطالي بإثيوبيا، حيث كانت إدارة السودان تتبع مباشـرة لـوزراة الخارجية البريطانية خلافاً لكل المستعمرات البريطانية الأخرى التـى كانـت تتبـع لوزارة شؤون المستعمرات. وكانت وزارة الخارجية البريطانية أكثـر تحفظـاً فـى معاداة إيطاليا من وزارة شؤون المستعمرات، وبعد نشوب الحـرب بـين بريطانيـا وألمانيا فى سبتمبر 1939م تأثر موقف الإدارة البريطانية فى السودان تجاه الوضـع بإثيوبيا من جراء النزاع بين وزارتي الخارجية والحربية البريطانيتين، وربمـا كـان للموقف العسكري الضعيف في السودان دور في حرص بريطانيا وإدارتها بالسودان على عدم إستفزاز الإيطاليين فلم تكن قوة دفاع السودان آنذاك يتجاوز عددها 6 آلاف رجل وكان تسليحها بسيطاً، كما لم تكن لها وسائل حركة سـوى الـدواب، وجـرى تكوينها وتدريبها أساساً للقيام بمهام الأمن والنظام الداخلي(13)، هذا عـدا الموقـف البريطاني المتهاون مع إيطاليا منذ نشوب الأزمة فى 1934م.

وكانت الحكومة البريطانية في سياسـتها المهادنـة لموسـليني تخـشى علـى كـل مستعمراتها فى شرق أفريقيا، وقامت هذه السياسة على مبـدأ أساسـي هـو إبعـاد موسليني عن هتلر وكانت ضحية هذه السياسة إثيوبيا.

انطلاقاً من هذه السياسة كانت الحكومة البريطانية تحذر إداراتها فى السودان من أي نشاط سياسي أوعسكري يقوم به اللاجئون الإثيوبيون فى السودان وعنـدما طلبـت البعثة البريطانية فى أديس أبابا من مكتب السكرتير الإداري بالخرطوم فـى نـوفمبر 1936م منح اللجوء السياسي لأحد قادة المقاومة الإثيوبية، كان الرد المرسـل مـن لندن يفيد بتجريد أي لاجئ للسودان من السلاح وأن يمنعوا من ممارسـة أي عمـل يكدر السلطات الإيطالية فى إثيوبيا.(14)

وقبل أن ينتهي العام الأول للاحتلال الإيطالي لإثيوبيـا، أرسـل الـسكرتير الإدارى بالخرطوم رسالة فى 22 ديسمبر 1936م- قبل عيد الكريسماس بيومين- إلي قـادة القوات التى ترابط على الحدود مع إثيوبيا يشير فيها إلي أن معالي الحاكم العام يبدى إهتماماً بالغاً بضرورة إستقبال الضباط الإيطاليين عند زيارتهم لنقـاط الحـدود مـع السودان والترحيب بهم، وأفادهم بأنه تم التصديق على صـرف الأمـوال اللازمـة لتغطية تكاليف مثل هذه الزيارات، وصدرت الأوامر إلي حكام المديريات الحدوديـة

بشرق السودان للسماح بتصدير المشروبات الروحية والبيرة وغيرها للجيش الإيطالي بإثيوبيا.(15) كما رفض الحاكم العام إقتراحاً من القيادة العسكرية البريطانية فى الشرق الأوسط – وكان مقرها القاهرة– تدعوه فيه إلي إيفاد بعثة من الإداريين البريطانيين الذين تحت إمرته إلي إثيوبيا تحت ستار أنهم سائحون أمريكيون لجمع معلومات عن الوضع هناك، وقال الحاكم العام فى رده علي الجنرال"ويفل" قائد منطقة الشرق الأوسط أن يتولى وحده هذه المهمة إن كان فى حاجة لها وأن يديرها من مقره بالقاهرة.(16)

وكانت الإدارة البريطانية بالسودان مقتنعة برأي وزارة الخارجية بأن إيطاليا ربما تتحول لموقف موال للحلفاء، وأرسل السكرتير الإدارى رسالة بهذا المعنى لمديري المديريات بالسودان بتاريخ 1939/10/4م وجاء فيها " لقد تلقينا مراراً وتكراراً توجيهات من حكومة صاحب الجلالة لتجنب إستفزاز إيطاليا". وإستمرت سياسة وزارة الخارجية هذه إلي نشوب الحرب بين بريطانيا وألمانيا، وقبلها بثلاثة أسابيع فقط أرسل وزير الخارجية البريطاني لورد هاليفاكس برقية إلي القنصل البريطاني بأديس أبابا يحذره فيها من إجراء أية إتصالات مباشرة أو غير مباشرة مع الرأس/سيوم وغيره من قادة المقاومة، وأبلغه أن القيام بأية خطوة معادية للإيطاليين في إثيوبيا مخالفة للسياسة البريطانية، وفى تلك الفترة تلقى المستر بلاكلي مفتش مركز القضارف رسالة من " مسفن ردا" أحد قادة المقاومة بغرب إثيوبيا طالباً معاونة السلطات السودانية ودعمه لمواصلة المقاومة، ولكن المسؤولين بالخرطوم بعد مداولات مطولة مع القاهرة ولندن تلقوا توجيهات بتجاهل الرسالة وعدم الرد عليها، كما صادرت السلطات هناك مبلغ 510 دولارات وُجدت بحوزة بعض رجال المقاومة الذين أفادوا أنهم مبعوثون من قبل الأب فيرقوس لشراء حاجات للدير، وكان الأب فيرقوس لجأ للسودان لفترة وخلق علاقات مع اللاجئين ورجال المقاومة فيه ثم عاد لديره بمنطقة أرماشو القريبة من القلابات لمواصلة دعم رجال المقاومة.(17)

وحتى قبل خمسة أيام من إعلان الحرب بين بريطانيا وألمانيا، مر "دوق أوستا" نائب ملك إيطاليا بإثيوبيا بالسودان في طريقه من روما إلي أديس أبابا ونزل بوادي حلفا والخرطوم، وظلت العلاقة ودية بين الضباط البريطانيين والإيطاليين على جانبي الحدود يتبادلون الزيارات وتتوطد علاقة الصداقة بينهم إلي حد أن عدداً من البريطانيين عسكريين ومدنيين فى القضارف وكسلا قضوا عطلة أعياد الميلاد فى أخر عام 1939م فى أسمرا مع رصفائهم الإيطاليين.(18)

هذا عن الإدارة البريطانية بالسودان ووزارة الخارجية المشرفة عليهـا بلنـدن، أمـا وزارة الحربية وقيادتها الإقليمية للشرق الأوسط بالقاهرة، فكانت تحبذ القيام بعمليات مكثفة داخل الأراضي الاثيوبية لتجميع المعلومات عن الوضع هناك والقيام بالدعايـة ضد الإيطاليين، وكانت تميل أيضاً لمساندة ودعم رجال المقاومة الإثيوبيـة بالمـال والسلاح.

وفى أغسطس 1939م قامت بتعيين العقيد ساندفورد(19) مستشاراً للشؤون الاثيوبيـة في قيادة الشرق الأوسط بالقاهرة، الذى أجرى اتصالات باللاجئين الإثيـوبيين فـي القدس والقاهرة ونيروبى والخرطوم التي وصلها في أكتوبر إلا أن الـسلطات فيهـا قابلته بفتور تمشياً مع سياسات وزارة الخارجية، بل أن الجنرال وليام بـلات القائـد العام لقوة الدفاع السودانية أبدى لساندفورد شكوكه في قيمة الإمبراطور هيلاسلاسـي وجدواه، وقال أنه غير مقتنع بما ذكره ساندفورد عن نفوذ الإمبراطور وإستناده ألـى قاعدة عريضة من المؤيدين داخل إثيوبيا وأن المعلومات تكشف عن ضـآلة شـعبيته حتى داخل عشيرته الأمهرا.(20)

ولكن بحلول نوفمبر 1939م بدأت الحكومة البريطانية تميل إلي الإقتناع بأن إيطاليـا في طريقها للإنضمام لألمانيا وأنها شرعت من أجـل ذلـك فـي حـشد إمكانياتهـا العسكرية بشمال وشرق أفريقيا، كما بدأت ترد إليها معلومات موثقة عن أن إيطاليـا قامت بتشييد مطارات ومستودعات وقود وطرق مسفلتة تجاه حدودها المشتركة مـع السودان بكل من إريتريا وإثيوبيا، ووضعت السلطات السودانية آنذاك خطة سـريعة لإخلاء مدينة كسلا ومواقع حدودية أخرى بل أنها فكرت في نقـل مقـر الـدواوين الحكومية من الخرطوم نفسها إذا تعرض السودان لغزو إيطالي، وكان الدافع الأكبـر وراء ذلك انعدام التوازن فى القوة حيـث جـاء تقريـر أعدتـه مخـابرات الإدارة البريطانية فى السودان أن القوات الإيطالية فى شرق أفريقيا تتفوق على القوات التى في السودان من حيث العدد بمعدل عشرين مقابل واحد، زيادة على تفوقها الكبير فى الجو، وورد بالتقرير أن قوة دفاع السودان ليس من المنتظر أن تقوم بأكثر من تأخير تقدم العدو فى زحفه نحو الأراضي السودانية.(21)

تحركت الإدارة البريطانية فى السودان بسرعة فبدأت فى ديسمبر 1939م فى تكوين قوة عسكرية من السودانيين وجرى تجنيدها وتدريبها في سرية تامـة حتـى إكتمـل إنشاؤها فى مايو 1940م، وهي القوة التي عُرفت باسم سلاح الحدود وشـكلت فيمـا بعد عصب حملة إرجاع الإمبراطور هيلاسلاسي لعرشه وتحريـر منطقـة غـرب إثيوبيا من الإيطاليين. كما جرى إنشاء الكتيبة المختلطـة فـى منطقـة القـضارف

وضمت لها قوات من جبال النوبة ودارفور وأيضاً المليشيا القبلية بالقضارف التي كانت تعرف ب "باندابكر" والتي كونها ناظر القضارف عبد الله بكر. وإنحصرت مهام الكتيبة في مراقبة الحدود بمنطقة القلابات.(22)

(3) السودان صبيحة إعلان الحرب:-

في مساء العاشر من يونيو 1940م، أعلن الدوتشي موسليني الحرب ضد بريطانيا وفرنسا، وقال في خطابه الحماسي أمام جماهير روما:" إن الساعة التي حددها القدر تدق الآن في سماء إيطاليا وهي ساعة القرارات التي لا رجعة فيها وإن إيطاليا سوف تنتصر ويتحقق بإنتصارها عهد السلام والعدالة لأوروبا والعالم أجمع".(23)
وكان حلم إعادة الإمبراطورية الرومانية يتراءى أمام أعين الإيطاليين، وقد شكل السودان مركزاً مهماً في ذلك الحلم الذي يمتد في أفريقيا من البحر الأبيض المتوسط إلي المحيط الهندي، ومن ليبيا يمكن إحتلال مصر ومن إثيوبيا وإريتريا يمكن إحتلال السودان وأيضاً كينيا والصومال، وبذلك يتم بناء إمبراطورية تتجاوز مساحتها الثلاثة ملايين ميل مربع بكل ثرواتها ومواردها مما يعني حل مشاكل إيطاليا الاقتصادية.
سياسياً عمدت السلطات البريطانية لكسب الرأي العام السياسي وكانت مهمتها أسهل في هذا الجانب وكانت نتائج الاتصالات التي أجراها الإداريون البريطانيون إيجابية لحد كبير، فكل الزعماء الدينيون والقبليون أكدوا ولاءهم المطلق للحكومة البريطانية، وسبق لإسماعيل الأزهري سكرتير مؤتمر الخريجين أن بعث برسالة تأييد إلي الحاكم العام قبل إعلان إيطاليا الحرب بيومين.

وفي ظهر اليوم التالي لإعلان إيطاليا الحرب، دعا الحاكم العام 21 زعيماً سودانياً في قصره وألقى أمامهم بياناً مقتضباً بدخول السودان الحرب(24)، وكان من بين الحضور زعماء الطائفيه الثلاثة "عبد الرحمن المهدي- علي الميرغني ويوسف الهندي " إضافة إلي مفتي السودان وممثلي العلماء والتجار وعدد من الضباط المتقاعدين ولأول مرة ممثلين لمؤتمر الخريجين، وتناوب الزعماء الطائفيون الثلاثة ومفتي السودان في التعقيب بكلمات قصيرة أعربوا فيها عن الولاء لبريطانيا وثقتهم في انتصارها في الحرب وإستعدادهم للذود عن بلدهم، كما عقد ميرغني حمزة رئيس مؤتمر الخريجين إجتماعاً عقب اللقاء مع السكرتير الإداري أكد فيه حرص

الخريجين على التعاون بإخلاص مع الحكومة وأنهم سيكفون عن إنتقادها وسيرجئون خلافاتهم من أجل إلحاق الهزيمة بالإيطاليين.(25)
وأظهر اجتماع الحاكم العام إجماع السودانيين على نصرة الحلفاء والدفاع عن بلـدهم أمام خطر الإيطاليين بشرق السودان ولم يشعر الزعماء السودانيون بأي تناقض وقـد بدأت آنذاك حركتهم السياسية المطالبة بتقرير المصير ووضع يدهم مع الدولة التـي تستعمرهم ضد مستعمر آخر يتربص بهم. وكان لإيمانهم بعدالة الحرب ضد المحور وإحساسهم بالخطر الإيطالي وتخوفهم من أن يكون مصيرهم مصير إثيوبيـا وليبيـا دور رئيسي فى هذا الموقف، كانوا ينتظرون أن تتصرف بريطانيا من هذا المنطلـق وتهجم على الإيطاليين بإريتريا وإثيوبيا، وفى رسالة وجهوها لقائد عـام قـوة دفـاع السودان إنتقدوا الموقف البريطاني آنذاك المتمسك فقط بالدفاع عن السودان قـائلين: " إننا نخوض الحرب معكم وندين بالولاء للحكومة ولا نرغـب فـي إنتقادهـا ولكـن يسوؤنا أن يقال لنا إن السودان فى حالة دفاع عن نفسه بدلاً من أن نداهم الأعداء فى عقر دارهم ونحن نعلم أنهم مهزومون لا محالة".(26)
وروى السيد عبد الرحمن المهدي فى مذكراته أن لفيفاً من الضباط السودانيين بقـوة دفاع السودان، حضروا له عند اندلاع الحرب وذكروا له أنهـم لا يـودون إطاعـة أوامر قيادتهم بالاشتراك فى حرب أوروبية "ما لم يكونوا مؤيدين من الـرأي العـام داخل بلدهم"، واشار إلي أنه طلب منهم المشاركة فى الحرب لصد الزحـف الفاشـي عن السودان والوقوف مع الدول الديمقراطية – دول الحلفاء – حتى يمكننا بعد نهاية الحرب وانتصارهم فيها أن نطالب بحقنا العادل فى الحرية والاستقلال.(27)

تحرك البريطانيون بسرعة شديدة منذ أن أعلنت ألمانيا الحرب في سـبتمبر 1939م وأحاطوا تحركهم العسكري بالسرية والكتمان، كما إتجهت السلطات البريطانية فـي السودان لمواجهة الظروف الاقتصادية فى حالة إندلاع الحـرب فقامـت باسـتيراد وتخزين البضائع التي يصعب إنتاجها محلياً مثل الأدوية والأدوات الطبية والأقمـشة والملابس والأدوات الحربية وإحتياجات السكة الحديد وغيرها. وعندما أعلنت إيطاليا الحرب كان بالسودان مخزون من المواد وقطع الغيار كافة يكفيه لفترة تتراوح بـين أثني عشر وثمانية عشر شهراً، وعملت على تغيير خطط إنتاج المـصالح والأقـسام والمصانع والأشغال العامة والسكة الحديد لتساعد في الجهد الحربي .
وكانت قوة دفاع السودان تعتمد آنذاك – 1939م– على وسائل النقل البدائية المتمثلـة فى الجمال والخيل والبغال، وكان عددها لا يتجاوز 4.500 جندي تحـت قيـادة 73

ضابطاً بريطانياً و97 ضابطاً سودانياً مسلحين بمدافع الفيكـــرز وبنـــادق " البـــويز" المضادة للدبابات، إضافة إلي مدافع " البرن" التى رُكبت على العربـــات ويـساعدها 2500 جندى بريطاني موزعون على ثلاث كتائب بكـــل مـــن الخرطـــوم، عطبـــرة وبورتسودان، ولم تكن القوة تملك أية دبابات، أما الطائرات فكان منها سرب واحـــد يتكون من 7 طائرات طراز فنسيت وسربين من الطائرات القاذفة بقاعدة بورتسودان للحفاظ علي البحر الأحمر مفتوحاً أمام الحلفاء لمد قواتها بالتموين والإمداد الحربـــي، بينما حشد الإيطاليون قبالة حدود السودان الشرقية 100 ألف جندي مـــزودين بعـــدد هائل من المدافع والدبابات والسيارات وناقلات الجند مستفيدين مـــن القـــوة الجويـــة الإيطالية بشرق أفريقيا –250 طـــائرة – والقـــادرة علـــى إصـــابة كـــل الأهـــداف الإستراتيجية بالسودان، كما عبد الإيطاليون الطرق البرية الموصلة إلي جميع النقـــاط السودانية على الحدود مثل قرورة، كسلا، القلابات، الكرمك وقمبيلا.(28)

وتحت هذه الظروف بدأ حاكم عام السودان يُعـــد قـــوة دفـــاع الـــسودان لمواجهـــة الخطر الإيطالي ورفض نصيحة القائد العام للجيش البريطاني الجنرال هارلود فرانكن بتوسيع القوة السودانية بدرجة كبيرة لأن ذلك فى رأيه يعرض تلك القـــوة لـــضعف التدريب نظراً لشح الإمكانيات وضيق الوقت مكتفياً بزيادة فاعلية القوة لتكـــون رأس حربة فى الزحف على الإيطاليين. وبالفعل دخلت قوة الدفاع السودانية فـــى تمـــارين وتدريبات مكثفة وجرى تحريك وتحويل معظم كتائبها وسراياها نحو شرق الـــسودان وتُركت مهمة حفظ الأمن الداخلي لقوات البوليس والمستجدين.(29)

(4) احتـــلال كســـلا والقلابـــات والكرمـــك :–

بالإضافة للإستراتيجية الإيطالية وأحلامها فى تكوين إمبراطورية فى شرق وشـــمال أفريقيا، فإن عدة أسباب أخرى عجلت بدفع قواتها نحو السودان، منها إزدياد عمليات المقاومين الإثيوبيين انطلاقاً من الحدود السودانية وانتشار تجمعاتهم بالمدن الحدوديـــة مثل القضارف والقلابات وكسلا والكرمك وقيام بعض وحدات قوة دفـــاع الـــسودان بتدريبهم داخل معسكراتها بالإضافة إلي زيادة التجمعات العسكرية للقوات البريطانية بالسودان خاصة بمنطقة البطانة وشرق السودان وأيضاً إزديـــاد النـــشاط الـــسياسي لحزب الشباب الإثيوبى فى السودان.(30)

وفى صباح اليوم التالي لإعلان الحرب، قام سلاح الجو الملكي البريطـــاني بقـــصف كل المطارات والمهابط الإيطالية وتفجير مستودعات الوقود بإثيوبيا وإريتريا وشملت

الغارات الجوية أسمرا ومصوع، وردت الطائرات الإيطالية بعد يوم – وكانت تتفوق عددياً على البريطانية بخمسة أضعاف – بقصف مدينة كسلا مما أدى لمقتل شخص واحد – هو عم عمدة المدينة– وإصابة 15 آخرين بجروح. وحينها عدلت السلطات البريطانية خططها السابقة بالإنسحاب السلمي من المدينة في حالة تعرضها للهجوم وإعتبارها مدينة مفتوحة، وقررت القيام بأعمال تخريبية مع إبداء أكبر قدر ممكن من المقاومة قبل إخلائها فى حالة الهجوم عليها.(31)

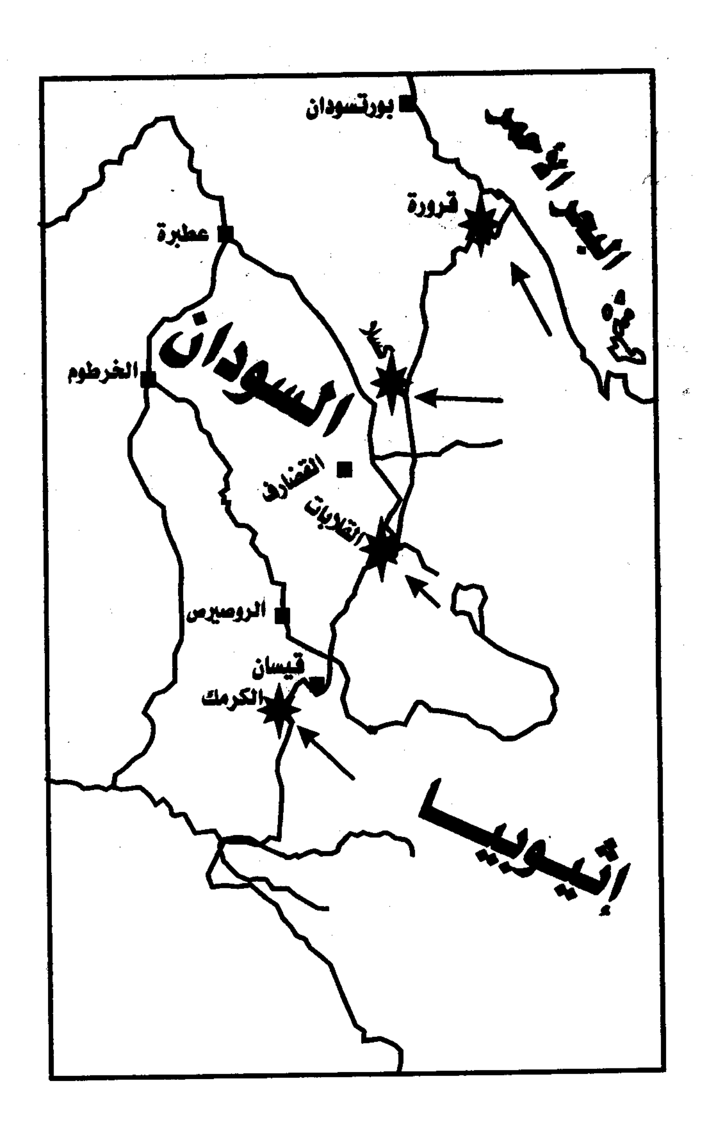
وال الفترة من 12 يونيو وحتى الرابع من يوليو حيث احتلت كسلا، قامت سريتا البلكات السريعة بقوة دفاع السودان التى كانت مرابطة بكسلا بعمليات بطولية أفزعت جيوش الإيطاليين بغاراتها المتواصلة وسرعة حركتها وشجاعة جنودها الذين إشتبكوا مع الإيطاليين فى مواقع عديدة وكبدوهم خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات رغم تفوق الإيطاليين فى العدد والإمكانات، وكانت وحدات السريتين تخرج فى عملياتها الإستكشافية والقتالية فى وحدات صغيرة تضم ما بين أربع إلى ثمان سيارات مصفحة مسلحة بمدافع البرن فتصطدم بالكتائب الإيطالية وتجبرها على التراجع بعد أن توقع بينها خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات وتأسر عدداً لا يستهان به من جنودها وتعود بهم وبكميات كبيرة من غنائم الأسلحة والمعدات إلى مواقعها.(32)

وسجل أندرو مليكي مفتش مركز كسلا آنذاك فى يومياته بطولات القوة السودانية وضباطها ومن بينهم الملازمان محمد نصر عثمان وطلعت فريد، كما بين أثر انتصارات القوة فى رفع الروح المعنوية لسكان المدينة الذين لم يغادروها عدا قلة من تجارها وموظفي الحكومة الذين جرى ترحيلهم إلي أروما.(33)

كان التمسك بكسلا مهماً لأن فقدانها يعني تهديد مجمل السودان بما في ذلك الخرطوم وبورتسودان، وكانت الأراضي الفاصلة بين كسلا والخرطوم مسطحة وشبه صحراوية وخالية من الموانع الطبيعية التي تعوق سير المركبات، وخلف مدينة كسلا يمر خط السكة الحديد ويوجد على نهر عطبرة جسر خشم القربة، وكان الدفاع عن كسلا مهماً للحفاظ على الخط الحديدي والجسر الذين يعني فقدهما فتح الطريق أمام القوات الإيطالية نحو الخرطوم وعطبرة أيضًا(34) وهو ما يعني قطع خطوط الإمداد والتموين لقوات الحلفاء في أفريقيا عبر البحر الأحمر. وعبر أفريقيا إلى الشرق الأوسط من ميناء تاكوراي عاصمة ساحل الذهب (غانا الآن) فى غرب أفريقيا إلي ميناء بورتسودان، لذلك خططت قوة دفاع السودان للقيام بهجوم على

مدينتي تسني وسبدرات الإريتريتين لطرد الإيطاليين منها فى الخامس مــن يوليــو، غير أن الآخرين كانوا أسبق وأخذوا زمام المبادرة وهاجموا كسلا فى الرابــع مــن يوليو(35) على محورين من الشرق والشمال بثلاثة ألوية تضم 8 آلاف من المــشاة والخيالة تعززها 18 دبابة غير المدرعات والطائرات، ودارت معركة حاميــة تكبــد فيها الإيطاليون خسائر كبيرة فى الأرواح والممتلكات وتمكنت سرية واحدة من قــوة دفاع السودان تصدت لمحور الهجوم الشرقي من قتل 500 مــن القــوات الإيطاليــة وتدمير 23 سيارة نقل قبل إنسحابها لخشم القربة، ومثلت معركة كسلا التي إستمرت أربع ساعات أول معركة تخوضها قوة دفاع السودان، وانسحبت بقية القــوة وأخلــت المدينة بنجاح بعد أن دمرت مقسم الهاتف وحملت أسلحتها والملفات الحكومية المهمة وكان مجمل قوة دفاع السودان وقوات البوليس بالمدينة 400 جندي ولم تكــن معهــم أي دبابات كما لم تساندهم طائرات.(36)
وبلغت خسائر قوة الدفاع فى كسلا عشرة قتلى وتدمير سيارتين. وطبقاً للوثائق التــى عثرت عليها القوات البريطانية بعد دخولها أديس أبابا فإن الإيطاليين خــسروا فــى معركة كسلا ما يقارب الألفي قتيل وثمان دبابات وطائرتين. وزار الجنــرال بــلات قائد عام قوة دفاع السودان القوة المنسحبة فى إليوم التالي بخشم القربة علــى نهــر عطبرة الذى أصبح خط الدفاع لإيقاف أي هجوم إيطالي نحو القضارف أو عطبــرة أو الخرطوم.

فى أقصى الشمال الشرقي على ساحل البحر الأحمر احتل الإيطاليون بدون مقاومــة نقطة قرورة، ووقع عبء تأخير وإعاقة تقــدم الإيطــاليين نحــو طــوكر وســواكن وبورتسودان على قوة صغيرة جندها البريطانيون من أفراد قبيلتي الهدنــدوة والبنــي عامر وسميت "مليشيا المروج" ونجحت القوة فى مهمتها وسببت للإيطاليين إزعاجــاً مستمراً.(37)



المصدر: ANTONY MOCKLER , HAILE SELLASSIE,S WAR THE ITALIAN ETHIOPIAN CAMPAIGN, ١٩٣٥-١٩٤١, RANDOM HOUSE ,NEW YORK -١٩٨٥

فى القلابات التى كان يفصلها خور عن المتمة الإثيوبية، وقع الهجوم الإيطالي في الرابع من يوليو متزامناً مع الهجوم على كسلا، وكانت تحمى القلابات فصيلة – 33 جندياً– بقيادة ضابط، استبسلت فى الدفاع عن المدينة فى مواجهة القوات الإيطالية التى تفوقها عدداً 15 ضعفاً والمزودة بالدبابات والمدفعية، وانسحبت القوة السودانية لغرب المدينة دون خسائر تذكر، وواصلت من هناك تشكيل الأطواف لمهاجمة الإيطاليين. أما قائد القوة الملازم عبد الله محمد مصطفى فكان أول من نال نيشان الصليب الحربى بقوة دفاع السودان فى الحرب العالمية الثانية.(38)

أما الكرمك فكان يحرسها سبعون من أفراد الشرطة رغم قربها من خزان سنار في مواجهة 700 من القوات الإيطالية المدعومة بالمركبات والمدرعات وقوات كبيرة من المليشيا الإثيوبية الموالية لها،*وقد هاجم الإيطاليون المدينة فى 7/يوليو ونهبوا متاجرها مما إضطر سكانها لمغادرتها مع قوة البوليس التى قتلت150 من القوة المهاجمة نحو الروصيرص .

وحاول الإيطاليون التقدم شمالاً نحو الروصيرص بقوة بلغ تعدادها 1500 جندى معظمهم من الإثيوبيين الموالين لهم. وتوغلت القوة مسافة 80 ميلاً حتى وصلت مسافة تبعد عن الروصيرص ب 25 ميلاً حيث تصدت لها قوة البوليس المعززة بمليشيا قبيلة تتبع للناظر المك نائل حمد ناظر الكرمك وأجبرتها على الإنسحاب.(39)

وإلي الجنوب من الكرمك وحتى الحدود مع مستعمرة بريطانيا فى كينيا، وقع عبء التصدي للقوات الإيطالية المحتشدة على الحدود على قوات البوليس، وقد سمح الإيطاليون لقوات البوليس التى كانت بمدينة قبيلا بالانسحاب للسودان.وأصبح التهديد الإيطالي هناك يصل إلي ملكال على خط الملاحة النهرية بين الخرطوم وجوبا والذى كان يستخدم أيضاً بين قوات الحلفاء فى شمال القارة والمستعمرات البريطانية الإفريقية حتى جنوب إفريقيا.

وفى بورتسودان ميناء السودان الوحيد، تم إغراق سفينة إيطالية كانت محملة بالعتاد العسكري فى طريقها إلي مصوع وأعتقل جميع بحارتها، وفُرضت على المدينة إجراءات مشددة تحوطاً من عمليات تخريب للميناء.

(5) احتواء الخطر الإيطالي :-

نجحت قوة دفاع السودان فى مهمة وقف تقدم الإيطاليين إلي أن تصل الإمدادات والتعزيزات بنجاح منقطع النظير ووضع التقرير الرسمي البريطانى عن تاريخ

الحرب العالمية الثانية قوة دفاع السودان مع رجال السلاح الجوي الملكي فى معركة بريطانيا الذين نالوا إعتراف وشهادة الجميع بدورهم البطولي فى التصدي للقاذفات الألمانية ويقول التقرير: " كان رجال قوة دفاع السودان القليلة العدد ممتازين، وتمتع قائدهم الجنرال بلات بقدر عظيم من الكفاءة وهدوء الأعصاب، وقد استطاع مع رجاله تضليل الإيطاليين وإيهامهم بأن قوتنا أقوى مما هي عليه بالفعل".(40)
ولقد كان لنجاح قوة دفاع السودان في إيهام الإيطاليين بأن حجمها أكبر مما هى عليه فى الواقع، العامل الحاسم لتردد الإيطاليين فى مواصلة زحفهم إلي داخل السودان، وإكتفوا طوال الستة أشهر اللاحقة لإعلان الحرب بعمليات القصف الجوي التى بلغ عددها 70 غارة وأدت لمقتل 40 مواطناً وجرح مائة آخرين، وشملت مدن بورتسودان وكسلا والخرطوم وعطبرة وخشم القربة ولكنها لم تحقق أي نجاح عسكري يُذكر، وقابل السودانيون غارات الطائرات الإيطالية بالسخرية(41) ونجحت القوة قليلة العدد والإمكانيات فى إحتواء خطر الجيوش الإيطالية المحتشدة على طول ألف ميل من قرورة على البحر الأحمر وحتى جبل بوما فى أقصى الجنوب. وتأكد الدور الحاسم الذى قامت به قوة دفاع السودان بعد انتهاء الحرب حيث عثرت القوات الحلفية فى وثائق الإيطاليين بأديس أبابا على خطط مفصلة.
اتخذت الإدارة البريطانية عدة خطوات ساعدتها علـى تـدارك موقفها العسكري الضعيف، فعمدت لتجنيد الإداريين البريطانيين فى قوة دفاع السودان وجندت كل من تصادف وجوده بالسودان آنذاك مثل "إيفانز برتشارد" عالم الأنثروبولوجيا البريطاني المعروف الذى كان يعد آنذاك بحوثه وسط قبائل جنوب السودان وأصبح قائداً لقوة من الشرطة ومتطوعي قبيلة الأنواك وقادهم في الكثير من الهجمات على الإيطاليين بمنطقة قمبيلا.(42)
كما لجأت السلطات البريطانية لتجنيد مليشيا قبلية لمساعدة قوة دفاع السودان، فجرى تكوين قوة المروج بالبحر الأحمر وقوات فروستي التابعة للناظر محمد ترك ناظر الهدندوة و "باندابكر" التابعة لناظر القضارف عبد الله بكر، وباندا الفونج التابعة للمك نائل بجنوب النيل الأزرق، وبعد احتلال كسلا قام زعماء الختمية بدور كبير فى استمرار ولاء أهالي المدينة للبريطانيين وزود كل من محمد عثمان والحسن الميرغني وعمدة المدينة أحمد جعفر وآخرين السلطات البريطانية بمعلومات دقيقة ومتواصلة عن الوضع بمدينة كسلا وتحركات الجيش الإيطالي ونياته، وكانت لهم شبكة استخبارية نشطة تضم مؤيديهم من التجار وسائقي الشاحنات والسودانيين الذين ما زالوا بإريتريا، إضافة إلي دورهم فى الإشراف على توزيع الذرة التى جرى تخزينها فى مواقع سرية قبل الهجوم الإيطالي وحماية المواطنين من أذى الإيطاليين،

ولأدوارهم هذه منحت السلطات البريطانية بعد الحرب أعيان كسلا أوسمة رفيعة.(43) ولم تخل كسلا من بعض المتعاونين مع الإيطاليين مثل التاجر الختمي عبد المجيد سلطان الذى قبض عليه لاحقاً بإريتريا ونفذ فيه حكم الإعدام ببورتسودان فى 1942م.

وطبقاً لتقرير اللجنة التي كونها الحاكم العام للدفاع عن السودان فى يوليو 1940م، فإن إمكانيات السودان إذا ما إستغلت بصورة جيدة ستمكنه من الوقوف فى وجه الغزو الإيطالي إلي وقت محدود حتى وصول الإمداد العسكري من الخارج، وأوصت اللجنة بتكوين قوة مساعدة من السودانيين والجالية البريطانية لمساعدة قوة دفاع السودان والقيام بمهام الدفاع المدني وتوفير عدد من الضباط ومنع تسرب الإيطاليين لداخل السودان ومحاربة نشاطهم التجسسي والتخريبي، وبالفعل جرى استيعاب 75 ضابطاً من الموظفين البريطانيين بمشروع الجزيرة.

وقع عبء الدفاع عن القطاع الجنوبي من الحدود الذى يمتد من خور يابوس شمالاً وحتى الحدود مع كينيا بطول 550 ميلاً على 550 من رجال قوة البوليس موزعين على نقاط قمبيلا، الداجا، التاصر، الجكو، أكوبو، البيبور ودورو، وتمركز جزء من القوة بمدينة ملكال وجرى لاحقاً تجميع قوة البوليس بنقاط محددة وأخليت نقاط قمبيلا، الجكو والداجا، فاحتلها الإيطاليون دون معارك.

وتمكنت قوة البوليس فى بقية النقاط من إيقاف زحف الإيطاليين وأمنت استمرار الملاحة على نهر السوباط بعد أن عدلت أثنتان من البواخر ونصبت عليهما مدافع واستخدمتهما فى مراقبة تحركات الإيطاليين ومساعدة النقاط المواجهة لهم. وكانت قوات البوليس تقوم أحياناً بالهجوم على الإيطاليين داخل إثيوبيا، واستمرت فى ابعاد الإيطاليين ومناوشتهم إلي أن تمَّ دعمها بكتيبة الجيش البلجيكي التى قدمت من الكونغو. ويلاحظ أن الضغط الإيطالي تركز على محور كسلا وكان محدداً بالقطاع الجنوبي من الحدود.

واستفادت قوة دفاع السودان كثيراً من القوة المساعدة التى جندتها وضمت العسكريين بالمعاش والمتطوعين من موظفي الخدمة المدنية، وأسنديت لهؤلاء مهمة حماية الخرطوم والمدن الكبرى من غارات الطائرات الإيطالية ومنع تسللهم إليها، كما جرى تجنيد سرايا من العمال لسد النقص بميناء بورتسودان والسكة الحديد خاصة بعد توارد شحنات الإمدادات والأسلحة استعداداً للحرب.

وتمكنت الإدارة البريطانية وقوة دفاع السودان من كسب الحرب الدعائية بفضل إذاعة أم درمان التى أنشأتها الإدارة البريطانية آنذاك خصيصاً لمواجهة دعاية دول

المحور وأيضاً بفضل الدور الكبير الذى قام به الإداريون البريطانيون وسط السكان المحليين بأنحاء السودان كافة. وساعدها ذلك على كسب حرب الإستخبارات حيث أتيحت لها مصادر متعددة للمعلومات من مواقع الإيطاليين التى احتلوها وحتى من داخل كينيا وإريتريا، كما نجحت المليشيا القبلية التى أنشأوها في جمع المعلومات والتسلل بحرية إلي المواقع التى احتلها الإيطاليون.

لم يكن تفوق البريطانيين فى مجال الحرب الدعائية والاستخباراتية بدون نكسات، فالإيطاليون أيضاً لم يغفلوا هذا الجانب وسعوا لتجنيد مواطنين سودانيين لتوزيع منشوراتهم ومدهم بالمعلومات، ففى جنوب النيل الأزرق قبض على سودانيين يوزعان منشورات إيطالية وجرى إعدامهما بعد محاكمة سريعة فى نهاية أغسطس 1940م(44)، كما تمكن سلاح الجو الإيطالي فى أكتوبر من تدمير عشر طائرات بريطانية كانت على أرض مطار القضارف تصادف وجودها فى ذلك اليوم بمناسبة زيارة قائد علم قوة دفاع السودان الجنرال بلات للمدينة والذى نجا ووفده من القصف.(45)

ونتيجة للمعلومات التى جمعها البريطانيون تأكد لهم أن الإيطاليين ليست لديهم خطة لمواصلة الهجوم داخل السودان وأنهم اكتفوا بتحصين مواقعهم التى احتلوها. وساعد هذا الوضع قوة دفاع السودان على الانتقال إلى مرحلة الهجوم بعد احتوائها للغزو.

في أغسطس ونتيجة لصراع المسؤولين البريطانيين واختلاف رؤيتهم بشأن الحرب والموقف من الإيطاليين، تقدم حاكم عام السودان السير ستيورات سايمز باستقالته ونُقل إلي جنوب إفريقيا وشاع آنذاك أنه لم يكن متجاوباً مع التعبئة والجهد الحربي، وكان لسايمز موقفاً لم يخفيه بشأن الحرب يقوم على قناعته بأن الحرب تخص الأوروبيين وأنه يجب أن لا يورط فيها الأفريقيون(46)، وعندما إلتقى بهيلاسلاسي فى يوليو 1940م بالخرطوم أبلغه بوضوح أنه مسؤول عن الدفاع عن السودان وليس أي بلد آخر.(47)

بذل جهد جبار فى كل أنحاء السودان إستعداداً لمرحلة الهجوم خاصة فى المديريات الحدودية شرقاً، استمر التجنيد والتدريب لقوات الشرطة والمليشيا القبلية وظلت الدوريات تتحرك باستمرار لإزعاج الإيطاليين وتضليلهم. ويذكر مدير مديرية النيل الأزرق آنذاك فى مذكراته وصفاً لهذا الوضع قائلاً " فى يناير ذهبنا إلي الروصيرص مع دوغلاس نيوبولد السكرتير الإداري، ووجدنا أن المكان تحول إلي خلية من النشاط يمتلي بالرجال من أورطة الملك الأفريقية، وقوات سودانية وإثيوبية، وبطاريات مدفعية وضباط بريطانيين يحاولون في يأس تنظيم كل الأمور،

كانت الجمال تتدفق من الجزيرة وكردفان لتعزيز النقل بالعربات، ثم تنظيف الطريق الأمامي، وسويت أرضه وصارت القوافل تذهب إلي الجبهة كل يوم تقريباً. وفي أثناء تقدم قواتنا قام الإيطاليون بمحاولات لإعتراضها، وفي الرابع من فبراير 1941م قاموا بالجلاء نهائياً عن الكرمك".(48)

أظهر جميع السودانيين وقوفهم خلف الجهد الحربي للحكومة وكانت استجابتهم للتجنيد العسكري كبيرة، وأخلى سبيل عدد كبير من الموظفين البريطانيين الذين يعملون بالحكومة أو بمشروع الجزيرة للإنضمام لقوة دفاع السودان، وساعد زعماء القبائل في جمع الجمال والبغال والجياد للقوة. وبدأت في الوصول للسودان القوات الهندية طليعة قوات الحلفاء المكونة من الفرقتين الرابعة القادمة من شمال أفريقيا عبر وادي حلفا وبورتسودان، والخامسة القادمة من الهند عبر بورتسودان، وكانت كل فرقة تتكون من ثلاثة ألوية (حوالي 8.000 جندي) حيث نشرت ألوية الفرقة الخامسة في كل من بورتسودان والقلابات وشرق نهر عطبرة لحماية كبري خشم القربة. وجرى إدخال تحسينات كثيرة على الطرق وفتح بعضها مثل طريق بورتسودان- سواكن - سنكات، وطريق سنكات- هيا- درديب- القاش، وطريق القضارف - خشم القربة.

في كسلا كانت المخاوف من أن يبدأ الإيطاليون بعد موسم الأمطار هجومهم الكاسح على داخل السودان، ولكن إتضح أن الإيطاليين غيروا من خططهم ومالوا للدفاع عن مواقعهم هناك، فدفع الجنرال بلات بالفرقة الرابعة الهندية لإسترداد كسلا وجعل في مقدمة هذه القوة " قوة الغزال" المكونة من تشكيلات مطاردة من السرايا السريعة المدرعة لقوة دفاع السودان.(49)

وقامت سرايا قوة دفاع السودان على محور كسلا بدور كبير في مهاجمة الإيطاليين أثناء الإعداد للهجوم لاسترداد كسلا وكبدتهم خسائر كبيرة بقواتهم المتمركزة بالنقاط الدفاعية وكان للعمليات الجريئة والحركة السريعة لهذه السرايا الدور الأساسي الذى أجبر الإيطاليين على الإنسحاب من السودان، كما أنها هى التى حولت عنصر المبادرة في كل المعارك المستقبلية مع الإيطاليين وإجبارهم على تغيير خطتهم من الهجوم للدفاع.(50)

أول العمليات التى مهدت للهجوم ضد الإيطاليين كانت بالقلابات في 6/نوفمبر 1940م حيث تمكن اللواء العاشر الهندي والكتيبة المختلطة من قوة دفاع السودان بمعاونة طائرات سلاح الجو الملكي من إجبار الإيطاليين على الإنسحاب من القلابات إلى المتمة بعد معركة حامية إستمرت يومين وأستخدمت فيها الأسلحة كافة

من مدفعية ودبابات وطيران، ونشبت معركة جوية في سماء المدينة اشتركت فيها 25 طائرة إيطالية تمكنت من إسقاط خمس طائرات بريطانية وتحطمت خمس من دبابات قوة دفاع السودان الست، وبلغت خسائر الإيطاليين ما يزيد عن 400 قتيل وجريح. ورغم نجاحها في طرد الإيطاليين من القلابات إلا أن قوة دفاع السودان عجزت عن شن هجوم ناجح على مواقعهم في المتمة التي كان تحريرها مهماً لفتح الطريق أمام إمداد قوات المقاومة بالسلاح والمؤن من السودان(51)، ورغم أن الهجوم على المتمة فشل إلا أن نصر القلابات رفع من الروح المعنوية لقوة دفاع السودان ولقوات المقاومة الإثيوبية، واستطاعت قوة دفاع السودان "وباندابكر" تأمين القوات الهندية بالأطراف وتوغلت إلي عمق أربعة أميال داخل الحدود الأثيوبية وغنمت عدداً كبيراً من البغال.(52)

ونتيجة لهزيمة الإيطاليين في القلابات وسيطرة "قوة الغزال" على آبار تهاميم شمال كسلا بعد هزيمتها لهم هناك وهجمات قوة دفاع السودان على نقاطهم بين نهر عطبرة وتسني وتهديدها لخطوط إمدادهم من داخل إريتريا، اتخذ الجنرال فروش قرار الإنسحاب من كسلا في 18/يناير 1941م وجعل بداية الهضبة الإريترية في محور كيرو، أغوردات خط دفاعه الجديد.

(6) دعم السودان للمقاومة الإثيوبية:-

مرت المقاومة الإثيوبية بالسودان بمرحلتين، تميزت المرحلة الأولى التي استمرت من منتصف 1936م حتى منتصف 1939م بعدم التنظيم وكثرة الخلافات بين مجموعاتها، أيضاً كان الموقف الرسمي للإدارة البريطانية في السودان متحفظاً تجاه عمل المقاومة داخل السودان، وكانت السياسة الرسمية آنذاك تقضي بتجريد اللاجئين من أسلحتهم فور وصولهم السودان ونقلهم بعيداً عن الحدود حتى لا يُعتبر وجودهم قرب الحدود عملاً عدائياً من قبل بريطانيا. ولذلك انحصر نشاطها بين الإثيوبيين المقيمين بالسودان والمواطنين السودانيين.

وأورد الإمبراطور هيلاسلاسي في كتاب سيرته الذاتية رسالة وصلته في منفاه ببريطانيا من زعيم المقاومة بغرب اثيوبيا مسفن سليشي الذى كان قائداً عسكرياً مرموقاً ودخل للسودان بعد الغزو بغرض تنظيم وتدريب اللاجئين الاثيوبيين، يثني فيها على الجنود والموظفين السودانيين الذين استقبلوه على الحدود، وفي ذات المعنى رسالة أخرى من بلاتا تكلي يورد فيها الدعم والمؤن التي قدمها السودانيون لقواته بعد أن عانت من نقص الغذاء والدواء.(53)

ومن رسالة أخرى يتضح أن أحد قادة المقاومة الاثيوبية فى منطقة "قويا" بجنوب غرب إثيوبيا (حمدان بنجاوى) أصله سودانى وينحدر من الأسرة الحاكمة بمملكة الفونج وأن كل أفراد جيشه من الذين خدموا فى قوة دفاع السودان.(54)
وتبداء المرحلة الثانية للمقاومة بعد أن تغير الموقف الرسمي للحكومة وأصبحت مقتنعة بنيات الإيطاليين تجاه السودان، وبلغت هذه المرحلة قمتها بوصول الإمبراطور هيلاسلاسي للخرطوم فى مطلع يوليو 1940م(55)، حيث تكثف نشاط المقاومة سياسياً وعسكرياً إلي أن بدأت حملة التحرير فى يناير 1941م.
دفع الغزو الإيطالي لإثيوبيا بعشرات الآلاف من الإثيوبيين إلي السودان واستقر هؤلاء بأسرهم بمدن الروصيرص والقضارف ومدني وكسلا والخرطوم، وكان بالخرطوم آنذاك عدد من الأسر الإثيوبية العريقة التى استوطنت بها منذ عدة سنوات مثل أسرة ميخائيل بخيت وأسرة برهي كيداني، وأسرة ميكائل عندوم(56) ونشط هؤلاء -وكانوا يعملون بمصالح وإدارات الحكومة- فى تجميع اللاجئين وتنظيمهم وعقد الاجتماعات لهم.(57)
وشكلت الخرطوم آنذاك حلقة الاتصال بين المقاومة بالداخل والإمبراطور بالمنفى وعبرها كانت ترد الرسائل والتقارير عن الأوضاع داخل إثيوبيا وعمليات المقاومة، وتم أول مسعى لتكوين تنظيم موحد للاجئين برعاية "دابابيرو" الذى كان ممثلاً تجارياً للإمبراطور بالخرطوم قبل الغزو الإيطالي، واستفاد هذا التنظيم من التعاطف والتأييد الذى أبداه السودانيون مع الأثيوبيين ومقاومتهم وشرعوا فى جمع المساعدات والتبرعات لأسر اللاجئين ولأفراد المقاومة، وكان هذا النشاط يجري بعيداً عن الإدارة البريطانية بالسودان التى اكتفت بجمع المعلومات عنهم خاصة بعد إغلاق القنصليات البريطانية بإثيوبيا وتقليص حجم البعثة البريطانية بأديس أبابا. ولاحقاً شرعت إدارة الأمن العام فى فتح فرع خاص عن إثيوبيا أسندت إدارته إلي الميجر شيسمان.(58)
على الحدود كان الوضع أسهل للمقاومة ومؤيديها بالسودان بفضل تعاطف مفتشي المراكز الحدودية وخصوصاً المستر بلاكلي فى القضارف حيث تنقل بين جانبي الحدود عدد من اللاجئين والقادة الوطنيين مثل الأب كيركوس الذى تمكن من الهرب للسودان فى 1937م ومكث بالخرطوم فترة خلق فيها صلات بين اللاجئين والمقاومة بمنطقة "أرماجو" القريبة من القلابات ثم عاد لديره لمواصلة النضال ضد الإيطاليين. وكان المقاومون يحصلون على احتياجاتهم التموينية من داخل الحدود السودانية.(59)

وكان من أبرز قادة المقاومة فى غرب إثيوبيا ومنطقة قوجام خاصة الـذين ينـشطوا فى منطقة الحدود واستفادوا من دعم المقاومة بالسودان داجاش/بلاي زالكـا بمنطقـة "بيشاتا" وكان الأكثر شعبية وسحراً جماهيرياً بين قادة المقاومة، وتبود/مناقاش باذابـه حفيد الملك تكلا هيمنوت " الرأس/عدال" وأصبح للأثنين شأن فـى فتـرة مـا بعـد التحرير وتقلبا بين العمل كوزراء الإمبراطور ومعارضين له.(60) كما اشتهر عـدد آخر من القادة العسكريين للمقاومة بغرب إثيوبيا مثل "مسفن ردا" و"فيتوراري وركو" فى كوارا الذى تسلم أول دفعة أسلحة من السودان للمقاومة فى يوم إعـلان الحـرب وكانت 700 بندقية من طراز "مارتيني".(61)

وانتقل للخرطوم فى تلك الفترة أحد القادة السياسيين للمقاومة هو"بلاتا/ تكلا والـداي هاديرات " الذى مثل الاتجاه الجمهورى فى المقاومة– فى محاولة لتوحيد المقاومـة بالسودان وكان تكلا والداى من أقرب المثقفين لهيلاسلاسي قبل الغـزو واعتـرض على لجوئه للخارج ثم أصبح من المعارضين له فى فترة ما بعد التحرير.(62)

كذلك كان من بين المثقفين الإثيوبيين الذين قدموا للخرطوم "فياوراي/ديريسا أمـانتي" من طبقة الأرستقراطيين بولاية "والقا" المحاددة لمنطقة الروصيرص وكـان أمـانتي من أكبر المساهمين في صحيفة "برهانا سلام" التى مثلت صوت المثقفين التقـدميين قبل الغزو الإيطالي.(63)

وقد تنقل عدد من الرسائل والمبعوثين بين الإمبراطور فى منفاه ببريطانيا واللاجئـين بالسودان والمقاومة بالداخل، الذين رافقوا الإمبراطور للمنفى، كـان مـنهم "لـونزو تأزار" الذى أوفده الإمبراطور فى 1939م فى مهمة لداخل إثيوبيـا حيـث حـضر للخرطوم وتسلل منها عبر القلابات لإثيوبيا عدة مرات وقضى فترة بقوجـام وأطلـع على الوضع هناك ونشاط المقاومة والوجود الإيطـالي بالمنطقـة ونقـل للمقـاومين تعليمات الإمبراطور وكتب تقريراً وافياً عند رجوعه قدمه للمـسئولين البريطـانيين بالقاهرة وللإمبراطور بلندن.(64)

وقبله اصطدم أحد مبعوثي الإمبراطور للخرطوم وهو "ولدى قرفيس" بتنظـيم آخـر للمقاومة كان يقوده "دابابيرو" وحدثت بين مؤيديهم اشـتباكات عـدة فـى شـوراع الخرطوم ومناطق تجمع الإثيوبيين تطورت للاشتباك بالأيدي بين ولدي قرقيس ودابا بيرو، مما إقتضى تدخل مستر بني مدير الأمن العام.(65)

المرحلة الثانية إتسمت بالتنسيق والتنظيم والنشاط المكثـف بفـضل تحـول موقـف بريطانيا الرسمي وحضور الإمبراطور للخرطـوم. ففـى أكتـوبر 1939م وصـل الخرطوم العميد ساند فورد بعد تعيينه مستشاراً للشؤون الإثيوبية من قيـادة الـشرق

الأوسط وشرع فى تنظيم اللاجئين والمقاومين بالسودان بزعامة دابـا بيـرو. ومـع تزايد مؤشرات دخول إيطاليا الحرب بدأت بريطانيا أقل تحفظاً تجاه عمل المقاومـة الإثيوبية فى السودان ورضخ حاكم عام السودان الـسير/ سـتيورات سـايمز بعـد مداولات مطولة بين القاهرة ولندن والخرطوم لطلب مفتش مركز القضارف مـستر بلاكلي فى مايو 1940م – قبل شهر من إعلان إيطاليا الحرب- بتوجيه رسالة إلـي أحد عشر من قادة المقاومة الإثيوبية وجرى طبع الرسالة على قماش الكتان بمصلحة المساحة السودانية باللغة الأمهرية وأخطر مفتش مركز القضارف بالاحتفاظ بالرسالة إلي أن تأتيه التعليمات لتوزيعها، وجاء فيها:

" إلي............السلام عليكم، الأن وقد اشتبك البريطانيون والإيطاليون فى حـرب. ومن أجل أن نسحق عدونا المشترك، نحن فى حاجة إلي كل مساعدة ممكنة، إذا كنتم فى حاجة إلي بنادق، ذخيرة، طعام، أو نقود، أرسلوا لنا رجالاً ودواباً للحمـل بقـدر استطاعتكم، إلي المكان الذى سوف يحدده لكم الرسل، مهما كانت طلباتكم نحن على استعداد للمساعدة، أيضاً يكون من الأفضل لو تمكنتم من إرسال منـاديبكم للتـشاور معنا فى الكيفية التى تمكننا من إعاقة العدو".

وحملت الرسالة توقيع الجنرال بلات قائد عام قوة دفاع السودان(66)، وعبر الرسـل فى إليوم الثاني للحرب الحدود لتسليم الرسائل لقادة المقاومة فـى منـاطق قوجـام، أرماجو، ولقايت، سيمين، بقمدر. وكانت توجد بالقرب من القلابات مجموعـة مـن قوات المعارضة تقدر ب 160 رجلاً اشتركت مع فصيلة من قوة دفاع السودان فـى التسلل إلي شرقي المتمة واشتبكت مع القوات الإيطالية وقتلت ثلاثين منهم وتمكنـت من تسليم قائدي المقاومة بلاي زالكا وأوليكا مائة بندقية.(67)

ولاحقاً أسندت مهمة تزويد المقاومين بالسلاح والمؤن وتحريضهم على الثـورة إلـي الملازم خالد محمد صالح من قوة دفاع السودان الذى قاد فصيلته فى رحلات متوإلية بواسطة البغال خلف خطوط الإيطاليين لملاقاة الثوار الذين كانت من قادتهم بمنطقـة "أرمجو"(68) أمرأة تسمى سهاي "شمس".

بعد أسبوعين من إعلان الحرب قام كل من العميد ساند فورد والقائد الجديـد لكتيبـة الحدود السودانية العقيد هيو بروستيد ومفتش مركـز القـضارف تريفـور بلاكلـي بالتحرك من القضارف لمقابلة المقاومين على الحدود والتخطيط لأول هجوم مشترك استهدف المتمة، ونُفذ الهجوم مطلع يوليو وإشترك فيه 80 من الإثيـوبيين التـابعين لأثنين من قادة المقاومة هما بيري زقاي وأياني شيكول، ولكن الهجـوم لـم يحقـق النجاح المتوقع.(69)

مع بدء المعارك وانتشار خبر وصول الإمبراطور للسودان، توافد العديد من المقاومين الإثيوبيين للسودان بقيادة الميجر/ مسفن سلسي وجرى تجميعهم في القضارف وأخذ ضباط قوة دفاع السودان في تنظيمهم وتدريبهم وسجل الإمبراطور هيلاسلاسي زيارة للقضارف في شهر سبتمبر تفقد فيها هذه القوات التى دفع بها مع حملة كبيرة من المؤن والأسلحة ضمت 150 جملاً لتصل إلي العميد ساند فورد الذى كان يشرف على دعم الثوار والإعداد لدخول الإمبراطور إلي إثيوبيا، وكان ساند فورد قد وصل إلي هضبة بلايا في مطلع سبتمبر قائداً للمجموعة المسماة" البعثة 101" والتى تضم مائة من رجال المقاومة الإثيوبية. وأختير رجال مليشيا ديمبيسي الذين اشتركوا في معركة القلابات في يونيو ليشكلوا النواة الجديدة للحرس الإمبراطوري.(70)

في تلك الأثناء كان تجميع اللاجئين الإثيوبيين قد إكتمل بالخرطوم وجرى افتتاح "أكاديمية سوبا العسكرية" – 10 كلم جنوب الخرطوم – كمركز لتدريبهم، كما بدأ تدريب ضباط إثيوبيين لهذه القوة أيضاً ومن بينهم ابن الإمبراطور موكنن الذى كان مرافقاً لوالده، على يد ضباط قوة دفاع السودان من البريطانيين والسودانيين، كما تم إيفاد بعثة إلي كينيا لحصر وتصنيف اللاجئين الإريتريين والإثيوبيين الذين هربوا إلي هناك، وكونت الكتيبة الثانية من الإثيوبيين وأسندت قيادتها إلي كابتن بويل، أما الكتيبة الرابعة فقد كونت من الإريتريين، كما كونت الكتيبة الثالثة من الفارين من إريتريا وقوجام للسودان بقيادة كابتن ويني وكانت الكتيبة الإثيوبية الأولى تضم اللاجئين الموجودين بالخرطوم والقضارف.(71)

سياسياً كانت مجموعات اللاجئين الأثيوبيين بالسودان قد توحدت تحت حزب الشباب الإثيوبي وزادت فاعلية هؤلاء بعد وصول الإمبراطور للخرطوم وعقدوا العديد من الندوات واللقاءات السياسية بمدن الخرطوم ومدني والقضارف وكسلا وبورتسودان. واهتم السودانيون بكافة اتجاهاتهم وطبقاتهم بأخبار إثيوبيا وأخذت الصحف اليومية السودانية في إبراز مواقف الشعب السوداني المؤيدة لكفاح ومقاومة الإثيوبيين، كما حثت هذه الصحف السودانيين على جمع التبرعات المالية والعينية بل والانخراط في صفوف المقاومة من أجل تحرير إثيوبيا(72). ونشرت جميع الصحف السودانية بلا استثناء بيانات المقاومة الإثيوبية والأخبار التى كان يوزعها حزب الشباب الإثيوبي بالخرطوم.

وقامت لجان الحزب بدور كبير فى إجراء الاتصالات وعقد اللقاءات بين قيادات الحزب بالزعماء السياسيين فى السودان لشرح تطورات قضيتهم، وبدا واضحاً فى تلك الفترة أن نشاط حزب الشباب يحظى بموافقة حاكم عام السودان الجديد لورد هيدلستون.(73)
وفى مارس أفردت صحيفة " السودان " افتتاحيتها للحديث عن النشاط السياسي المتزايد للاجئين الأحباش بالسودان، وذكرت الصحيفة أن لجان الحزب اتصلت بكل من عبد الرحمن المهدي وعلي الميرغني وأنهما أعلنا تأييدهما لقضية إثيوبيا وتقديم الدعم لها، كما كثفت لجان الحزب من عقد لقاءاتها بمؤتمر الخريجين الذي كان يمثل المثقفين السودانيين.(74)
وتبنى مؤتمر الخريجين قضايا اللاجئين الإثيوبيين وساهم مع لجان حزب الشباب فى تجميع اللاجئين وإدخالهم معسكرات التدريب العسكرية(75)، وكانت صحيفة "السودان" التى مثلت لسان حال مؤتمر الخريجين، من أشد الصحف السودانية دعماً وتأييداً للمقاومة الإثيوبية ومن أكثرها نشراً لأخبارها وبياناتها، كما كان لميخائيل بخيت – إثيوبى تجنس وعاش بالسودان– دوراً مهماً فى توثيق علاقة المقاومة بمؤتمر الخريجين الذى كان هو أحد أعضائه النشطين، كما كان من الموظفين المرموقين بقسم الترجمة بالإدارة البريطانية بالسودان وعمل لفترة طويلة بوزارة الدفاع وعمل أحياناً مترجماً للإمبراطور لإجادته اللغات العربية والأمهرية والإنجليزية.(76)

مراجع الفصل الثالث

1. مجلة الفجر،تعليق بعنوان (السودان الإيطالي)، الخرطوم، عدد رقم 23، 16 يوليو 1935م.
2. مجلة الفجر، (تقرير عن مشاكل الحدود بين الحبشة والإيطاليين)، عدد 19، 1/مايو 1935م.
3. مجلة الفجر،(بين إيطاليا والحبشة)، عدد رقم 20، 16/مايو 1935م.
4. مجلة الفجر، (عصبة الأمم والمشكلة الحبشية) ،عدد رقم 22، 16 يونيو 1935م.
5. مجلة الفجر، عدد رقم 23 – 16 يوليو 1935م.
6. محمد عثمان أحمد، قوة دفاع السودان ، دورها وآثار اشتراكها في الحرب العالمية الثانية، المطبعة العسكرية ، الخرطوم 1990م، ص 86.
7. أمين التوم، ذكريات ومواقف في طريق الحركة الوطنية السودانية، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى،الخرطوم، 2002م ص 43.
8. محمد خير البدوي، مواقف وبطولات سودانية في الحرب العالمية الثانية، الخرطوم، 1992م، ص 17.
9. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 57.
10. تمام همام تمام، أثر الأزمة الأثيوبية على السودان 1935م-1936م، مجلة الدراسات الأفريقية- عدد 15 – معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة 1993م.
11. المرجع نفسه.
12. المرجع نفسه.
13. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 34.
14. همام تمام همام، مرجع سابق.
15. المرجع نفسه.
16. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 20.
17. المرجع نفسه، ص 21 و22.
18. المرجع نفسه، ص 19، 20، 63.

19. دانييل ساند فورد، عمل بإثيوبيا منذ 1913 بالبعثة البريطانية بأديس أبابـا والتحق بالعمل في الجيش في 1914م كضابط مدفعية بعـد النـداء الـذي وجهته بريطانيا لضباط المدفعية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولـى وكـان حينها برتبة رائد، وكان خبيراً بالشئون الإثيوبية واقام فيهـا لفتـرة طويلـة وارتبط بعلاقة صداقة مـع الإمبراطـور هيلاسلاسـي، راجـع: تقـارير المخابرات البريطانية بأديس أبابا لـشهر أكتـوبر 1914م – دار الوثـائق القومية، الخرطوم، ملف رقم Intel:1/15/73

20. محمد خير البدوي، مرجع سابق، ص 21.

21. المرجع نفسه، ص 25.

22. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 51 .

23. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 27 .

24. أنظر نص بيان إعلان الحرب، ملحق رقم (4).

25. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 32 و 33 .

26. المرجع نفسه، ص 33 .

27. عبد الرحمن المهدى، مذكرات الامام عبد الرحمن المهدى، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1996، ص 60.

28. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 60 .

29. المرجع نفسه، ص 50 .

30. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 59 .

31. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 64 .

32. المرجع نفسه، ص 70 .

33. المرجع نفسه، ص 71 .

34. Anthony Mockler,OP.cit, P..219

35. أنظر الخريطة رقم (6) .

36. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 82 .

37. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 71 .

38. الملازم عبد الله محمد مصطفى من أبناء أم درمان، حامل بـراءة الحـاكم العام ضمن الدفعة الثالثة التي تخرجت فى 1938م، وعمـل قائـداً لحاميـة القلابات فى 1939م، وقام بدور كبير فى التصدي لهجوم القوات الإيطاليـة

من مدينة المتمة المحادة للقلابات على الجانب الإثيوبي مـن الحـدود فـي 1940/7/4م، وتمكن هو وأفراد قوته (33) جندي من إلحاق خسائر كبيـرة وسط القوة المهاجمة من الإيطاليين الذين فاق عددهم 500 جندي، ولم يفقـد من جنوده عند انسحابه سوى قتيل واحد وثلاثة جرحى، وقاد هذا الـضابط القوة التي اقتحمت الحدود عند إعلان الحرب فى 16/نوفمبر 1940م كأول قوة من دول الحلفاء تطأ أرض تابعة لدول المحور ، محمد خيـر البـدوي، مرجع سابق، ص 84.

39. المرجع نفسه ، ص 89 وما بعدها .

40. المرجع نفسه ، ص 37 .

41. انتشرت آنذاك العديد من الأغاني الشعبية التـي تـسخر مـن الإيطـاليين وقصفهم العشوائي للمدن وساعدت الإذاعة التي أنشئت خصيصاً لمواجهـة الحرب الدعائية للإيطاليين وحشد الدعم وراء الحلفـاء- فـي نـشر تلـك الأغاني التي مـن أشـهرها: موسـليني يـا الطليـاني...يـوم تـضرب السوداني...تطلع قرش براني..طيارة جات مـن بـدري...حاملـة القنابـل تجري... جات تضرب الخرطوم...ضربت حمار كلتوم ست اللبن.

42. Anthony Mockler,OP.cit,P.219

43. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 105 .

44. جيمس روبرتسون، مرجع سابق، ص 117 .

45. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 113 .

46. المرجع نفسه، ص 116 .

47. HAILESELASSIES:MY LIFE AND ETHIOPIA PROGRESS,VOLUME2,ADDIS ABABA,1966.P.112

48. جيمس روبرتسون ، مرجع سابق، ص 123 .

49. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 94 .

50. المرجع نفسه، ص 95.

51. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 123 وما بعدها.

52. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 96 .

53. Hailesellassie1,: My Life and Ethiopia's Progress, Volume 2,OP.cit, P.88

54. Ibid,P.83

55. Ibid.

56. أصبحت هذه الأسر سودانية وبرز منها لاحقاً د.يوسف ميخائيل بخيت الذي أصبح فى فترة حكم الرئيس جعفر نميــرى مستــشاراً للــرئيس للــشؤون القانونية ومنها الجنرال أمان ميخائيل عندوم الــذى ولــد بــالخرطوم فــى 1924م وتعلم بمدارس كمبونى وبودمدنى وكان أحد ضباط كتائب اللاجئين ضمن حملة إرجاع الإمبراطور وأصبح قائداً للحرس الإمبراطوري قبــل أن يترأس اللجنة العسكرية المؤقتة "درق" التي أطاحت بحكم هيلاسلاسى فــى 12/سبتمبر 1974م وبقى رئيساً لإثيوبيا لفترة شهرين فقط حيث أطاح بــه أعضاء المجلس العسكري بقيادة المقدم منقستو هايلى مريام وقتل أثناء تبادل إطلاق النار بمنزله صباح 23 نوفمبر 1974م. وعمل شقيقه ملس عنــدوم أول سفير لإثيوبيا بالخرطوم بعد الاستقلال فى 1956م.

57. مقابلة بتاريخ 22/مارس 2005م مع السيد أحمد شرف الذي كــان يــسكن بالقرب من هؤلاء الأثيوبيين بوسط الخرطــوم – منطقــة جنــوب الــسوق العربي حاليا.

58. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 22 و 23 .

59. المرجع نفسه، ص 23 .

60. Bahru Zewde,.OP.cit,P.207

61. Anthony Mockler,OP.cit,P.217

62. Ibid,P149

63. Ibid,P107

64. صلاح الدين إبراهيم زكى، مرجع سابق، ص 168 .

65. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 23 .

66. Anthony Mockler, OP.cit, P. 220

67. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 69 .

68. Anthony Mockler ,OP.cit, P.227

69. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 110.

70. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 112.

71. Anthony Mockler, OP.cit, P.288

72. صحيفة الأمة ، الخرطوم-،عدد رقم 247 ، سبتمبر 1940م .

73. صحيفة حضارة السودان-،عدد رقم 414-،فبراير 1940م .

74. صحيفة السودان ، عدد رقم 316 ، مارس 1940م .
75. صحيفة النيل ، عدد رقم 217 ، أبريل 1940م .
76. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 114 .

الـــفـــصـــل الرابــــع

دور السودان فى تحرير أثيوبيا

(1) قوة دفاع السودان والحرب.

(2) الإمبراطور هيلاسلاسي فى السودان.

(3) قوة دفاع السودان وتحرير إريتريا وشمال أثيوبيا.

(4) قوة دفاع السودان وتحرير غرب أثيوبيا وإرجاع الإمبراطور.

(5) الآثار الدخلية لاشتراك السودان فى الحرب.

(6) الآثار الخارجية لاشتراك السودان فى الحرب.

(1) قــوة دفاع السودان والحــرب :-

كانت بداية تأسيس قوة دفاع السودان فى 17/يناير 1925م فى أعقاب سحب الجــيش المصري بعد أحداث ثورة اللواء الأبيض عام 1924م. وقد عُين الجنرال هدلــستون الذي عمل بالسودان منذ 1910م وقاد حملة ضد السلطان علي دينار وســحق ثــورة 1924م، قائداً للقوة الجديدة، وشرع الجنرال هدلستون فى تصفية الكتائب الــسودانية التى اشتركت فى الثورة والتى كانت تتبع للجيش المصري، وأسست القــوة الجديــدة على أساس جغرافي مقسماً السودان لخمس منــاطق عــسكرية هــى: 1/ المنطقــة الشمالية ورئاستها الخرطوم. 2/ المنطقة الــشرقية ورئاســتها فــى القــضارف.3/ المنطقة الوسطى ورئاستها الأبيض.4/ المنطقة الغربية ورئاستها الفاشر. 5/ المنطقة الجنوبية ورئاستها منقلا. وجعل للقوة تشكيلات ونُظم تشابه نُظم المشاه فى الجــيش البريطاني وشكلت نواتها من فرق العرب الغربية والشرقية وسواري شندي وكتيبــة الاستوائية.(1)

فى المرحلة الأولى لإنشاء القوة فى العام 1925م، كان تعدادها 9.594 مــنهم 106 ضباط بريطانيين و233 ضابطاً سودانياً و9255 مــن الــسودانيين ضــباط صــف وجنود، وعند انتهاء المرحلة الثالثة لتنظيم القوة فى 1927م، إرتفع عــدد الــضباط البريطانيين إلي 117 ضابطاً وجرى تخفيض عدد الــضباط الــسودانيين إلــي 150 ضابطاً وخُفضت بقية القوة بنسبة الثلث فأصبحت 6.021 ضــابط صــف وجنــدي ليكون مجموع قوة دفاع السودان 6.288 ضابطاً وجندياً.(2)

واقتصرت قيادة الكتائب والسرايا على الضباط البريطانيين وكانت كل وحدة أو كتيبة تتشكل من القبيلة أو المجموعة السكانية بمنطقة تمركزها فأصبح النوبة عمــاد قــوة الهجانة بالأبيض والشايقية عماد القوة الشمالية بالخرطوم وهكذا.. أما بشأن اختيــار الضباط وبعد اغلاق المدرسة الحربية اكتفى البريطانيون بالــضباط المتــرقين مــن الصفوف، ولكن بعد ظهور الخطر الإيطالي فى شرق الــسودان، فُتحــت المدرســة الحربية علي أسس جديدة وتحولوا لإختيار طلبتها من خريجي كلية غردون التذكارية ليكونوا أكثر إستيعاباً للعلوم الحديثة. أما الضباط البريطانيين فكانو يُنتدبون لقوة دفاع السودان من بين الضباط العاملين بمصر والهند وبريطانيــا، وشــجع البريطــانيون للعمل بقوة دفاع السودان المرتب المجزي الذى كان يعادل ضعف ما يتلقاه بــالجيش البريطاني بالإضافة لإعفائه من ضريبة الدخل وترقيتة فور إلتحاقه بالقوة إلي رتبــة الأمباشي "نقيب" حتى ولو كان ملازماً حين التحاقه بالقوة.(3)

اضطر البريطانيون عند نشوب الحرب الإيطالية الإثيوبية فى 1935م لإعادة النظر فى تكوين وتسليح قوة دفاع السودان حتى تكون مستعدة إذا انتقلت الحرب إلي السودان لمواجهة الجيش الإيطالي الأحدث تكتيكاً وتسليحاً والأكثر عدداً. فجرى تكوين خمس سرايا ذات مدافع مركبة علي سيارات سميت " البلوكات السريعة المدرعة " وتكونت كل سرية من سبع عربات مدرعة – عدلت عربات الفورد محلياً لتصبح مدرعة – وخمسة عشر "لوري" للنقل وإحدى عشرة سيارة للاستكشاف. وركبت على السيارات مدافع " البرين" و"الفيكرز" وبذلك تحولت قوة دفاع السودان من قوة لحفظ النظام الداخلي تعتمد فى تنقلاتها على الجمال والبغال والخيل إلي قوة قادرة على خوض الحرب وصد الهجوم والدفاع عن السودان.(4)

وفى منتصف العام 1940م بعد أن تيقنت الإدارة البريطانية من اقتراب نشوب الحرب كونت كتيبة الحدود وأسندت قيادتها إلي العقيد هيو باوستيد(5) لتكون قواعد متقدمة على الحدود ولإمداد المقاومة الإثيوبية بالسلاح والمؤن وتدريب رجالها. وأصبحت هذه الكتيبة نواة سلاح الحدود وكانت أول قوة سودانية تتشكل على أساس قومي بعيداً عن القبلية والجهوية التى كانت أساس تكوين وحدات قوة دفاع السودان سابقاً وربما لهذا السبب وجدت هذه القوة تحديداً تقديراً وإعجاباً زايداً من المواطنين الذين تغنوا بها بأغانٍ مشهورة.(6)

واقتضت ظروف الحرب تحديث وبناء عدة وحدات وأسلحة ومرافق ضرورية للحرب، فقام سلاح الخدمة " الحملة الميكانيكية" وفتحت له عدة فروع بالأبيض والفاشر وجوبا، وتولى مهمة تجنيد وتدريب السائقين والفنيين الميكانيكيين وكان يضم عند انشائه ثلاثة ضباط بريطانيين وضابطين سودانيين هما أحمد محمد علي وإبراهيم عبود – أصبحا لاحقاً أول وثانى قائدين عامين للجيش السوداني بُعد الإستقلال – وأنتج هذا السلاح 50 سيارة مصفحة على قواعد شاحنة صغيرة وزودت بمدافع فى أعلاها. كما أنشأ سلاح الإشارة وأدخل نظام الإتصال اللاسلكي بعد أن كان يستخدم فى الاتصالات إشارات إليد والبوارق والتلغراف.

وجرى تحويل سواري شندي " الخيالة الراكبة " إلي سلاح مدفعية وزود بمدافع الهاون والمدافع المضادة للدبابات والطائرات واشتهر منها مدفع "البرين" الذى كان له دور كبير فى انتصارات الحلفاء فى الحرب وجرى تعديل هذا المدفع بالسودان بعد أن اشترت منه قوة دفاع السودان مائة قطعة وشارك فى التجربة والاختبار الأميرلاي إلي عبد الله خليل الذى تولى ترجمة مرشد التدريب إلي اللغة العربية.(7)

كذلك تم تطوير وتحديث سرية المهندسين لتصبح نواة لسلاح المهندسين، وأنشأ في تلك الفترة أول المستشفيات الميدانية المتحركة ليصبح لاحقاً السلاح الطبي بعد أن كان العسكريون يتلقون الخدمة الطبية بالمستشفيات المدنية وتم أيضاً توسيع قسم المخازن والمهمات ليقابل الاحتياجات التى اقتضتها الاستعدادات للحرب، كما ضُم قسم المخازن والمهمات إلي مصلحة النقل الميكانيكي تحت أسم قسم الإمداد الحربي.
وأدخل نظام الإعاشة الكاملة للجنود، وأنشأ قسم كامل للتموين لتنفيذ هذا النظام، وكونت أيضاً وحدة صغيرة للبحرية تابعة لقوة دفاع السودان لحماية ميناء بورتسودان الذى زادت أهميته بعد أن أصبح المنفذ الأساسي لإدخال العتاد الحربي والمؤن لجيوش الحلفاء بالسودان.(8)
وقبل ارهاصات الحرب كان الضباط السودانيون بقوة دفاع السودان يشعرون بخيبة أمل جراء الفارق الكبير بينهم وبين زملائهم الذين فضلوا البقاء بالجيش المصري في المرتبات والترقيات، كما أن ترقياتهم ومسؤولياتهم العسكرية كان يحد منها الضباط البريطانيون، وتغير هذا الوضع بعد نشوب الحرب حيث عمدت السلطات البريطانية إلي فتح الباب أمام الضباط السودانيين للترقى وتحمل المسئوليات ونتيجة لذلك أختير عدد منهم لقيادة السرايا.(9)

(2) الإمبراطور هيلاسلاسي فى السودان :-

بعد إعلان الحرب بأسبوعين، أذنت السلطات البريطانية للإمبراطور بالمغادرة للسودان بغرض شن حرب دعائية على الإيطاليين، ولكن عودة الإمبراطور لم تكن سهلة وكانت مليئة بالعقبات التى أصابت الإمبراطور بخيبة الأمل والكآبة.
في 25 يونيو تحرك ركب الإمبراطور الذى ضم ابنه موكنن ومرافقيه ولدى قرقيس.و ولدى قرقيس يوهانس ولوزوتأنزار والضابط البريطاني الكابتن / جورج أستير وأعطى الإمبراطور أسماً مستعاراً هو "المستر سترونغ"، وإستقل طائرة مائية نقلته من الميناء البحري "بلايموت" إلي مالطا عبر أجواء فرنسا التى كان الألمان قد احتلوها، ومن مالطا إلي الإسكندرية حيث استقبلهم مندوب السفارة البريطانية.(10)
كان الإشكال الأول للرحلة هو الارتباك الذى أصاب السفارة البريطانية بالقاهرة من قدوم الإمبراطور دون ترتيب مسبق، واضطرت السفارة لإبقاء الإمبراطور ووفده بميناء الإسكندرية على متن إحدى بواخرها خشية وقوع أعين الإيطاليين عليه الذين كانت الإسكندرية تعج بهم. ورتبت مغادرة الوفد فى إليوم الثاني إلي الخرطوم عبر وادي حلفا.

بعد إقلاع الطائرة أبرقت السفارة البريطانية بالقاهرة الحاكم العام في السودان بتوجه الإمبراطور نحوهم، وأصاب الذعر السلطات البريطانية في الخرطوم ووجهت سلطات وادي حلفا بحجز الإمبراطور ووفده هناك.
وكان سبب الذعر أن السير ستيورات سايمز حاكم عام السودان والجنرال وليم بلات قائد قوة دفاع السودان كانا يخشيان هجوماً إيطاليا إذا كُشف وصول الإمبراطور للسودان. ورغم أن قرار الإبقاء في وادي حلفا غلف بحجة اكمال استعدادات وصول الإمبراطور وتجهيز مقر إقامته، إلا أن الإمبراطور أدرك الرسالة ولم يكن أمامه مفر سوى البقاء في نزل بسيط "فندق النيل" بالمدينة ذات الطقس الحار، ووجد عزاءه في رؤية نهر النيل الذى أعاد له مشاعر حنين عميقة دفعته ليغرف منه بيديه ويرتشف منه – كما ذكر في مذكراته.(11)
وغادر للخرطوم أحد مرافقي الإمبراطور من القاهرة وهو "أدورد شابمان أيدزور" الضابط السياسي بالسفارة البريطانية بالقاهرة والذى كان قنصلاً في "ديرى داو" حيث رأى الإمبراطور وهويغادر بلاده قبل أربع سنوات في طريقه إلي جيبوتي. وأجرى شابمان مفاوضات شاقة مع سايمز والجنرال بلات اللذين أبديا إمتعاضهم من تجاهل الحكومة البريطانية لهما وعدم أخذ رأيهما قبل تحرك الإمبراطور – واقترحا ذهاب الإمبراطور إلي عدن كما أجريا اتصالات بحاكم المستعمرة البريطانية في شرق أفريقيا- كينيا- الذى رفض بدوره وصول الإمبراطور إليه.(12) وبرر شامبان تصرف الحكومة البريطانية بأنه كان لأسباب أمنية ولحماية الإمبراطور نفسه، كما أن تطورات الحرب ربما تؤدي لقطع المواصلات الجوية وأخيراً دفع شامبان بأن السودان ليس محايداً بل أصبح طرفاً في الحرب وأن الإيطاليين أعداء وليس حلفاء كما أنه أصبح من المستحيل إرجاع الإمبراطور إلي بريطانيا ثانية.
رجع شامبان أندزور إلي وادى حلفا ومعه العميد/ساند فورد صديق الإمبراطور القديم الذى أسندت إليه مهمة دعم نشاط الثوار داخل إثيوبيا ناقلين للإمبراطور ترحيب السلطات البريطانية في الخرطوم به كما نقلا له خبر وصول كبار مساعديه من القدس للخرطوم ولكن الإمبراطور أحبط مجدداً وبصورة أعمق عندما كشف له ساند فورد أنه لا توجد حملة جاهزة أو قوات لتدخل معه إلي إثيوبيا وأن إعداد ذلك لن يتم إلا بعد موسم الأمطار بعد أربعة أو خمسة أشهر أخرى.(13)
واجهت السلطات البريطانية مشكلة في اختيار المقر الملائم لإستضافة الإمبراطور وأتفق على أن تكون استراحة قوة دفاع السودان بجبل أولياء مقراً مؤقتاً له لحين تدبير الموقع الجديد، ورأى الإمبراطور في استضافته بجبل أولياء محاولة لعزله بعيداً عن مجريات الأحداث – ورغم عرض عدد من التجار السوريين الأثرياء

استضافة الإمبراطور إلا أن رأى السلطات استقر على اختيار "قصر الزعفران" أو السرايا الصفراء التى تبرع بها يوسف الهندي لتكون مقراً للإمبراطور، وكانت السرايا الصفراء قصراً جديداً وجميلاً ذا موقع ممتاز منعزل على شاطي النيل الأزرق وقريباً من ثكنات الجيش الإنجليزي، وأجريت على القصر تحسينات وإصلاحات عاجلة وزود بخط تلفون ومخابي ضد الغارات الجوية وأحيط سوره بالأسلاك الشائكة، كما نصبت خيام تحت الأشجار المطلة على النيل لإيواء 40 شرطياً خُصصوا لحراسة الإمبراطور، واتخذت السلطات إجراءات أمنية أخرى واعتقلت عدداً من الإثيوبيين المشتبه بهم وأوكلت لحاشية الإمبراطور مهمة تفتيش السيارات والأشخاص وفحص هويات زائري القصر.(14)

وصل الإمبراطور المحبط للخرطوم عبر القطار فى الثالث من يوليو 1940م ولكن عزيمته كانت أكبر من الإحباط الذى أصيب به والذي زاد بالمقابلات الفاترة مع السير سايمز حاكم عام السودان والجنرال بلات قائد عام قوة الدفاع السودانية - أول مقابلة مع الحاكم العام لم تزد على خمس دقائق.(15)

دخل الإمبراطور فى مجموعة من الاتصالات مع الإثيوبيين الذين وفدوا من القدس وكانوا أربعة من كبار النبلاء ومع مساعديه السابقين ومع الإثيوبيين بالخرطوم الذين توافدوا عليه بعد سماعهم نباء وصوله ومع الساسة السودانيين وبالطبع السلطات البريطانية بالسودان.

تقدم الإمبراطور بقائمة طويلة من المطالب فى أول لقاء له مع الحاكم العام حيث طالب بإعلان خبر وصوله حتى يتدفق مؤيدوه من الداخل ودعا لتسليح اللاجئين وأن تبدأ استعدادات دخوله هو شخصياً لإثيوبيا ومعاونته على إحضار مؤيديه من كينيا ولم ينس أن يطلب من البريطانيين دفع الإريتريين بالسودان لإعلان تأييدهم له حتى يؤثر ذلك فى الذين ما زالوا يحاربون مع الإيطاليين، وطالب الإمبراطور أيضاً بتزويده بطائرات ولو من أجل توزيع المنشورات وكذلك بالأسلحة الرشاشة ومضادات الطائرات وتوفير المال اللازم.

الحاكم العام إستيورات سايمز غير المتعاطف أصلاً مع الإمبراطور والذى فوجي بوصوله شرح له حقيقة الوضع فليس هناك قوات كافية لحماية السودان ناهيك عن تحرير إثيوبيا، وأن أقرب موعد لوصول الإمدادات لن يكون قبل أكتوبر أو ديسمبر.(16)

ولم يتغير الوضع بعد اللقاء الثانى بين الاثنين فى 6/يوليو حيث أخبر سايمز الإمبراطور بأن كل القوة الموجودة بالقضارف الآن 200 جندى مسلحة بالبنادق

وثمانية رشاشات يقابلهم ألف جندي إيطالي بالمتمة، كما أن الطائرات الموجودة بالسودان ثلاث فقط وهي طائرات بمحرك واحد.

تحول الإمبراطور لتجميع صفوف النبلاء وأفراد المقاومة واللاجئين الذين علموا بقدومه، أرسل مع ساند فورد لداخل إثيوبيا إسحاق كبدي وأرسل مع شامبان لكينيا لونزو تأزاز لتصنيف ونقل العسكريين من الإثيوبيين والإريتريين الذين لجأو إلي نيروبي، وبدأ فى إطلاق حملته الدعائية التى تطورت من المنشورات إلي صحيفة "رايتنا" التى كانت تطبع منها عُدة آلاف وتوزع بالخرطوم والقضارف وكسلا وتسني والمتمة وأصوصا وقوبا وبحر دار ودانقآلا وبورى، وتوزع للثوار عبر القوافل أو يتم إسقاطها عبر الطائرات بالمناطق التى احتلها الإيطاليون، ومن الذين عملوا فى تحريرها بالخرطوم تمرات أمانويل وجورج أستير وعين سيراك حروى رئيساً لتحريرها(17) ومثلت "رايتنا" دعاية مضادة للدعاية الإيطالية التى لجأت لتوزيع منشورات مزورة باسم الإمبراطور تحمل قرارات تعيين قادة جدد للمقاومة فى محاولة لخلق خلافات وزعزعة ولاء هؤلاء القادة للإمبراطور.

شملت اتصالات ولقاءات الإمبراطور كبار القادة السودانيين وفى مقدمتهم عبد الرحمن المهدي وعلي الميرغني والشريف الهندي، ويقول عبد الرحمن المهدي عن علاقته بالإمبراطور " اضطر إمبراطور إثيوبيا لترك بلاده والإقامة فى أوروبا فلما نشبت الحرب العالمية الثانية عام 1939م عاد إلي بلاده ليدخلها علي رأس قوات التحرير، وفى طريقه إلي وطنه مكث مدة بالخرطوم حيث أنزلته حكومة السودان فى قصر فى ضواحى الخرطوم وكنتُ أزوره كثيراً لأرفه عنه وأخفف من آلام غربته ومحنة بلاده، وأدعوه لزيارة داري ومزارعي في ضواحي المدينة، وقد عرفتُ فى الإمبراطور رجلاً عظيماً، قوي النفس، لم يفقد قط إيمانه بعدالة قضية بلاده وشعبه، وتفضل الإمبراطور وهو خارج بلاده وقبل أن يعود لعرشه فأهداني نيشاناً تقبلته شاكراً وظلت صلة المودة بيننا وثيقة إلي اليوم".(18)

وتنقل لنا الصحف السودانية اليومية الصادرة فى تلك الفترة، نشاطاً جماً للإمبراطور وتقول بعض الروايات أنه التقى أثناء وجوده بجبل أولياء بجمال عبد الناصر الذى عمل بالسودان فى الفترة من 1939م إلي 1941م وكان أحد الضباط الصغار بالحامية المصرية بجبل أولياء.(19)

وكذلك توضح مجلة الفجر السودانية التى كانت مهتمة برصد وتغطية نشاط الإمبراطور بالسودان أنه نجح فى كسب مزيد من التأييد السياسي من جانب السودانيين لمساندة بلاده ودعمها فى محنتها بفضل نشاطه الكبير بالخرطوم.(20)

وتذكر بعض المصادر أن الإمبراطور انخرط فى لقاءات مكثفة مع اللاجئين الإثيوبيين بالخرطوم ومساعديه بالخارج الذين توافدوا على الخرطوم، ومع ممثلين للمقاومين بالداخل، واحتضن تلك الإجتماعات الإثيوبيون الذين كانوا يقيمون بالخرطوم قبل الحرب ولهم وظائف ثابتة بالإدارة البريطانية في السودان.(21)
ووصل الجنرال"ويفل" قائد قيادة الشرق الأوسط وأفريقيا إلي الخرطوم فى الأسبوع الثالث من يوليو وأجرى محادثات مع الإمبراطور كاشفاً له أن الخطة العسكرية للحلفاء تركز الآن على الجبهة الغربية فى ليبيا التى أصبحت تهدد مصر وأنه يملك الآن جيشاً للدفاع وليس للهجوم، وأن خطتهم الجديدة بشأن إثيوبيا تقوم على إيفاد بعثة العميد ساند فورد لتعبئة الشعب ضد الإيطاليين وليس من أجل العمليات العسكرية المباشرة، مشيراً إلي أنه لم يكن على علم بوصول الإمبراطور للسودان وأنه لا يملك حالياً أية طائرات أو حتى أسلحة مضادة للدبابات والطائرات يمكن تزويد المقاومة الإثيوبية بها ناصحاً الإمبراطور بأن لا يصر على دخوله لإثيوبيا حالياً لأنه سيكون هدفاً مباشراً للايطاليين وأنه من الأفضل له أن يبقى لبعض الوقت خارج إثيوبيا لدعم العمل الدعاي وقيادته.(22)
ومن كبار المسؤولين البريطانيين القلائل بالخرطوم الذين تعاطفوا وأعجبوا بالإمبراطور كان السكرتير الإداري السير دوغلاس نيوبولد، الذى كتب عن الإمبراطور يقول" أنني شديد الإعجاب بالإمبراطور وهو لا يزال دمثاً ولطيفاً ومحتفظاً بكبريائه لا مثل معظم المنفيين الذين تستبد بهم مشاعر الذل والإنكسار..وإننى أرجو أن يستعيد الإمبراطور وطنه وسوف نساعده بكل ما في وسعنا".(23)
ومهما يكن من أمر الإحباط المتواصل للإمبراطور من جراء السياسة البريطانية وعدم إستعدادها لتقديم الدعم الذى كان يأمل فيه، فأن صبره وإصراره أخذا يؤتيان أكلهما، فأخذ الوضع يسير فى صالح خطته خاصة بعد تدفق المقاومين على السودان والاستعدادات لحملة التحرير ودخول عامل جديد على خطة الحرب، فقد قرر وزير الحربية البريطانية أنتوني ايدن، والجنرال"ويفل" وآخرون، بعد بحث دقيق وسط ضباط قيادة الشرق الأوسط وأفريقيا اختيار الرائد "أوردي وينجت"(24) ليكون على إتصال لصيق بالإمبراطور وأركان حرب له ويعمل على تنفيذ الخطة التى وضعها المؤتمر خاصة فيما يتعلق بإدخال الإمبراطور لبلاده.
وصل وينجت إلى الخرطوم مطلع نوفمبر 1940م حاملاً معه مليون جنيه إسترليني – تعادل 20% من ميزانية حكومة السودان فى ذلك العام – ومعه أيضاً تعليمات

بتحريك حالة اللا مبالاة في الخرطوم لتحرير إثيوبيا المضطهدة والمستعمر شعبها المتشرب بالمزامير القديمة مثل إليهود تماماً، وكانت هذه التعليمات والأفكار كافية تماماً لتجاوز الجنرال بلات وحمله على تنفيذ خطط وينجت بفضل الدعم والتأييد الذى حُظي به الأخير من كبار السياسيين البريطانيين.

أثار وينجت بشخصيته الغريبة وسلوكه المتعجرف ومظهره الفوضوي، الخوف والغيرة والبغض وسط الضباط البريطانيين بالخرطوم، حتى وسط الإثيوبيين حيث ألقى بأحدهم أرضاً عندما لم يعجبه أداؤه العسكري خلال استعراض للمتدربين بأكاديمية سوبا العسكرية- ويصفه أحد ضباط كتيبة الحدود قائلاً " شخص رهيب إلي حد ما، عيونه مثل حبات الخرز متقاربة على أنف ضخم، شعره كان طويلاً وأبعد ما يكون عن النظافة، يرتدي ياقة وربطة عنق متنافرتين، ويصر بصوته كالمبرد".(25) كما وصفه موشي ديان قائلاً" رغم أنه كان رجلاً صغيراً فى الحجم، لكنه قادر على جعلك تحس بأنك صغير كالفأر".(26)

لاحقاً أنصب جام غضب وينجت على كتيبة الحدود السودانية التى رافقت الإمبراطور، وكان دائم الانتقاد لها ويتعمد إساءة ضباطها وجنودها، ولم ينج من غضبه رجال المقاومة الإثيوبية الذين وصفهم قائلاً " باختصار، كتائب اللاجئين هذه كانت سيئة التدريب، سيئة التسليح، سيئة الإعداد، غوغاء، ضعيفة المعنويات".(27)

خاض وينجت صراعه الأول مع قائد " البعثة 101" العميد ساند فورد الـــذى وضـــع الخطة (x) والتي كان يجب بمقتضاها عودة الإمبراطور لبلاده علـــى رأس جـــيش كبير، وصف وينجت هذه الخطة بأنها "تصلح للقرون الوسطى" وأنها ستحطم القـــدرة على الحركة وتحيل الحملة إلي عبء ثقيل وتقدم هدفاً ســـهلاً للطيـــران الإيطـــالي، واقترح بدلاً عن ذلك إنشاء عشر مجموعات صغيرة سماها "مراكز عمليات" تتكون كل منها من ضابط بريطاني وخمسة ضباط صف بريطـــانيين و200 إثيـــوبي ذوي تدريب وتسليح غاليين تنتشر حول الإمبراطور فى جميع الجهات والمساحات لتقلـــق الإيطاليين وتقطع خطوط إمدادهم وتنشر الثورة وتوفر الحماية الحقيقية للإمبراطور.
كما اعترض وينجت على سياسة ساند فورد فى توزيع الأسلحة إلي كل قادة المقاومة الذين طلبوها، وكان صراع وينجت الثاني مع العميد هيوبا وستيد قائد كتيبة الحـــدود حيث إنتقد وينجت تأخير تحرك سرايا الكتيبة لداخل إثيوبيا وأصر علـــى أن يـــسلك الإمبراطور فى رحلة عودته طريقاً آخر يبدأ من نقطة الحدود مع نهر الدندر ولـــيس الطريق الذى دخلت عبره وعبدته أولى سرايا كتيبة الحدود ويقـــع جنـــوب الطريـــق الأول وكان العامل الحاسم لجانب وينجت أنه كسب ثقـــة الإمبراطـــور الـــذى كـــان مبتهجاً بعد أن بدأت الفعالية تدب فى الثورة، كما بدأ الجنـــرال بـــلات يميـــل إلـــي خططه. وبالفعل عبرت أولى سرايا كتيبة الحدود إلي إثيوبيا فى أخر يوم من شـــهر نوفمبر متجهة إلي هضبة "بلايا" -80 ميلاً شرق الحدود تجاه الروصيرص- محملة بألف بندقية وربع مليون من الذخيرة وسبعين ألف ريال من عملـــة "ماريـــا تريـــزا" النمساوية.(28)

أما وينجت فقد تسلل بطائرة إلي شرق هضبة بلايا فى 20 نوفمبر لملاقاة ســـاندفورد ثم عاد للخرطوم واتجه للقاهرة لحضور مؤتمر عسكري دعا له الجنرال ويفل مطلع ديسمبر عارضاً خطة لإشعال الثورة فى غرب إثيوبيا ومقدماً طلباته للدعم الجـــوي، وبعد المؤتمر تخلف وينجت لبعض الوقت فى انتظـــار خمـــسة أســـتراليين كـــانوا متطوعين بالجيش البريطاني في فلسطين و20 من أصدقائه اليهود طلبهم خصيـــصاً لمرافقته فى الحملة ووافقت قيادة الشرق الأوسط وأفريقيا على طلبه على أن يعملـــوا فى مهام مدنية كسكرتاريين وأطباء، وعاد وينجت للخرطوم مع هذه الحاشية.(29)
بنهاية ديسمبر 1940م أكمل وينجت ترتيبات دخول الإمبراطور الذى كـــان متـــشوقاً لذلك وضغط بشدة من أجل الإسراع بإدخاله لبلاده، وجمع هيو باوســـتيد بمـــساعدة زعماء العشائر والإداريين البريطانيين 18 ألف جمل من كردفان ودارفور والجزيرة لحمل مؤن وأسلحة كتيبته وحملة الإمبراطور، ولكن بدأت هذه الجمال بـــالنفوق مـــن

جراء الأحمال الثقيلة والطبيعة الجبلية القاسية التى لم تتعودها حتى أن الإمبراطــور أحصى فى يوم واحد عندما كان فى طريقه من الروصيرص إلي أم عدله 57 جمــلاً ميتا على جانبي الطريق فقال قولته المشهورة" هذه الجمال ماتت فى ســبيل إثيوبيــا" وعند انتهاء التحرير بعد أربعة أشهر لم يتبق منها سوى 3 آلاف جمل فقط.(30)

وتحرك مع حملة الإمبراطور إلي الروصيرص وبجانبه ابنه موكنن والرأس/ كاســا وشامبان أندرواس الضابط والمنسق البريطاني وقائد كتيبــة الحــدود العميــد هيــو باوستيد وكتيبة اللاجئين الإثيوبيين الثانية، ووصلت الحملة إلي الحدود فى نقطــة "أم عدله" فى 20 يناير حيث جرى رفع العلم الإثيوبي وألقى الإمبراطور خطاباً خــلال مراسم رفع العلم شكر فيه الحكومة البريطانية وحكومة السودان وشعبه على حُسن استقباله خلال فترة إقامته بالسودان والتى وصلت إلي سبعة أشهر إلا أسبوعاً (31)

(3) قــوة دفاع السودان وتحرير إريتريا وشمال إثيوبيا:-

خطة الحرب الأساسية وضعها المؤتمر العسكري الذى عُقــد بــالخرطوم فــى 28 أكتوبر 1940م واستمر ثلاثة أيام وحضره وزير الحربية البريطاني أنتــوني أيــدن والجنرال ويفل والجنرال بلات قائد قوة دفاع السودان والجنرال سمطت مفتش قوات جنوب إفريقيا والجنرال آلان كننقهام قائد قوات الحلفاء فى كينيا وممثلو الإمبراطور. وكانت الإستراتيجية التى تمخض عنها المؤتمر كالآتي :-

1- بدء العمليات العسكرية ضد الإيطاليين فى الجبهة الجنوبية بشرق أفريقيا فــوراً بقيادة الجنرال كننقهام ليشق طريقه من كينيا عبــر نهــر جوبــا شــمالاً نحــو "كيسمايو" فى الصومال وصولاً لأديس أبابا.
2- يقوم الجنرال بلات بترتيب دخول الإمبراطور إلي إثيوبيا فى يناير 1941م.
3- إطلاق حرب تحرير فى غرب إثيوبيا بتشجيع الثورة بأقليم قوجام.
4- الاستمرار فى الضغط على الإيطاليين فى منطقة القلابات والمتمة وذلك بتكثيف هجمات قوة دفاع السودان عليهم.
5- تعزيز قوات الجنرال بلات فى السودان بفرقة هندية لاحتلال مثلــث كــسلا – سبدرات – تسني.
6- تقوم قوات الحلفاء بشمال إفريقيا فى الوقت نفسه بهجوم على الإيطــاليين فــى "سيدي براني (32).

وفى ديسمبر 1940م وصلت الفرقة الهندية الخامسة وتم الدفع بالفرقة الهندية الرابعة من ليبيا بعد زوال خطر الإيطاليين هناك، والتى وصلت السودان فى ينــاير، وبلــغ حجم قوات الحلفاء بذلك 30 ألف جندي، وقد أختيرت القضارف مقراً لرئاســة قــوة

دفاع السودان لموقعها الرابط بين محوري الهجوم لإريتريا وإثيوبيا وحضر إليها الجنرال بلات فى مطلع يناير 1941م واضعاً تفاصيل خطة الهجوم السابقة وأيضاً دفع مليشيا المروج لمهاجمة الإيطاليين فى قرورة وتحريك قوات البوليس فى أعالي النيل التى عُززت بكتيبة المشاة الإفريقية الملكية والكتيبة الاستوائية لمهاجمة النقاط الحدودية بإثيوبيا لإجبار الإيطاليين على الحرب فى أكثر من جبهة، مما يعني إشعال جبهة قتال تمتد إلي 1200 ميل من ساحل البحر الأحمر إلي الحدود الكينية الإثيوبية (33).

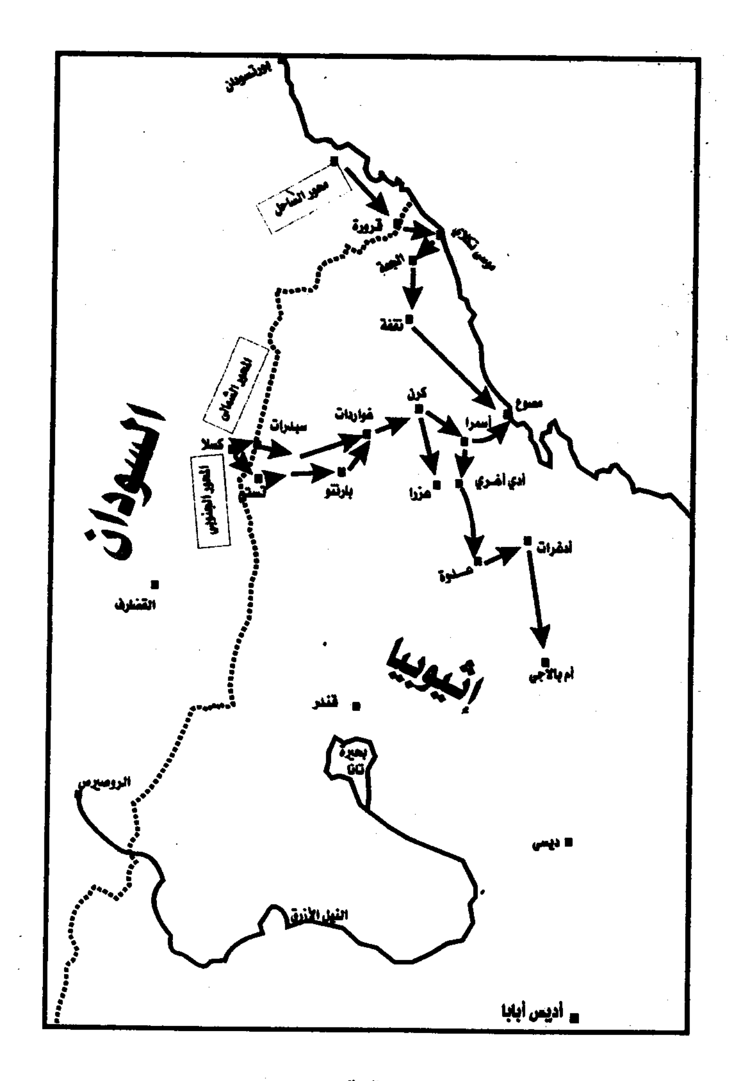
عمد الإيطاليون بعد هزيمتهم فى سيدي براني وتعرض خطوط إمدادهم للهجوم والقطع وزيادة قوة دفاع السودان بوصول الفرقتين الهنديتين إلي تحويل سياستهم من الهجوم إلي الدفاع متخلين عن حلمهم باحتلال السودان، وتلخصت خطتهم الدفاعية التى أشرف عليها الجنرال فروشي القائد الجديد لشرق إفريقيا فى: -

1- مواصلة الدفاع عن جبهة كينيا وإعاقة وصد هجوم الجنرال كننقهام.
2- محاولة قطع ومنع وصول الإمدادات إلي قوات المقاومة الإثيوبية عبر السودان.
3- الدفاع عن مثلث كسلا – سبدرات – تسني.
4- تعزيز القوات بمنطقة المتمة وقندر.
5- تقوية حامية الكرمك وإصلاح الطريق بينها وبين أصوصا.

ولتنفيذ هذه الخطة عززوا قواتهم بألوية وكتائب جديدة (34) وقرروا فى 18 يناير الإنسحاب من كسلا بعد شعورهم بتفوق قوات الحلفاء المتحفزة لتحريرها.

بدأت قوات الحلفاء فى مطاردة الإيطاليين المنسحبين فوراً لكي لا تتيح لهم الفرصة لالتقاط أنفاسهم وتحصين خطوط دفاعهم الجديدة، وبدأت زحفها خلفهم على محورين (35): محور جنوبي صوب تسني- هيكوتا – بارنتو فى مقدمته المجموعة الثانية من البلوكات السريعة لقوة دفاع السودان وخلفها الفرقة الهندية الخامسة، ومحور شمالي فى مقدمته "قوة الغزال" المكونة من المجموعة الأولى للبلوكات السريعة لقوة دفاع السودان وخلفها الفرقة الهندية الرابعة. وتمكن المحوران من تنفيذ خطتهما سريعاً مزيلين عن طريقهما النقاط الصغيرة التى خلفتها القوات الإيطالية وراءها لتأمين انسحابها.

ووصل المحوران خلال يومين فقط من تعقبهما للمنسحبين إلي خط الـــدفاع الثـــاني الذي أقامه الإيطاليون بين مدينتي بارنتو وأغواردات بعد إزالة دفاعـــات الإيطـــاليين القوية حول ممر كيرو الضيق ذى المعاقل الجبلية الحصينة (36)
وكان لسرايا البلوكات السريعة لقوة دفاع السودان القدح المعلى فـــى إزالـــة مكـــامن القوات الإيطالية وقطع خطوط إمدادها والالتفاف حول خلفيتها مما دفعها للانـــسحاب المتواصل، وكانت البلوكات السريعة فى محوري الهجوم تتبـــادل مـــساعدة بعـــضها البعض خاصة وأن المسافة التى تفصل بين المحورين لا تتجاوز الخمسين ميلاً.



خريطة رقم (٧)

(مسار حملة تحرير إريتريا وشمال إثيوبيا - يناير ١٩٤١)

المصدر: معلومات الباحث

حاصرت قوات الحلفاء الإيطاليين خلف خط دفاعهم الثـاني بـين أغـوردات وبارنتو وقامت سرايا البلوكات السريعة بقطع خط الإمداد بين المدينتين ونجح سلاح الجو الملكي فى قصف مطاري أسمرا وقور مما أدى لتحطيم مـا يزيـد علـى 50 طائرة وهى جاثمة على الأرض، وأجبرت القوات الإيطالية بعد حصار لمدة أسـبوع ومعركة سريعة للإنسحاب فى 31 يناير من أغوردات وفى 2 فبراير مـن بـارنتو واتجهت نحو مدينة كرن. وأصبحت مدينتا أغوردات وبارنتو والأودية حولهما مقبرة لإليات ومعدات وأفراد الجيش الإيطالي تتناثر جثث وأشلاء قتلاه فـى كـل مكـان وأصبحت المنطقة زاخرة بمشاهد الخراب والدمار المألوفة فى حالة تراجع الجيـوش المنهزمة فى فوضى ودون نظام (37).

اتضح من المعارك السابقة فى ممر "كيرو" وبارنتو هبوط معنويـات القـوات الإيطالية خاصة الجنود غير الإيطاليين من إريتريين وإثيوبيين ويمنيين وصـومإليين، وأخذت البلوكات السريعة تأسر عشرات الجنود وتستولى على كميات ضـخمة مـن الأسلحة والمركبات، وبعد تقدمها بالمحور الجنوبي شرق بـارنتو وتراجـع القـوات الإيطالية نحو "عزرا" استولت البلوكات السريعة فى هذا المحـور وحـده علـى 15 دبابة خفيفة و18 مدفع و170 شاحنة وأسرت 750 مقاتلاً واستولت علـى كميـات كبيرة من الإمدادات والذخيرة والبغال والجمال بخلاف الـدبابات والـشاحنات التـى دمرتها (38) .

مثلت كرن الواقعة على مسافة 60 ميلاً شمال شـرق أغـواردات المعركـة الفاصلة فى كل حرب شرق أفريقيا لما تتمتع به من موقع حصين حيث تقع على قمة سلسلة جبال البحر الأحمر التى يصل ارتفاعها إلي خمسة آلاف قـدم فـوق سـطح البحر وتحيط بها الجبال من كل الاتجاهات عدا ممر غربي وآخر شرقي يؤدى إلـي أسمرا، وازدات حصانة كرن بالقوة الضخمة التى حشدها الإيطاليون بها حيث دفعوا بكل احتياطيهم من القوات والأسلحة حتى بلغ عدد كتائبهم هناك 40 كتيبة تـضم 30 ألف جندي بها نخبة الجيش الإيطالي، أما قوات الحلفاء بقيادة الجنرال بـلات القائـد العام فكانت تتكون من الفرقتين الهنديتين الرابعـة والخامـسة والمجموعـة الأولـى والثانية من البلوكات السريعة ومليشيا المروج التابعة لقوة دفـاع الـسودان وأربعـة أسراب دبابات من المدرعات الملكية والكتيبة الكاميرونيـة وقـوات فرنـسا الحـرة وسريتين قبرصيتان من راكبي البغال وسلاح الجـو الملكـي البريطـاني ، وعلـى الجانب الشرقي من جبهة كرن إستطاعت مليشيا المروج المتقدمة أمام اللواء الهنـدي من تحرير قرورة ومرسى تحلاي على ساحل البحر الأحمر واحتلت أيـضاً رئاسـة

القوات الإيطالية فى "الجنه" والتقدم منه نحو "نقفة" حيث انضمت لها هناك قوة فرنسا الحرة والكتيبة التشادية والسرية الرابعة من البلوكات السريعة39).وعلى المحور الجنوبي انضم للقوة التى تحاصر كرن اللواء التاسع الهندي بعد أن إستعاد القلابات وحرر المتمة، كما انضمت للقوة أيضاً سرية من فلسطين تضم خليطاً من العرب واليهود، ووصلت إلي كرن لاحقاً فرقة هندية بريطانية تضم جنوداً من البنجاب واسكتلندا، وأصبح الجيش الذى يحاصر المدينة يضم بجانب البريطانيين والسودانيين جنوداً وضباطاً من مصر والهند وجنوب إفريقيا ويوغندا وكينيا وإثيوبيا وقبرص وفلسطين ونيوزلندا وأستراليا والمغرب، وتمت ترقية الجنرال بلات القائد العام للقوة إلي لفتنانت جنرال " فريق" بعد أن أصبحت القوات التى تحت إمرته أكبر من جيش كامل (40)

استمر حصار كرن من الثاني من فبراير وحتى 27 مارس 1941م حيث عمد الإيطاليين لتحصين مواقعهم وتأمين وصول المزيد من التعزيزات إستعداداً للقيام بهجوم مضاد أو انتظاراً لاستسلام الحلفاء بأوروبا، وأخضعوا جيشهم الجرار بكرن لبرنامج شاق من العمل ليلاً ونهاراً لسد الثغرات وتلافي النقص وإقامة المزيد من الاستحكامات ونسف المسالك والطرق بما فى ذلك الخط الحديدي الممتد عبر الأنفاق داخل الجبال(41).

ضربت قوات الحلفاء حصاراً على كرن بعد أن تعذرت امكانية اختراق الخطوط الإيطالية الدفاعية فى هجوم شامل، ووجدت قوات الحلفاء نفسها تحت نيران حامية من مدفعية الإيطاليين الخفيفة والثقيلة وبنادق القناصة والقنابل إليدوية، كما ظلت الطائرات تصليهم من الجو بقنابلها ونيران مدافعها الرشاشة، واتجه تفكير الجنرال بلات للبحث عن طريق للإلتفاف على كرن كما بحث اقترحاً بتحويل مسار الزحف جنوب جبال كرن ولكن الموانع الطبيعية صعّبت الخيارين ولم يبق سوى إدامة الحصار إلي حين إضعاف مقاومة الإيطاليين للقيام بإجتياح سلسلة الجبال حول كرن، وباءت معظم محاولات الاستيلاء على المرتفقات الجبلية بالفشل وكان العزاء فى الغارات الجوية للطائرات البريطانية التى قامت أيضاً بإسقاط المنشورات الدعائية المبشرة بإقتراب عودة الإمبراطور وبالمعاملة الطيبة التى تنتظر الهاربين من خدمة الجيش الإيطالي (42) .

وانفرد رجال قوة دفاع السودان فى كسر أيام الحصار المملة بحملاتهم الخاطفة على المواقع الأمامية المعزولة للإيطاليين، فكانوا يتسلقون الجبال الصخرية تحت جنح الظلام ويشتبكون مع جنود الجيش الإيطالي بالأسلحة النارية والبيضاء مما أثار الذعر بينهم، وبرع فى هذا النوع من العمليات رجال فرقة الهجانة المنتمون

لمنطقة جبال النوبة المعروفة بطبيعتها المشابهة لكرن، كما برعت وحدات المدفعية السودانية " مدفيعة شندي" بقيادة الملازم أحمد مجذوب البحاري واحتلت مكان الصدارة فى قصف وإصابة مواقع الإيطاليين على الرغم من أن قوة دفاع السودان لم تستخدم المدفعية ولم تعرفها قبل نشوب الحرب (43) .

وفى منتصف مارس تمكنت القاذفات البريطانية من إصابة مواقع الإيطاليين الحصينة فى كرن وقطع خط السكة الحديد بينها وبين اسمرا، مما مكن الفرقتين الهنديتين من احتلال حصن "دولو قور دوك" الذى يُشكل مدخلاً للمدينة تحت ساتر من القصف الكثيف للمدفعية، وبدأت المعركة الأخيرة لتحرير كرن فى 25/مارس عبر هذا الحصن بهجوم خاطف وسريع كان فى مقدمته الوحدات السودانية من المشاة والبلوكات السريعة ومن خلفهم فرقة من البريطانيين والهنود نجح فى تطهير المرتفعات المشرفة على المدينة والطريق الرئيسي المؤدي لها، وإنهمكت القوة طوال إليوم فى تطهير الطريق من الألغام والمعوقات، ولم تفلح التعزيزات التى دفع بها الإيطاليون ذلك المساء -والمتمثلة فى فرقة كاملة تضم كتيبة من الإيطاليين الفاشيست ذوى القمصان السوداء المعروفين بقوة بأسهم وصبرهم على القتال- لم تفلح فى هجومها المضاد لاسترداد المرتفعات التي سقطت فى أيدي قوات الحلفاء (44) وزار الجنرال ويفل الجبهة فى ذلك إليوم وكان حريصاً على الإنتهاء من معركة كرن سريعاً لإرجاع القوات الهندية إلي مصر لمواجهة هجوم محورى مرتقب عبر الصحراء الغربية تشترك فيه لأول مرة القوات الألمانية التى وصلت طلائعها لطرابلس، وأعقب زيارته فى إليوم التإلي 27/مارس الهجوم الأخير الذى بدأ بهدير المدافع على المواقع الإيطالية بجانبي الطريق الرئيسي المؤدي لكرن، وما أن تجاوزت قوات الحلفاء جبال كرن واصبحت بينها وبين المدينة حتى ظهرت جموع الجيش الإيطالي رافعة الرايات البيضاء، وكان من ضمنها ثلاثة آلاف إيطالي وانسحبت بقية جيوشهم إلي أسمرا ودخلت قوات الحلفاء المدينة وسط استقبال سكانها الذين عانوا من ويلات الاستعمار الإيطالي لأكثر من نصف قرن (45) .

ويعتبر الكثير من المؤرخين أن معركة كرن مثلت قاصمة الظهر لقوات المحور فى أفريقيا وأنها غيرت مسار الحرب العالمية الثانية بأسرها. ووصفها السير دوغلاس نيوبولد السكرتير الإداري بالسودان آنذاك قائلاً " أنها أعظم معركة فى هذه الحرب جرت بالشرق الأوسط حتى الآن، وإن معارك الصحراء الغربية لدى المقارنة بها أشبه بسباق لا منافسة فيه (46) ."

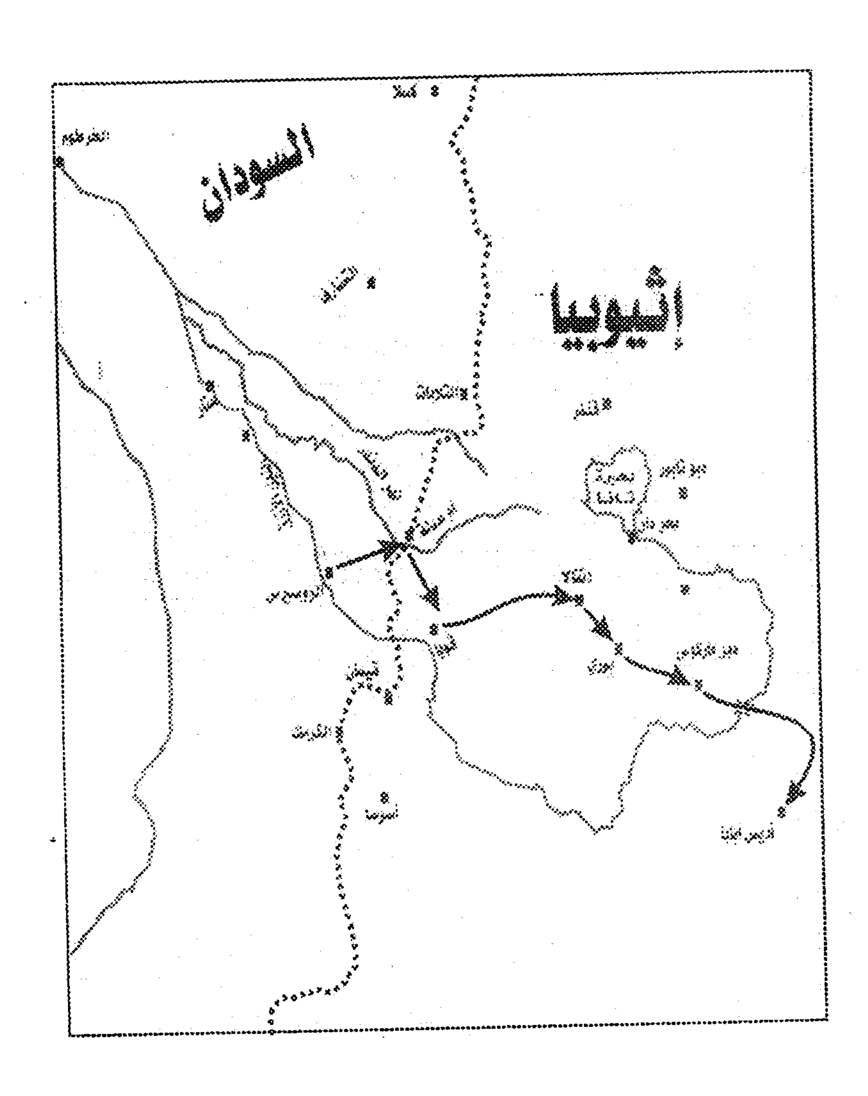
ويذكر الجنرال بلات أن مدفعية الحلفاء أمطرت الإيطاليين خلال الثلاثة أيام الأخيرة من المعركة بمائة وعشر آلاف قذيفة من مختلف الأحجام أي ما يعادل حمولة أكثر من ألف شاحنة جرى نقلها من رأس الخط الحديدي داخل السودان عبر مسافة تصل إلي مائتي ميل تقريباً. ويعترف بلات بأن انتصاره فى معركة كرن يرجع أولاً وقبل كل شئ إلي ما أبداه المقاتلون السودانيون والآخرون من رجال القوات الحليفة من عزم وعناد وصبر على القتال (47) .

فقد الإيطاليون ثلاثة آلاف قتيل و4500 جريح من جيشهم عدا عدة آلاف أخرى من الصوماليين والاريتريين والإثيوبيين الذين كانوا يقاتلون معهم. وكانت الخسائر وسط قوات الحلفاء كبيرة أيضاً فقد فقدت القوات الهندية بين أربعة وخمسة آلاف قتيل وجريح خلال فترة الحصار وبلغت خسائر قوة دفاع السودان 29 قتيلاً و40 جريحاً، ويذكر الجنرال بلات أن خسائره خلال الثلاثة أيام الأخيرة للمعركة بلغت 536 قتيلاً و3500 جريح (48) .

وخلّد السودانيون دور قوة دفاع السودان فى معركة كرن بأشعار وأغان ما زالت تُردد حتى إليوم تمجيداً لبطولاتها وشجاعة جنودها وضباطها، وكان من ضمن هؤلاء الملازم حسن بشير نصر الذى مُنح وسام الصليب الحربي البريطاني[49]، كما وجدت القوة الإشادة والإعجاب من الصحف البريطانية ونشرات الأخبار السينمائية.

فى صبيحة أول أبريل بعد معركة كرن بثلاثة أيام، استسلمت عاصمة إريتريا دون قتال وجرى إطلاق سراح الأسرى الذين أخذتهم القوات الإيطالية معها من كسلا، وتولت سرايا قوة دفاع السودان بقية الزحف نحو مواقع القوات الإيطالية فى جنوب إرتريا وشمال إثيوبيا نسبة لنقل معظم القوات الهندية إلي جبهة القتال فى شمال أفريقيا فاستولت السرايا السودانية على "عدى أوعزى" وحررت الأسرى البريطانيين وإليونانيين الذين أسروا من كسلا والصومال، ثم اتجهت فى زحفها جنوباً لتدخل بعد 24 ساعة مدينة عدوا التاريخية حيث إستقبلها زعيم التقراي الرأس/ سيوم ثم احتلت مدينة "عدى قرات" فى طريقها لمحاصرة قلعة "أمبالاجي".

أما على ساحل البحر الأحمر فقد شقت الفرقة الهندية السابعة طريقها من بورتسودان وفى مقدمتها السرية الرابعة من البلوكات السريعة ومليشيا المروج والمدفيعة التابعة لقوات فرنسا الحرة، وقامت مليشيا المروج بدور كبير فى نقل الإمدادات للقوة بتلك



خريطة رقم (٩)

(مسار عودة الإمبراطور هيلاسلاسي لبلاده ـ ١٩٤١م)

المصدر: ANTONY MOCKLER , HAILE SELLASSIE,S WAR THE ITALIAN ETHIOPIAN CAMPAIGN, 1935-1941, RANDOM HOUSE ,NEW YORK -1985

المناطق ذات الطبيعة القاسية والتى تنعدم فيها مياه الشرب. وتمكن رجال مليشيا المروج بعد مسيرة 20 يوماً من الاستيلاء على بلدة "نقفة" مما سّهل انتقال الفرقة الهندية إلي مواقع قريبة من كرن عند حصارها، وحاصرت مصوع من الشمال بينما حاصرتها من الغرب القوات القادمة من أسمرا، وفى الثامن من أبريل اقتحمت هذه القوات مصوع وطاردت الإيطاليين الذين انسحبوا جنوباً. وبلغ عدد الأسرى حتى هذه المرحلة 41 ألفاً منهم 23.500 أفريقي معظمهم إريتريون و17.500 من الإيطاليين بينهم ألف ضابط حيث جرى نقل كل الأسرى إلي معسكرات داخل السودان، فنُقل الإيطاليون إلي بعض المناطق المرتفعة فى شرق السودان لإعتدال طقسها ووُزع الإريتريون والإثيوبيون والصوماليون بين شندي وعطبرة والخرطوم ومدني(50) .

وشاركت قوة دفاع السودان فى نهاية مراحل حملتها القادمة عبر إريتريا فى حصار آخر مواقع الإيطاليين بشمال إثيوبيا وأقواها على الإطلاق وهى قاعدتي "ولكيفت" فى الطريق بين أكسوم وقندر و"أمبالاجي" التاريخية جنوب مقلي.

حاول الإيطاليون الدفاع عن "أمبالاجي" التى لجأ لها دوق أوستا نائب الملك فى إمبراطورية شرق أفريقيا الإيطالية وخمسة آلاف من الجنود الإيطاليين وكبار قادته العسكريين وفى مقدمتهم الجنرال "فروشى" القائد العام للجيش الإيطالي وعدد كبير من المدنيين الإيطاليين، وبعد حصار محكم وهجوم منسق إستسلم الإيطاليون فى 19/مايو 1941م، وتنفست قيادة الحلفاء للشرق الأوسط وإفريقيا الصعداء، وأعلن ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني أمام مجلس العموم " إن سقوط أمبالاجي يعني إنتهاء المقاومة الإيطالية المنظمة فى إثيوبيا" ووصف معركة أمبالاجي بأنها أروع معارك الإمبراطورية البريطانية، وأنها تعد مفخرة للجنرال بلات قائد قوة الدفاع السودانية وأن الانتصار مكّن من نقل القوات الحليفة إلي جبهات أخرى فى ليبيا وفلسطين والعراق وأحدث أثراً معنوياً كبيراً فى سائر أرجاء الشرق الأوسط". (51)

وأسندت للمجموعة الثانية من البلوكات السريعة محاصرة قندر، وانضمت لها فى وقت لاحق أعداد كبيرة من المقاومة الإثيوبية وظل الإيطاليون صامدون فى مواقعهم إلي أن انضمت للقوات التى تحاصرهم لهم الكتيبة المختلطة التابعة لقوة دفاع السودان التي حررت أجزاء واسعة من غرب إثيوبيا من أصوصا جنوباً وحتى قندر.وعندما إنتشرت أخبار تلك الكتيبة فى قندر تحرك الجنرال الإيطالي "نازي" قائد اللواء الرابع المتحصن بالمدينة، وأرسل إلي قائد قوة دفاع السودان يطلب استسلام قواته شريطة أن يصان شرفها وأن تقوم قوة دفاع السودان بحمايتها من انتقام

قوات المقاومة الإثيوبية. وبالفعل جرت مراسم الإستسلام فى 27 نوفمبر1941م لأحد عشر ألف إيطالي وأثني عشر ألف من الإثيوبيين والإريتريين المجندين معهم، بينما كانت القوة السودانية التى تحاصرهم لا تتعدى ألفى جندي (52) .

(4) قوة دفاع السودان وتحرير غرب إثيوبيا وإرجاع الإمبراطور:-

انتبه الإيطاليون لتحركات البريطانيين فى غرب إثيوبيا ومحاولاتهم استقطاب الزعماء المحليين ودعم قادة المقاومة هناك فلجأوا إلي إعادة كبار الزعماء الإثيوبيين المحجوزين بأديس أبابا إلي مراكزهم، وكان من ضمن هؤلاء رأس/ أيالوبيرو فى قندر ورأس هيلاسلاسي قوقسا فى مقلي ورأس/هايلو تكلا هيمونت فى قوجام، ولعدم ثقتهم فى رأس/منقشا أبقوه فى أديس أبابا، كما لجأوا إلي توزيع أوامر مزيفة باسم الإمبراطور يعين فيها ديجاز/منقاشا جيمبري ملكاً على قوجام وهو ما أدى لتعاطف وتأييد أهالي قوجام للرأس/هايلو (53) .

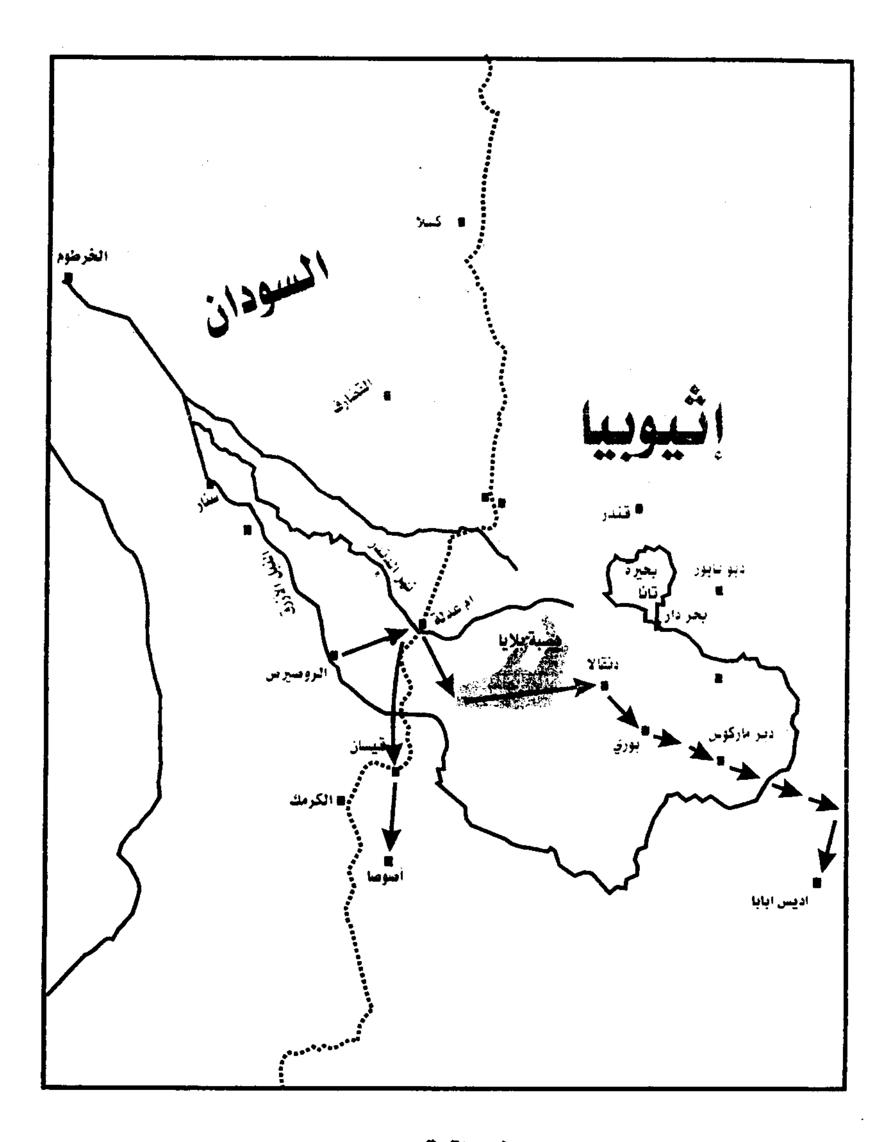
عسكرياً، انطلق محور الهجوم الجنوبي تقوده الكتيبة المختلطة من القلابات بعد أن حررتها وبعد أن عُززت بسرية النوبة الخامسة من قوات الهجانة وبقوات باندا الفونج، فحررت قيسان، ومن هناك تقدمت إلي قاعدة "أفدو" داخل إثيوبيا حيث تمكنت سرية النوبة من تسلق الجبال المشابهة لمناطقهم فى جبال النوبة، واحتلال مواقع الإيطاليين بها فى 19/مارس 1941م، ومنها إنطلقت الكتيبة نحو أصوصا العاصمة الإقليمية لبني شنقول فانسحبت القوات الإيطالية شرقاً وتركت وراءها الجنود الأفريقيين الهاربين منها والمدنيين الذين كانت نسبة كبيرة منهم من السودانيين المستوطنين بأصوصا ومنطقة بني شنقول. وطاردت سرية من الهجانة القوات الإيطالية حتى مسافة 35 ميلاً شرق أصوصا وعادت كل الكتيبة من هناك إلي الروصيرص ومنها إلي السوكي حيث إستقلت القطار إلي القضارف وانتقلت إلي القلابات فى طريقها للإنضمام لقوة دفاع السودان التي تحاصر قندر منتصف 1941م (54) .

قادت السرية الرابعة من سلاح الحدود طلائع الزحف نحو هضبة بلايا فى أخر يوم من نوفمبر 1941م ووصلتها بعد أسبوعين بعد رحلة شاقة نقل الجنود فيها على ظهورهم المؤن والأسلحة لقمة الهضبة التى يصل ارتفاعها إلي خمسة آلاف قدم، واستقبل السرية هناك قائد المقاومة بلاي زيلكا، بينما لم تجد السرية التعاون المتوقع من قائد البعثة"101" العميد ساند فورد ولم يمدها بالبغال كما كان متفقاً عليه (55)

انحاز الإمبراطور لرأي وينجت وقرر الدخول عبر نقطة "أم عدله" شمال هضبة بلايا وليس عبر الطريق الذى فتحته السرية الرابعة الواقع جنوب هضبة بلايا،

والذى سلكته أيضاً السرايا الأربعة الباقية من كتيبة الحدود التي اكتمل وصولها إلـــي "بلايا" منتصف يناير.

وصل الإمبراطور إلي "أم عدله" (56) فى 20 يناير وهو إليوم الذى دخلـــت فيـــه قوات الجنرال بلات كسلا، وبعد مسيرة مضنية على ظهر جواد وصل إلي هـــضبة بلايا فى 6/فبراير فى معية كتيبة اللاجئين الإثيوبيين وكانوا فى حالـــة مزريـــة مـــن الإرهاق والتعب بعد أن ماتت معظم الجمال التى خرجوا بها من الـــسودان. ومهمـــا يكن فإن وصول الإمبراطور إلي هناك وقد أصبح لديه ألفان من الجنـــود الإثيـــوبيين والسودانيين، أذكى نيران الحماس وسط الإثيوبيين بالمنطقة وتلاشـــى خـــوفهم مـــن الإيطاليين فتدفقوا نحو معسكر الإمبراطور يعلنون ولاءهم له.



خريطة رقم (٨)

(مسار حملة تحرير غرب إثيوبيا - ١٩٤١)

المصدر: معلومات الباحث

تجمعت القوات المصاحبة للإمبراطور التى أطلق عليها "قوة قيدون" أسفل جبل بلايا (57) الذى يقع على قمة الهضبة وتضم القوة عدة مئات من الإثيوبيين الذين كان معظمهم لاجئين بالسودان وبكينيا وبعض النبلاء المقربين من الإمبراطور الذين كانوا لاجئين بالقدس وعدة مئات من الجنود السودانيين أفراد كتيبة الحدود مع ضباطهم البريطانيين وخمسة أستراليين وحفنة من اليهود وعدة ملازمين من سلاح الفرسان التابع للأفوج البريطانية المتمركزة بفلسطين إضافة إلي الإمبراطور وأبنائه ومساعديه المقربين الذين كانوا معه بالخرطوم ولندن، وأكثر من هؤلاء جميعاً كان أفراد الحملة غير المقاتلين من راكبي الجمال المستأجرة (58) .

لحق وينجت وساند فورد بالقوة فى 15/فبراير بعد أن إتفقا مع الجنرال بلات على أهداف وخطة "قوات قيدون" المتمثلة فى إرهاق الإيطاليين بقوجام وتثبيت قواتهم – وليس طردها – حتى لا يستطيعوا استخدامها ضد محوري الهجوم الآخرين من كينيا عبر الصومال إلي أديس أبابا ومن كسلا عبر إريتريا إلي شمال إثيوبيا، وقد وُصفت هذه الإستراتيجية بأنها تماثل إستراتيجية لورنس العرب فى الحجاز إبان الثورة العربية عام 1917م، ووجد الكثيرون شبهاً كبيراً بين لورنس وأوردي وينجت (59) .

جَمّعت القوات الإيطالية نقاطها المنتشرة بين قندر ودبر ماركوس فى مدينتي "بوردي" و "بحر دار" وتحركت كتيبة الحدود من بلايا إلي "إنقيبارا" على الطريق بين دبرماركوس وقندر ومنها نزلت جنوباً نحو "بوري" حيث إتخذ القتال حولها طابع حرب العصابات ونجحت السرايا السودانية فى أسلوبها الذى إشتهرت به طوال مراحل هذه الحملة وهو الهجوم الليلي المباغت والقصف المدفعي النهاري والتسلل خلف خطوط الإيطاليين ومواقعهم الحصينة، ومع القصف الجوي للقلاع الحصينة بدأ موقف القوات الإيطالية داخل بوردي يتضعضع خاصة بعد أن بدأت المليشيا المتعاونة معهم مغادرة المدينة.

وفى صباح 4/مارس انسحب الإيطاليون من بوري متجهين نحو دبر ماركوس، وتم فوراً ربط بوري بالخرطوم عن طريق رحلات جوية تقوم بإمدادها بالمؤن والعتاد، ووصل إليها الإمبراطور من بلايا، كما حضر إليها نجلا الإمبراطور من الخرطوم جواً (60) .

لحقت الحاميات الصغيرة مثل ما نكوسا وجيغا ودميشا بحامية بورى واحتلتها جميعاً سرايا كتيبة الحدود ولاذت كل القوات الإيطالية بمدينة دبرماركوس عاصمة إقليم قوجام بالفرار.



خريطة رقم (٩)

(مسار عودة الإمبراطور هيلاسلاسي لبلاده- ١٩٤١م)

المصدر: ANTONY MOCKLER, HAILE SELLASSIE,S WAR THE ITALIAN ETHIOPIAN CAMPAIGN, 1935-1941, RANDOM HOUSE ,NEW YORK-1985

مع تحرير "بوري" ظهر الكثير من عيوب قيادة وينجت العسكرية، كان عدم التنسيق هو القاعدة، إحدى كتائب اللاجئين الإثيوبيين إنفصلت عن بقية القوة وتاهت لخمسة أيام، كما أن فشلت محاولة قطع خطوط الانسحاب على الإيطاليين وبرز الخلاف من جديد بين وينجت وساند فورد الذى رأى أن سير العمليات يتجه إلي طرد الإيطاليين خارج قوجام بدلاً عن تدميرهم أو إنهاكهم كما كان متفقاً عليه، كان الإمبراطور من جانبه غاضباً لأنه قابع فى "بوري" دون أية معلومات، وازداد حنقه بعد شكوى إحدى كتائب اللاجئين من سوء معاملة ضباطها البريطانيين. كان وينجت من جانبه غير راضي عن قاعدة الإمداد فى "بوري".أخيراً عُقد مؤتمر فى 11/فبراير ببورى خرج بتسوية، ساند فورد يتولى كل مشاكل الإمداد وإقامة قاعدة لقوة قيدون فى بوري وتترك مهام قيادة القوة إلي وينجت (61) .

ودخل عامل جديد على الوضع فى دبرماركوس، هو ملك الإقليم الرأس/هايلو الذى أتى به الإيطاليون حديثاً لقيادة ستة آلاف من أتباعه المقاتلين، وأدرك وينجت أن موقف راس/هايلو يمكن أن يكون مفتاح النصر أو الهزيمة، فسار إليه وينجت ومعه إحدى سرايا كتيبة الحدود من 300 جندي فقط، وأرسل رسولاً إلي الرأس/هايلو الذى كان على بعد ميلين منه على رأس مليشياته، رأس/هايلو رفض حينها الاعتراف بسلطة الإمبراطور هيلاسلاسي أو الاستسلام ولكنه أيضاً لم يحاول الهجوم على قوة وينجت الصغيرة وعاد الرأس بقواته إلي داخل دبرماركوس (62) .

اتجه تفكير وينجت للاستيلاء على "سافرتاك" الجسر الوحيد على النيل الأزرق الذى يربط قوجام بشوا لأن الاستيلاء عليه يعنى قطع الطريق بين أديس أبابا ودبر ماركوس وفصل قوة الإيطاليين فى قوجام أو تدميرها عند الجسر إذا حاولت الانسحاب.

دبر ماركوس كان بها 16 ألف من الجيش الإيطالي وبلغت القوة التى تحاصرها 400 من رجال كتيبة الحدود السودانية وأثنى عشر من البريطانيين وبفعل الغارات الليلة لكتيبة الحدود وقصفها المدفعي بالنهار، بدأ أفراد المليشيا يهربون من صفوف الإيطاليين وينضمون للمحاصرين ورغم استمرار هجمات كتيبة الحدود فإن الإيطاليين لم يبدوا أي رغبة فى الانسحاب أو الاستسلام بل شنوا هجوماً صباح 24/مارس على مواقع الكتيبة التى نجحت فى صده. ولم يبق أمام وينجت لكسر

الجمود سوى الدفع بكل أفراد المقاومة بقيادة الإمبراطور شخصياً حتى يتمكن من معادلة وجود الرأس/هايلو بجانب الإيطاليين (63) .

خطط الإيطاليون لهجوم مضاد ينطلق من بحردار فى الشمال ودبر ماركوس في الجنوب ولكن فى مساء 26/مارس 1941م علم الضباط الإيطاليون فى كافة الجبهات بالأوامر التى أصدرها الجنرال فروشي بإخلاء كرن، ومع الأخبار السيئة عن تقدم البريطانيين من الصومال وكينيا، ظهر لهم أن الوضع أصبح مائعاً وقابلاً للتغيير فى أية لحظة، وفكروا فى خطوط الإنسحاب بدلاً عن الهجوم، محاولة واحدة قامت بها القوات الإيطالية فى بحر دار لمهاجمة سرايا كتيبة الحدود ولكنها لم تنجح، ورجع القائد الأعلى العقيد/توريللى إلي بحر دار بعد أن فقد 175 من رجاله بواسطة قناصة كتيبة الحدود السودانية وفقد أيضاً مليشيا ليج/مامو - 1500 رجل- التى سمعت بإخلاء كرن وقررت الانحياز للبريطانيين. (64)

عمد العقيد وينجت إلي نشر كل قواته لقطع خطوط الإمداد والانسحاب على الحاميات الإيطالية فى قوجام وقندر، أرسل قوة من كتيبة الحدود مع بعض الإثيوبيين لمهاجمة دبر طابور فى الطريق بين قوندر ودسي شمالاً، وقوة أخرى مشابهة لمحاصرة بحر دار، وفى أقصى الشمال انضمت قوة من البريطانيين لرجال القس قيرقوس لقطع الطريق شمال قندر، ودفع برجال مسفن ردا لينشطوا فى "ولقايت" وبدأ أداني موكنن فى شن هجمات على الإيطاليين شمال غرب قندر وخططت مليشيا و.نه أموراو لمهاجمة "كيمانت" وشنت سرايا من كتيبة الحدود السودانية مع كتيبة اللاجئين الثانية هجوماً على أطراف دبر ماركوس وأعادت الإستيلاء على قلعة " إيمانويل " مجبرين كتيبتين إيطاليتين على الانسحاب نحو دبرماركوس (65) .

تقدم وينجت فى صحبة الإمبراطور نحو دبرماركوس من بوري فى الثاني من أبريل 1941م، وفى إليوم التالي رأوا العلم الإثيوبي يخفق فوق المدينة وبدأ 1100 إيطالي و7000 من المليشيا الإثيوبية المؤيدة لهم و2000 من النساء والأطفال يتدفقون عبر طابور طويل منسحبين من دبرماركوس وتركوا راس/هايلو مع 6 آلاف من أتباعه وكمية ضخمة من الذخائر والأسلحة، بعد أن سلموه المدينة التى كان سيدها منذ مطلع القرن، وأمام مدينته يقف البريطانيون حلفاؤه القدامي والإمبراطور غريمه التاريخي والرأس/كاسا الذى تسبب رأس/ هايلو فى مقتل أثنين من أبنائه على يد الإيطاليين ولمعرفته عدم توقع الرحمة من هؤلاء الذين يواجههم، أسدى آخر خدمة للايطاليين بإغراء أحد زعماء المقاومة – بلاى زيلكا- الذى كان يحرس جسر سافتراك مع قوة صغيرة من كتيبة الحدود لمساعدة الإيطاليين فى عبور الجسر، ونجح زيلكا فى تأخير هجوم القوة بحجة انتظار الدعم حتى عبرت القوة الإيطالية المنسحبة ولم يتمكن جنود كتيبة الحدود إلا من تدمير مؤخرة القافلة والجسر (66) ومهما يكن ورغم العقبات والاختلافات وربما الخيانات أصبحت قوجام حرة، وفى ذلك إليوم الذى شهد أيضاً دخول الجنرال كننقهام أديس أبابا، دخل الإمبراطور إلى دبر ماركوس جالساً على المقعد الأمامي لإحدى الشاحنات (67) .

وكان يمكن للإمبراطور الوصول جواً فى ذات إليوم إلي عاصمته ولكن طلبه بتوفير طائرة رُفض ورأى السكرتير الإداري بالخرطوم نيوبولد أن عودته فى ذلك الوقت ستشكل وضعاً خطيراً حيث ما زال 40 ألف إيطالي وسط سكان أديس أبابا الذين يبلغ عددهم 100 ألف وكان يمكن أن تقع مذبحة فى أديس أبابا إذا ثار هؤلاء لدى

رؤيتهم للإمبراطور منتصراً، لذلك كان لابد من تأخير عودة الإمبراطور الذى أزعن لطلب البريطانيين بإعلان العفو عن الإيطاليين (68) .
وازدادت شكوك الإمبراطور بعد أن أبقوه ثلاثة أسابيع فى دبرماركوس ورفض طلبه إعتقال رأس/هايلو بالسودان، وكانت تصله تقارير مؤيديه عن المعاملة البوليسية التى إنتهجها الجنرال كننقهام فى أديس أبابا مما أشعر الإثيوبيين بأنهم أمام احتلال جديد وليس تحريراً، وبدأت الشكوك تتحول لمخاوف بعد أن أطلق البريطانيون على إثيوبيا منطقة عدو محتلة (OETA) وساووها بإريتريا والصومال بل ولم يتخذوا الخطوة المتوقعة بفصل إقليم التقراى عن إريتريا وإعادته لخريطة إثيوبيا وإنما لجوؤ لتعيين السير/فيليب متشل الذى كان حاكماً على يوغندا حتى اندلاع الحرب، لقيادة الإدارة الجديدة وعينوا لمساعدته أثنان من مديرى المديريات فى السودان كنيدي كوك مدير كسلا فى إريتريا ولوشي مدير الشمالية فى إثيوبيا (69) .
طاردت سرية من كتيبة الحدود وقوة من المقاومة الإثيوبية قوات الإيطاليين المنسحبة من دبرماركوس وحاصرتها فى "أغيبار" حتى خارت قواها واستسلمت فى يوم 22/مايو، كما حاصرت سرية أخرى من كتيبة الحدود "بحر دار" وأجبرت القوات الإيطالية فيها على الانسحاب نحو قندار وتوجهت السرية من هناك لنجدة العقيد وينجت الذى كان يحاصر الحامية الإيطالية فى "موته" وأجبروها على الاستسلام فى 24/أبريل وكانت "موته" أخر معارك كتيبة الحدود فى غرب إثيوبيا (70) .
وفى منتصف أبريل نقل البريطانيون أبن الإمبراطور موكنن إلي هرر التى كان حاكماً عليها قبل الغزو ولكنهم ما زالوا يؤخرون وصول الإمبراطور لعاصمته، وحتى يوم 22 أبريل أرسل الجنرال كننقهام برقية إلي وينجت يطالبه بإيقاف أى حركة للإمبراطور للاقتراب من أديس أبابا، ولكن الإمبراطور المتلهف للعودة لعرشه قرر يوم 27/ أبريل أن يبدأ رحلة العودة، وخلال الأسبوع الذى استغرقته الرحلة إلي أديس أبابا استسلمت مدينة "دسي" لقوات جنوب إفريقيا واكتمل تحرير إقليم التقراي على يد رأس/سيوم وتحررت "بحر دار" بعد معركة كبيرة. وفى 5/مايو تقدم طابور الإمبراطور نحو أديس أبابا وفى معيته رأس/هايلو وليج يوهانس أبن ليج إياسو وحوله كتيبة الحدود السودانية وكتيبة اللاجئين الإثيوبيين و"البعثة 101" بقيادة العميد ساند فورد والآلاف من جنود زعيم المقاومة بمنطقة شوا

راس/ أبيبي أريقا الذين انضموا للموكب فى إليوم السابق وفى مقدمة الطابور العقيد وينجيت (71) .

هكذاء بعد خمسة أعوام بالتمام من دخول الجيش الإيطالي للمدينة فى 5/مايو 1936م دخلها هيلاسلاسي والآلاف من سكانها يستقبلونه فى الشوارع، وأقام القساوسة احتفالاً بقصر منليك الكبير " قيبي ".
دخل الإمبراطور عاصمته بعد خمسة أعوام من النفي وبعد تغييرات شاملة أحدثها الإيطاليون ببلده، وكانت الخسائر كبيرة، ففى مذكرة لمؤتمر باريس الذى عُقد فى نهاية الحرب العالمية الثانية قدرت الحكومة الإثيوبية قتلى الاحتلال الإيطالي خلال المعارك ب 87.500 شخص و17.800 شخص قتلوا بقنابل وقذائف الطائرات و30.000 شخص قضوا فى مذبحة فبراير 1939م بعد محاولة اغتيال نائب الملك الجنرال جريزاني و20.000 شخص قتلوا فى عمليات حرق القرى وكان من بين هؤلاء 75% من المتعلمين والمثقفين بإثيوبيا آنذاك (72) .
وأقام الإمبراطور حفل عشاء خاص بقصره لكتيبة الحدود السودانية وضباطها البريطانيين تكريماً لهم وقال قائد كتيبة الحدود العميد هيو باوستيد عن ذلك " استقبلنا الإمبراطور بما عُهد فيه من بشاشة ووقار وأمضينا فى القصر أمسية زادتها بهجة زجاجات الشمبانيا وشراب التيج " المحلى" وكان الإمبراطور ودوداً للغاية وتناولت أحاديثنا معه الفترة التى قضاها فى إنجلترا والغزو الإيطالي لبلاده وما إنطوت عليه حربنا فى إريتريا والحبشة من مشقة وعناء (73) .

(5) الآثار الداخلية لاشتراك السودان فى الحرب :-

ترك اشتراك السودان فى الحرب آثاراً سياسية واقتصادية واجتماعية على مجمل الحياة المستقبلية فى السودان، اجتماعياً وحد اشتراك السودان فى الحرب سكانه وزعماءه قبليين ودينيين، وتوحد كل السودانيين لصد الغزو الإيطالي خاصة بعد احتلال مدينة كسلا وكانت الجبهة الداخلية موحدة طوال فترة الحرب وساعد الزعماء والقادة فى الجهد الحربي بالمساهمة فى استتباب الأمن وتجنيد المليشيات ودفع الشباب للتجنيد بقوة دفاع السودان وجمع الجمال التى حملت معدات وإمدادات جيوش الحلفاء وتبرع السودانيون أفراداً وقبائل لدعم الجهد الحربي ، وتسابقت القبائل السودانية فى التبرع لدعم الجهد الحربي، فتبرعت قبيلة الميدوب من دارفور بقطيع حاشد من الضأن أوصلوه سيراً على الاقدام حتى أم درمان فى رحلة قطعوا خلالها 500 ميل. وتبرعت قبيلة الرزيقات بأكثر من ألف حصان وألفي رأس من

الضان. وفى كردفان تبرعت قبيلة المسيرية بألف وخمسمائة رأس من الأبقار، وتبرعت قبيلة الدينكا فى بحر الغزال بثلثمائة ثور،ولم يكن هناك أي تردد وسط السودانيين فى التفضيل بين الإيطاليين والبريطانيين.وخلقت أجواء الحرب وإشتراك قوة دفاع السودان فيها نقلة كبيرة فى معارف واهتمامات السكان بالتجارب والمشاهد والتى تابعوها عبر الراديو أو نقلها جنود قوة دفاع السودان بعد رجوعهم، والأهم من ذلك أن الحرب عجلت ببروز وسائل وأدوات ساعدت كثيراً فى عملية الدمج والاتصال بين مكونات الشعب مثل الإذاعة السودانية التى بدأ بثها مع مطلع الحرب لتقود عملية التعبئة والتصدي لحملات دول المحور (74) .

كذلك فإن التطورات الاقتصادية والسياسية للحرب بالسودان كان لها انعكاساتها على الجانب الاجتماعى، فبعد الحرب اتجهت الإدارة البريطانية لتخفيف القيود على التعليم الأهلي مما مكن مؤتمر الخريجين من إنشاء العديد من المدارس الوسطى والثانوية، كما أن حركة التجارة واحتياجات الحرب من المؤن ساعدت فى بروز طبقة كبيرة من التجار ورجال الأعمال السودانيين الذين كانت لهم أدواراً مستقبلية مهمة.

وتكفي الإشارة فى الجانب الاجتماعى إلي أنه طيلة فترة الحرب وانشغال قوات البوليس بالمهام العسكرية لم يحدث انفلات أمني أو زيادة فى معدلات الجريمة أو حدوث ضائقة معيشية وما إلي ذلك مما يُعتبر مألوفاً فى حالات الحرب وظروف الطواري (75)، كما كان من آثار الاشتراك فى الحرب اجتماعياً أن قوة دفاع السودان أصبحت تحتل مكانة كبيرة عند السودانيين ومثلت مظهراً للوحدة والقوة وأصبحت بانتصاراتها مصدراً لفخرهم واعتزازهم، وتولد من هذا الشعور الإجماع الذى حُظيت به القوات المسلحة السودانية فى كثير من الأوقات والمواقف، كما أصبح ضباط تلك القوة نجوماً للمجتمع تُنشد لهم الأغاني وتُضرب بشجاعتهم الأمثال.

وعلى صعيد العلاقة بين الشمال والجنوب ورغم ما جرى لاحقاً فى منتصف الخمسينات، فإن اشتراك السودان فى الحرب أدى لإبعاد المبشرين الإيطاليين المعروفين باسم "أباء فيرونا" من جنوب السودان، كما أصبح الجنوب آنذاك نتيجة للحرب أحد منافذ السودان الخارجية وصلت عبره القوات والإمدادات للحلفاء فى السودان ومصر.

على الصعيد الاقتصادي، كان تأثير الاشتراك فى الحرب كبيراً، كان الاقتصاد السوداني قبل الحرب بدائياً وبطيئاً فى النمو ولم تكن هناك بنيات أساسية تُذكر عدا خط السكة الحديد. أما بعد الحرب فكانت أولى النتائج أن سار السودان فى طريق

الاكتفاء الذاتي بقيام صناعات خفيفة بديلة للمستوردة التى منعت ظـروف الحـرب استيرادها فنشأت المنطقة الصناعية بالخرطوم بحري وبـدأت بمـصانع للـصابون والحلويات والزيوت والسجائر والصلصة والمـشروبات الغازيـة. وبحلـول العـام 1943م كان هناك مصنع لتعليب اللحوم بكوستي ومصنع للكبريت بمنطقة الأمـاتونج بجنوب السودان (76) .

وكان الأثر الاقتصادي الأهم هو قيام الصناعات الحربية، فبعد ضم النقل الميكـانيكي التابع لقوة دفاع السودان وقسم المهمات الحربية التابع للقوات البريطانية فى السودان وأصبحا معاً " الإمداد الحربي" بلغت القوة العاملة به 15 ألف عامل، مقارنة بمـائتين قبل الحرب، وتحولت معظم الـورش والمعامـل التابعـة لـلإدارات الحكوميـة (المخازن- الأشغال العامة- السكة الحديد- الري) للإسهام فى الجهد الحربي وإنتـاج لوازم الجنود ابتداءاً من السيارات المدرعة وانتهاءاً بالملابس، كمـا نجـح العمـال السودانيون فى صناعة وتعديل العديد من الإليات والمركبـات لتعمـل فـى الجهـد الحربي، كما تمكن عمال الإمداد الحربي من تعديل العديد من الأسلحة مثـل مـدفع البرن ووقع على كاهل هذه الإدارة تزويد كل جيوش الحلفاء التى وصلت للـسودان فى 1940م بالملابس والخيام والأثاثات والأدوات المكتبيـة، وبلغـت تكلفـة هـذه الاحتياجات فى عام 1940م وحده مليون جنيه أسـترليني – أي 2% مـن ميزانيـة السودان التى كانت تبلغ آنذاك 55 مليون جنيه أسترليني (77) .

وغدا الإمداد الحربي إدارة كاملة للتصنيع الحربي، كانت تقوم بصيانة كل المركبـات والأسلحة بما فيها الطائرات وعملت على صيانة حتى المركبات والأسلحة الإيطاليـة والألمانية التى استولت عليها قوات الحلفاء. وكان من صـنعها معظـم المركبـات المستخدمة فى حملة تحرير إريتريا، وأنتجت أيضاً صهاريج المياه المتنقلة وسيارات الإسعافات العسكرية، واستنبطت من شجر السنط صبغة لاسـتخدامها فـى التمويـه ومنها صبغة خاصة لتطلى بها الجمال المشتركة فى الحملـة. واسـتخدمت دائـرة الإمداد أثناء الحرب كميات مهولة من الأنسجة لصنع الخيام والأغطيّـة والملابـس وكانت تستهلك حمولة قطار كل أسبوع من الأخشاب الـواردة مـن النيـل الأزرق وجنوب السودان لصنع الأثاثات والمصنوعات الخشبية من أعمدة الهاتف والكهرباء، ودخلت مجال تصنيع الاحتياجات الحديدية الصغيرة بعد صهر مخلفات الحديد (78) وفى مجال البناء والتشييد، توسعت دائرة الأشغال السودانية لمواجهة بناء إحتياجـات معسكرات الجيش والأسرى والمستودعات ومدارج المطارات، إضافة إلـي توسـيع محطات السكة الحديد ومرابط ميناء بورتسودان، وأدى جهاز الخدمـة المدنيـة دوراً

مماثلاً بعد أن إنخفض العاملون به نتيجة لانضمام الكثير من الإداريين لقوة دفاع السودان، وأثبت السودانيون بالخدمة المدنية استعدادهم لقيادتها دون وصاية (79)

كما أدت ظروف الحرب واشتراك السودان فيها لإدخال محاصيل زراعية جديدة والإكثار من زراعة الخُضر، وصدر السودان فى إحدى سنين الحرب 240 ألف طن من البطاطس كما صدر فى أسبوع واحد لقوات الحلفاء بالشرق الأوسط 26 ألف رطل موز و70 ألف برتقالة (80) .

وأدت الحرب لتطور خطوط المواصلات خاصة السكة الحديد التى مُدت لتصل من الملوية إلي تسني فى "1941م"، ثم مُدت من ربك إلي الجبلين فى 1942م ثم من حلفا إلي فرس، وكان جزء كبير من عتاد ومؤن قيادة الحلفاء بالشرق الأوسط يأتي عبر السودان من موانى جنوب وشرق أفريقيا من الكونغو وتنزانيا، وكان هناك خط جوي من غرب أفريقيا إلي مطار الأبيض ومن هناك عبر السكة الحديد إلي القاهرة عبر الخرطوم، وتجاوزت الكميات التى نقلتها السكة الحديد فى عام 1941م مليون طن (81) .

ورغم ظروف الحرب وصعوبة خطوط المواصلات، لم تتأثر الصادرات السودانية بل أنها حققت عند انتهاء الحرب دخلاً بلغ فى عام 1945م أكثر من عشرة ملايين جنيه استرليني أي ضعف عائد الصادرات فى 1939م قبل اندلاع الحرب. وكان أهم الصادارت آنذاك: القطن والصمغ العربي والذرة والمواشي والجلود (82) .

وخلافاً لكل البلدان الأخرى التى اشتركت فى الحرب، لم تتأثر معيشة المواطنين كثيراً بسبب الحرب ولم تحدث ندرة كبيرة فى السلع، وكانت الزيادات فى الأسعار أقل بنسبة الثلث من دول أخرى مثل مصر وفلسطين بفضل سياسة حكومة السودان آنذاك والتي عملت على تخزين إحتياطي إستراتيجي من السلع المهمة قبل نشوب الحرب ونظمت توزيع السلع والمؤن طوال فترة الحرب واحتكرت استيراد العديد منها (83) .

ويقول تقرير الحاكم العام لسنة 1941م إن التصنيع المحلي تطور كثيراً واستغلت مصادر جديدة وازداد إنتاج المحاصيل وتوسع إنتاج الخضر والفاكهة والعلف لمواجهة المتطلبات العسكرية (84) .

وخلال عامي 1940 و1941م حقق السودان فائضاً فى الميزانية، حيث كانت إيرادات 1940م تبلغ 4.632.000 جنيه مصري والمنصرفات 4.463.000 جنيه مصري وفى 1941م حققت الميزانية فائضاً قدره 332.000 جنيه مصري حيث كانت الإيرادات : 5.379.000 جنيه مصري والمنصرفات: 5.047.000 جنيه

مصري، وعلى الرغم من أن السودان كان يتحمل تكاليف الحرب كافة على أرضه ومنصرفات قوة دفاع السودان من مركبات وتسليح وإنشاء للمعسكرات والمطارات وزيادة الصرف العسكري على المجندين والمتطوعين، كما أنه كان يتبرع خلال سني الحرب بهدية حرب لكل من بريطانيا والهند قيمة كل منهما 100 ألف جنيه مصري سنوياً (85) .

سياسياً، كان الأثر الأكبر لإشتراك السودان فى الحرب هو بداية تبلور الشعور القومي وتحول مؤتمر الخريجين إلي العمل السياسي الصريح ومطالبته بإعطاء السودان حق تقرير المصير، وقد اعترف الحاكم العام بضرورة إعطاء السودان نصيباً من وعود الحلفاء أثناء الحرب وقال فى رسالة إلي وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ 12/مايو 1942م " إن الدور الناجح والنشط الذى لعبته قوة دفاع السودان والخدمات السودانية الإضافية – عسكرية- ومدنية فى الحملة ضد الإيطاليين فى شرق أفريقيا والتوسع الكبير لقوة دفاع السودان فى مصالح أمبريالية أخرى كإريتريا قد عجلت بالتوقعات المتنامية أصلاً للمتعلمين عن نصيب السودان من ميثاق الأطلسي (86) .

واعتبرت رسالة مؤتمر الخريجين بتاريخ 3/أبريل 1942م أول مطالبة بحق تقرير المصير (87) وشكل الخلاف حول التعامل مع رد الحاكم العام عليها بداية الانقسام وسط عضوية المؤتمر وظهور التيارات السياسية التى تحولت لاحقاً لأحزاب سياسية(88).

ونبعت الرسالة عن الوعود التى تضمنها ميثاق الأطلسي الذى أعلنه الحلفاء فى أغسطس 1941م والذى كفل للشعوب حق تقرير المصير، ونتيجة لمشاركة السودان فى الحرب وما بذله جنوده فى المعارك، بدأت الإدارة البريطانية تميل إلي تقديم بعض التنازلات التى بدأتها بالحكم المحلي ثم صدور قانون مجالس المديريات وزادت فرص السودانيين فى شغل الوظائف الكبيرة. وتواصلت مسيرة مؤتمر الخريجين ثم الأحزاب التى نشأت منه بعد ذلك حتى تكللت بتقرير المصير فى 1953م.

(6) الآثار الخارجية لاشتراك السودان فى الحرب :-

كان أول الآثار الخارجية للحرب معاهدة 1936م حيث اضطر البريطانيون لتقديم تنازلات للمصريين بشأن السودان فأعيد جزء من الجيش المصري للسودان وتركت المعاهدة آثارها على التيارات السودانية آنذاك، وكان الأثر الثانى المهم هو الاتصال

الذى وفرته الحرب للسودانيين، فقد كانت على أراضي السودان آنذاك قوات من ثلاث عشرة دولة أوروبية وأفريقية وآسيوية (89) ، كما اختلط ضباط وجنود قوة دفاع السودان بالعديد من الأجناس خلال مشاركتهم فى الحرب بشمال أفريقيا وشرقها، وكان الأثر المباشر والأقوى هو الربط بين السودان وكل من إثيوبيا وإرتريا. فقد احتضن السودان والسودانيون المقاومة الإثيوبية ووفروا لها قاعدة الدعم وشاركوا بفعالية فى نصرة قضيتهم وكان لهذا الموقف آثر فى مستقبل البلدين، ويكفى أن نشير إلي أن كل قادة الحكم خلال فترة حكم الرئيس إبراهيم عبود كانوا من ضباط قوة دفاع السودان الذين اشتركوا فى الحرب بإرتريا وإثيوبيا وخلق لهم ذلك علاقة وثيقة وعاطفية مع الإمبراطور هيلاسلاسي، وبالمقابل كان معظم المسؤولين وكبار الزعماء فى إثيوبيا بعد الحرب ممن أقاموا فى السودان إبان فترة الاحتلال الإيطالي، وقد عبر الإمبراطور عن هذه العلاقة عند زيارته للسودان فى 1959م عندما خاطب ضباط الجيش السوداني خلال احتفال بنادي الضباط قائلاً " أتاحت لنا ظروف الحرب العالمية الثانية أن نحارب فى ميدان واحد بل وفى صف واحد مع الضباط السودانيين الذين ترونهم الآن فى رتبهم العالية ومع من استشهدوا منهم فى سبيل الواجب، ونعرف أن العالم اشاد بما قام به السودانيون من أعمال البطولة والشجاعة، ولا يمكنني أن أغفل ذكر هذه الحقائق وقد أتيحت لنا هذه الفرصة النادرة للقائكم وهى حقائق سجلها التاريخ بمداد من نور (90) .

وبعد إنتهاء الحرب بقى الكثير من الجنود السودانيين فى إريتريا وإثيوبيا وتزوجوا هناك وأصبحوا يشكلون جالية معتبرة، كما أن آخرين تزوجوا من هناك وعادوا بزوجاتهم إلي السودان، وفى الحالين مثلت الحرب سانحة لزيادة توثيق العلاقات الشعبية أيضاً، وبعد الاحتلال البريطاني لإريتريا فى أعقاب الحرب زادت الاتصالات والسفر بين السودان وإريتريا التى أصبحت تدار سياسياً وعسكرياً من السودان، وأستعانت بريطانيا أثناء إدارتها لإريتريا بإداريين ومعلمين سودانيين، وكانت قوة دفاع السودان هى الجيش الوحيد بإريتريا فى فترة مابعد الحرب، وعُين الكثير من السودانيين فى قوات الشرطة هناك، وكان لظروف الحرب وما تولد عنها أثر كبير فى اتجاه البريطانيين لتقسيم إريتريا آنذاك بضم المرتفعات إلي إثيوبيا والمنخفضات إلي السودان (91) .

وقبل كل هذا وبعده، فإن أعظم آثار مشاركة السودان فى الحرب هى نجاحه فى صد هجوم الإيطاليين ومن ثم دحرهم في أفريقيا ولو قدر للإيطاليين بقوتهم الكبيرة والمجهزة آنذاك إجتياح السودان لإنقلبت موازين ومجريات الحرب العالمية الثانية كافة ولكان مستقبل العالم قد تغير، وقد كان البريطانيون مدركين لهذا الخطر

ولإنجاز قوة دفاع السودان ومن خلفها الشعب السوداني أثناء الحرب بشرق أفريقيا. وقد جاء بالتقرير البريطاني الرسمي عن تاريخ الحرب" لو سقط السودان الإنجليزي المصري لضاعت بسقوطه خطوط إمدادنا عبر البحر الأحمر وكذلك عبر القارة الافريقية من تاكورادي "غرب إفريقيا" إلي الخرطوم ولإستحال الدفاع عن مصر، ولما قامت في الواقع جبهة للقتال في الشرق الأوسط، ولو سقط السودان لتمزق نصر الإمبراطورية على أيدي جيوش جرازياني الزاحفة من ليبيا والقوات الإيطالية الزاحفة من شرق أفريقيا (92) .

وجاء في التقرير أيضاً عن كتيبة الحدود السودانية " لقد علم سلاح الحدود السوداني الجيش البريطاني دروساً جديدة في حرب العصابات (93) ،ويعترف الجنرال بلات بدور كتيبة الحدود ومساعدتها له خلال تقدمه نحو كرن فيقول " لم تكن ثمة فرصة للانتصار في إريتريا لولا اضطرار الإيطاليين للاحتفاظ بجانب كبير جداً من قواتهم وأسلحتهم في قوجام للدفاع عن معاقلهم ومستوطناتهم هناك بدلاً من تحويلها لتعزيز إمكانياتهم الدفاعية في كرن وغيرها (94) . ولعل أكبر أثر خارجي لاشتراك السودان في الحرب هو قبور أكثر من مائتي شهيد من قوة دفاع السودان باريتريا وإثيوبيا سقطوا أثناء الحرب (95) .

وغني عن القول أو أوضح أثر لمشاركة قوة دفاع السودان، حرب شرق إفريقيا والدور البطولي الذى قامت به، هو إصرار دول الحلفاء والبريطانيين خاصة على مشاركة قوات سودانية في حرب الصحراء الغربية بليبيا. وأخيراً فإن المراقب والمتابع يدرك أن الجهد الكبير الذى بذله جميع السودانيين والتضحيات التى قدموها والنجاح الذى حققته قوة دفاع السودان في تحرير إثيوبيا وإرتريا من الإيطاليين وإرجاع الإمبراطور، كل هذا طمس وتمت التغطية عليه عن عمد، فحين تُذكر القوات التى اشتركت في حرب التحرير لا تذكر قوة دفاع السودان وإنما يكتفى بذكر القوات البريطانية، ورغم أن السودان كان مستعمراً ويدار من قبل بريطانيا إلا أن حكومة السودان آنذاك كانت لها شخصية إعتبارية، ويكفى أن السودان تكفل بنفقات الحرب داخل حدوده كافة، وساهم بجزء كبير من نفقات القوات الأخرى التى وصلت إلي أراضيه وتحركت منها نحو إريتريا وإثيوبيا(96) ، كما تحمل السودانيون نفقات مشاركة قواتهم خارج أرضهم وجاد بأرواح مائتين من أبنائهم باريتريا وإثيوبيا.

والأهم من ذلك وخلافاً لكل الشعوب التى اشترك جنود منها فى حرب إفريقيا الشرقية، التأييد والحماس الذى أبداه كل السودانيين للمشاركة فى الحرب بأنفسهم وأموالهم، والتعاطف والتناصر الذى أظهروه، والدور الكبير الذى نهض به مثقفوهم عبر كيانهم – مؤتمر الخريجين– فى دعم اللاجئين الإثيوبيين مادياً واحتضانهم لقضيتهم ودعمهم المعنوي لها خصوصاً بعد حضور الإمبراطور هيلاسلاسي للسودان.

وكان الدور الأبرز فى التغطية على دور السودان وتضحياته قد قام به إليهود القادمون من فلسطين والضباط البريطانيين الذين فاقوهم فى تشرب مبادي وسلوك الصهيونية فترة صراعها مع العرب بفلسطين (97) ، والذين قادوا عصابات الصهيونيين ضد العرب هناك قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، وكان أبرز هؤلاء الميجور أوردي وينجيت الذي سعى هو ومجموعة إليهود الذين استقدمهم من فلسطين لبذر بذور الفرقة والبغضاء بين الجنود السودانيين ورجال المقاومة الإثيوبية (98).

وبلا شك إن التخطيط الصهيوني والإنتباه لإثيوبيا قد تجذر آنذاك وظهر لاحقاً فى محاولة عزل إثيوبيا عن جيرانها العرب والمسلمين وارتباطها التاريخي بهم واستغلالها لخدمة سياستهم بشأن جنوب السودان، كما مثّل وجود إليهود الفلاشا بغرب إثيوبيا قريباً من السودان عاملاً آخر فى النيات والمخططات الصهيونية التى بدأت منذ ذلك الحين وهو ما ظهر لاحقاً فى فترة الصراع العربي الإسرائيلي وعند ترحيل إليهود الفلاشا لإسرائيل. إضافة إلي ذلك فإن حرب تحرير إثيوبيا وحملة إرجاع الإمبراطور المنطلقة من السودان، أعادتا السودان للذهن الصهيوني بواسطة مجموعة إليهود الذين اشتركوا فى الحملة ورجعوا إلي فلسطين.

مراجع الفصل الرابع

1. محمد عثمان أحمد ، مرجع سابق، ص 27 وما بعدها .
2. المرجع نفسه، ص 35 .
3. المرجع نفسه، ص 39 .
4. المرجع نفسه، ص 43.
5. العقيد/هيوباوستيد ولد فى جزيرة سرنديب بسرلانكا عام 1895م من أسرة بريطانية مرموقة وإشترك فى الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب درس اللغة الروسية بجامعة أكسفورد والتحق بقوة دفاع السودان عند تكوينها فى عام 1924م برتبة البكباشي "عقيد" وعمل بالهجانة فى الأبيض وأصبح قائداً لها فى 1931م ثم عاد لبريطانيا ورجع للسودان حيث عُين مفتشاً لمركز زالنجي وبقي به لتسع سنوات إرتبط خلالها بعلاقة وثيقة مع رجال الإدارة الأهلية خاصة من قبيلة الفور. رعى حينها أحد أبناء العمد عندما كان طفلاً وهو أحمد إبراهيم دريج وتنبأ له بأن يصبح وزيراً فى المستقبل. وعند قيام الحرب طلب من باو ستيد العودة للخدمة العسكرية وتولى قيادة قوة مستقلة متنقلة للقتال فى إثيوبيا وإدخال الإمبراطور هيلاسلاسي إلي هناك. وعمل باوستيد بعد تقاعده عن الخدمة بالسودان فى 1949م بكل من حضرموت وسلطنة عمان وأبو ظبي وقضى أخر سنين حياته فى ضيافة الشيخ زايد أبن نهيان حتى توفى فى1980م. راجع: محمد خير البدوي، مرجع سابق ص 219 و 201 .
6. محمد الخير البدوي، مرجع سابق، ص 201
7. المرجع نفسه، ص 52 .
8. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 53 .
9. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 58 .
10. Haileselassies1, My Life and Ethiopia's Progress,Volume2,OP.cit.P.100
11. Ibid, P.101
12. Anthony Mockler, OP.cit, P.226
13. Ibid, OP.cit, P 227

14. محمد خير البدوى ، مرجع سابق، ص 108 .
15. المرجع نفسه، ص 109 .
16. Haileselassies1, My Life and Ethiopia's Progress,Volume2,OP.cit,..P..P.109 -110
17. Anthony Mockler, OP.cit, P. 284
18. عبد الرحمن المهدي، مرجع سابق، ص 51.
19. Daniel Kendie,Ph.D., (Egypt and The Hydro-Politics of The Blue Nile River) –Part11,Addis Tribune,Adiss Ababa,13-8-1999.
20. مجلة الفجر، الخرطوم، عدد 155 أغسطس 1940م
21. مقابلة مع أحمد شرف، مصدر سابق.
22. Haileselassies1, My Life and Ethiopian's Progress,Volume2,OP.cit,.P.119
23. محمد خير البدوي ، مرجع سابق، ص 109 .
24. أوردى وينجت، ولد فى 26/فبراير 1903م من أسرة عسكرية عريقة منهـا أبن عم والده السير ريجينالد وينجت – حاكم عـام الـسودان بـين 1900 و1916م، ومؤسس الخدمة المدنية فيـه، وسـردار الجـيش المـصري " مسؤول المخابرات" قبل الاحتلال الإنجليزي- وأصـبح أوردى وينجـت ضابط مدفعية وقاد أحد أورطة العرب الشرقية بالقـضارف فـى نهايـة العشرينات عندما كان برتبة النقيب ملحقاً بقوة دفـاع الـسودان – وخـدم منتصف الثلاثينات بفلسطين وصار صهيونياً متحمساً ونشط ،قاد عصابات الصهاينة فى غارات انتقامية ضد العرب وحظي بإعجـاب قـادتهم مثـل وايزمان الذي سماه " المجنون المفضل" وموشى ديان الذى عمل معه وقال عنه أنه كان مؤمناً بإقامة كيان للإسـرائليين بفلـسطين، وجـاء بتقريـر الضابط المسؤول عنه عندما أعيد لبريطانيا "أوردى تـشارلس وينجـت، ضابط جيد، لكن عندما يتعلق الأمر بفلسطين فأنه مجازفة أمنية لا يمكـن الوثوق به، أنه يضع مصالح إليهود قبل مصالح وطنه، يجب أن لا يُـسمح له بالعمل فى فلسطين مرة أخـرى" Anthony Mockler, OP.cit, P. 280
25. Ibid. P.283

26. Ibid. P.283
27. Ibid. P.289
28. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 208 .
29. Anthony Mockler, OP.cit, ,P. 293
30. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 206 .
31. أنظر خطاب الإمبراطور، ملحق رقم (3) .
32. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 89 .
33. المرجع نفسه، ص 92 .
34. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 93 .
35. راجع الخريطة رقم (7) .
36. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 144 .
37. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 151 .
38. المرجع نفسه، ص 153 .
39. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 102.
40. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق ، ص 104
41. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 156 .
42. المرجع نفسه، ص 157 .
43. إنتشرت آنذاك الأغاني التى تمجد دور قوة دفاع السودان بكرن ومنها أغنية عن رجال المدفعية مطلعها " الحارس مالنا ودمنا.. أريـد جيـشنا جـيش الهنا..جيوش السودان إنبرن..في ثانية دخلن كـرن وجـاء فـى أخـرى: ضبابطنا يالبحارى مقدام على الأخطار يوم الهجوم النارى طارى أم شـلخاً مجارى – المرجع نفسه، ص (6)
44. محمد خير البدوى، مرجع سابق ، ص 164 .
45. المرجع نفسه، ص 165 .
46. المرجع نفسه، ص 166 .
47. المرجع نفسه، ص 168 .
48. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 170 .
49. إنتشرت فى تلك الفترة أغنية : يجو عائدين..الدخلوا كرن بينيين، كما لحنت قصيدة زينب بشير نصر فى بطولات أخيها الملازم حسن بشير نصر والتى

يقول مطلعها: كشاف للجيوش بوداعة الله...يسلم لى حسن مـن غـارة مـا ضل، المرجع نفسه ، ص 166 .

50. المرجع نفسه ، ص 172 .
51. المرجع نفسه، ص 184 .
52. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 109 .
53. Anthony Mockler, OP.cit, P. 297
54. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 195 .
55. المرجع نفسه، ص 208 .
56. راجع الخريطة رقم (8)
57. راجع الخريطة رقم(9)
58. Anthony Mockler,OP.cit,P.338
59. Ibid,. P. 340
60. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 116.
61. Anthony Mockler, OP.cit ,P. 350
62. Ibid, P. 350
63. Ibid, P 354
64. Ibid, P. 255
65. Ibid ,P. 256
66. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 214 .
67. Anthony Mockler, OP.cit, P. 259
68. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 117 .
69. Anthony Mockler, OP.cit ,P. 373
70. Ibid, P. 379
71. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 216 .
72. زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا – مكتبة الأنجلو المصرية – القـاهرة–1966م ،ص 161.
73. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 216 .
74. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 183 .

75. محمد صالح عثمان صالح، الوثائق البريطانية عن السودان – مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان ، السودان 2002م، مج/1، تقرير الحاكم العام لسنة 1940م، ص 58
76. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 16.
77. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 253.
78. المرجع نفسه، ص 255.
79. المرجع نفسه، ص 256 .
80. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 162.
81. المرجع نفسه، ص 165 .
82. المرجع نفسه، ص 170.
83. محمد خير البدوي، مرجع سابق، ص 251.
84. محمد صالح عثمان صالح، مرجع سابق، ص 87.
85. المرجع نفسه.
86. المرجع نفسه ، ص 73.
87. راجع نص الرسالة، الملحق رقم (4).
88. إسماعيل العتباني، شهادتي للتاريخ، الخرطوم، 2005م، ص 37.
89. القوات التى حضرت للسودان وإنطلقت منه نحو جبهات الحرب كانت من ساحل الذهب "المغرب"، نيجيريا،جنوب أفريقيا،الكونغو، شاد، بريطانيا،فرنسا،الولايات المتحدة الأمريكية،قبرص، متطوعين من نيوزلندا وأستراليا، ضباط بلجيكيين ، الهند، قوات خاصة من فلسطين(عرب يهود) – محمد عثمان أحمد، مرجع سابق.، ص 123
90. محمد خير البدوي، مرجع سابق، ص 217.
91. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 152.
92. محمد خير البدوى، مرجع سابق، ص 37 .
93. المرجع نفسه، ص 207.
94. المرجع نفسه، ص 219 .
95. محمد عثمان أحمد، مرجع سابق، ص 122 .
96. راجع تقرير موازنة العام 1941م – الوثائق البريطانية عن السودان، مرجع سابق، ص 69 وما بعدها

97. Anthony Mockler, OP. cit, P. 281

98. محمد خير البدوي، مرجع سابق، ص 35، 37، 204، 207، 209، 210، 217.

الفـــصل الخامس

آثار حرب التحرير على مستقبل إثيوبيا وعلاقتها بالسودان

(1) الآثار الداخليـــــــــة.

(2) العلاقة مع السودان بعد التحرير.

(3) إثيوبيا والحرب الباردة.

(1) الآثار الداخليـــــــــة.

(أ) الوضع السياسي والاقتصادي بعد التحرير:

مثل الغزو الإيطالي لإثيوبيا مرحلة فارقة فى تاريخها الحديث، وتركت فترة المنفـــى والمقاومة وحرب التحرير تأثيرات عميقة على شخصية الإمبراطور وسلوكه خـــلال فترة ما بعد التحرير 1941م وحتى نهاية نظامه فى 1974م. وكانت أبـــرز ملامـــح هذا التأثير أن أصبح الاحتفاظ بالسلطة هدفه الأوحد، فأكثر من إنشاء أجهزة الأمـــن والرصد، وأحاط نفسه بطبقة من السياسيين تدين له بالولاء الشخصي، وأبعد كل من لديه قدرات علي منافسته أو معارضته، واتبع سياسة تقوم علـــى تقديـــسه وتظهـــره بمظهر الرجل الخارق للطبيعة وغير القابل للتعويض أو التبديل، حتى أصـــبح هـــو وإثيوبيا شيئاً واحداً.(1)
واستمر العمل بعد التحرير بدستور 1931م، ولم تكن للمؤسسات التى شُكلت بموجب الدستور مثل مجلس النواب والشيوخ ومجلس الوزراء ومجلس التاج، سلطة حقيقيـــة، وواصل الإمبراطور إبراز شخصيات ذات خلفيات متواضعة أو مغمورة ليوازن بهم طبقة النبلاء بالوراثة، وكانت كل سلطات التعيين والعزل بيده، ولم يغير من الوضـــع شئياً تعيين رأس بيتوداد – موكنن آندكاشو رئيساً للوزراء والذى استمر فى منـــصبه من 1943 حتى 1957م.(2)
ونتيجة للتغير الاقتصادي الذى حدث ببط، وقيام مجمعات صناعية، وظهور اتحادات العمال، إضافة للتوسع فى التعليم داخلياً ومن خلال البعثات للدول الأوروبية، بـــدأت فئات جديدة تظهر على المسرح السياسي قوامها اتحادات الطلاب ونقابـــات العمـــال، ومتأثرة بالأوضاع العالمية والاقليمية، خصوصاً مع اشتداد الحـــرب البـــاردة بـــين المعسكرين الشرقي والغربي، وبالأوضاع الاقتصادية والسياسية الداخليـــة، اتخـــذت هذه الفئات منحى المعارضة. ومنذ مطلع الستينيات بدأت مظاهرات الطلاب – الذين وصل عددهم فى نهاية الستينيات إلي 700 ألف طالب – تخرج سنوياً إلي الـــشارع خاصة أن الفاقد التعليمي بعد المرحلة الابتدائية كان يـــصل إلـــي 70% مـــن عـــدد الطلاب.(3) وتزايدت حركة المعارضة ببداية لجوء نقابات العمـــال – الـــذين بلـــغ عددهم نهاية الخمسينيات 50 ألف عامل – للإضراب عن العمل احتجاجاً على تدني الأجور.

ولم يكن للدستور الجديد الذى وُضع فى 1955م دور يُـذكر علـى الوضـع السياسي بإثيوبيا، رغم أنه أعطى للراشدين حق انتخاب مجلس النواب الذى يُنتخـب أعضاؤه دون وجود أحزاب سياسية، فقـد احـتفظ الإمبراطـور بجميـع سـلطاته وامتيازاته لدرجة أن ثلث مواد الدستور كانت عن سلطات الإمبراطور وتنظيم وراثة العرش، وظلت الحقوق الأساسية وضمان الحريات غائبة عنه كما كانت غائبة عـن دستور 1931م (4)

إضافة إلي أن دستور 1955م أضفى صفة القداسة على رئيس الدولة إذ جاء بـه " بحكم الدم الإمبراطوري الذى يجري فى عروقـه فـشخص الإمبراطـور مقـدس، ومنزلته السامية لا يجوز انتهاكها، وسلطاته لا تقبل الجدل".

عامل آخر أجج من حركة المعارضة – التى كانت تفتقد للتنظيم والواجهة الـسياسية والديمومة – هو الثورات الإقليمية المتوالية والتى كان منشأها فـى الغالـب الظلـم الواقع على فلاحي الأرض بتلك الأقاليم.

واشتعلت جذوة المعارضة بدخول أفراد المؤسسة العسكرية لحلبة النشاط الـسياسي، متأثرين بمواجهتهم لثوار إريتريا والأوغادين، وبدأت المتاعب الحقيقية للإمبراطـور بتفاعل كل ما سبق. وكانت نهاية نظامه فى 1974م نتيجة طبيعية لعـدم اسـتيعاب النظام لقوى التغيير التى أنشأها وأطلقها.

ويربط بعض المؤرخين بين المعارضة التى أنهت نظام هيلاسلاسي وبـين حركـة المقاومة ضد الغزو الايطالي، خصوصاً لجهة تقريب الإمبراطور للمنفيين الـسابقين معه وزعماء المليشيات التى تعاونت مع الإيطاليين – الباندا– على حساب المقاومين الوطنيين بالداخل أمثال ليج/ بلاى زلكا، وبيتوداد/ نقاش بازيا، وبلاتا/ تكـلا ولـدي هواريت الذين كانوا من رموز المقاومة بالداخل وقادوا بعد التحرير عدة مـؤامرات وحاولوا تدبير انقلاب على الإمبراطور (5) .

اقتصادياً، استهدفت السياسة المتبعة بعد التحريـر توسـيع قاعـدة الـولاء للإمبراطور عبر توزيع الأراضي الزراعية المستصلحة لفئـات المنفيـين الـسابقين والجنود، وموظفي الخدمة المدنية، وبعض المقاومين الوطنيين أثناء فترة الاحـتلال، ورغم الشكوى المستمرة للفلاحين من سياسات توزيع الأراضي وفرض الـضرائب العالية عليها، إلا أن المنتوجات الزراعية كانت أساس الاقتصاد، وشـكل محـصول البن ما بين 50% – 60% من اجمالي الصادرات، تليه الجلود والحبـوب الزيتيـة، وكان إسهام الصناعة والتجارة هامشياً لحد كبير، حيث لم يتجاوز 10% من الـدخل

القومي (6) وكانت 40% من تجارة إثيوبيا بعد التحرير مـع الولايـات المتحـدة الأمريكية التى كانت تشتري 70% من صادر البن الإثيـوبي، واحتلـت الولايـات المتحدة المركز الثالث فى قائمة الدول المصدرة بإثيوبيا بعد إيطاليا وإليابان. وظلـت الجمارك على الواردات مصدراً مهماً للخزينة الحكومية، حيث وصلت عائداتها إلـي 25% وأدخلت فى العام 1944م 650 ألفاً من الجنيهات الاسترلينية من جملة الدخل الحكومى الذى بلغ آنذاك 2.843.6 جنيه إسترليني (7).

بدأت الصناعة بمصانع النسيج والمشروبات الغازية والكحولية، ولكن الطفرة الكبرى فى هذا القطاع جاءت مع صناعة السكر، وفى نهاية الستينيات كانـت هنـاك ثلاثـة مجمعات بكل من أديس أبابا وديرى داوا وأسمرا التى تطورت صناعياً تحت الحكـم الإيطالي، وتوسعت معها حركة الصادرات والواردات حتـى بلـغ عـدد الخطـوط الملاحية بين أوروبا ومينائي مصوع وعصب 16 خطاً ملاحياً يخدم بهـا إسـطول يصل إلي 75 سفينة تجارية إيطالية تقوم بحوالي 274 رحلة سنوياً (8) .

وبنظرة عامة، كان للعامل الاقتصادي دور فى انهاء نظام الإمبراطور ربمـا يفـوق الدور السياسي، فثورات واحتجاجات الفلاحين المستمرة ضد نظـام توزيـع الأرض وفرض الضرائب على المنتجات الزراعية، عمت الأقاليم كافة ابتـداءً مـن ثـورة فلاحي اقليم (التقراي) فى عام 1943م– والتى عُرفت بثـورة (ويـاني) مـروراً ب (بالي) 1963م و (قوجام) 1968م، وياجو فى (والو) ثم (سيدامو) و(جيـرو). وأدت السياسات الخاطئة فى مجال الأراضي والزراعة، زيادة علـى الظـروف الطبيعيـة والمجاعة المشهورة بإقليمي (والو) و (التقراي) عام 1972 – 1973 مـع عوامـل أخرى لنهاية النظام فى 1974م.(9)

(ب) المؤسسة العسكرية – من المقـاومة إلي الحكـم:

اهتم الإمبراطور هيلاسلاسي بتكوين الجيش والبوليس وقوى الأمن بعـد التحريـر، لتفادي مساوي وآثار الهزيمة التى لحقت به من الإيطاليين، فعمـد لجعـل الجـيش مؤسسة نظامية مركزية موحدة وموالية له.وشكلت النخبة العسكرية التى برزت إبان حرب التحرير الجزء الأكبر والأساسي لطبقة الرتب العليا بالجيش. وعُـين معظـم جنود وضباط الحرس الإمبراطوري من بين كتائب المقاومين الاثيوبيين الذين تدربوا بكلية (سوبا) العسكرية جنوب الخرطوم وصحبوا الإمبراطور ضمن قوة (قيدون). (10)

التكوين الإجتماعي للجيش كان ينقسم إلي ثلاث طبقات : كبار الضباط وينحدر أغلبيتهم من الأسر المرموقة لقومية الأمهرا خاصة أمهرا إقليم (شوا) مركز البيت الإمبراطوري الحاكم، والطبقة الثانية هم ضباط الرتب الصغرى وكان بعضهم ينحدر من الأسر الكبيرة وبرجوازية القوميات والأقاليم الأخرى الذين تخرجوا من الكليات العسكرية ابتداءً من مطلع الستينات، أما الطبقة الثالثة وهم ضباط الصف والجنود، فكان أغلبهم من أبناء الفلاحين وفقراء القوميات المهمشة خاصة (الأرومو). (11)

وأسس الحرس الإمبراطوري ليكون قوة مسيطرة على الواحدات العسكرية كافة، وكان يشكل فرقة كاملة من فرق الجيش الأربع، حيث توزعت الفرق الثلاث الأخرى بكل من إريتريا فى الشمال والأوغادين فى الشرق وبالي فى الجنوب. (12)

وظلت ميزانية الجيش والبوليس والأمن تشكل حوالي 30% من ميزانية الحكومة، حيث تدرجت من 11 مليون دولار فى عام 1945م عندما كانت ميزانية الحكومة 38 مليون دولار، لتصل إلي 51 مليون دولار أمريكي (13) .

أول تهديد رئيس للنظام جاء من المؤسسة العسكرية عندما قاد العميد منقستو نواي القائد الثاني للحرس الإمبراطوري حركة إنقلابية فجر الثلاثاء 13/ديسمبر 1960م عندما كان الإمبراطور فى زيارة للبرازيل، وقتل خلال المحاولة عدد كبير من كبار الضباط والمسؤولين قبل أن يستعيد مؤيدو الإمبراطور السيطرة على الوضع صباح السبت 17/ديسمبر ويصل الإمبراطور لغاصمته بعد أن توقف بالخرطوم واسمرا. فتحت المحاولة الإنقلابية فى 1960م رياح التغيير الذى تأخر حتى 1974م عندما أطاح المجلس العسكري الإداري المؤقت (الدرق) بالنظام.

(ج) السلام المفقود فى إريتريا وأوغادين:

منذ عهد الإمبراطور تيودورس (1855 –1867م) ظل الحصول علّى منفذ بحري محط اهتمام وسعى كل الحكام الإثيوبيين، وحول هذا الهدف دار التاريخ الإثيوبي الحديث، ففي إريتريا التى بسط البريطانيون سلطتهم عليها بعد تحريرها من الإيطاليين، تشكلت الأحزاب السياسية على أساس أثني وديني، حيث كون المسيحيون التغراي حزب الوحدة وإنضم قليل من المسيحيين الخائفين من هيمنة الأمهرا للرابطة الإسلامية وكونوا كتلة الاستقلال (14) .

وكان للوضع السياسي الشاذ بين إثيوبيا الإمبراطورية وإريتريا ذات الحياة السياسية التعدديه، أثر كبير فى تحقيق الحلم الإثيوبي بضم إريتريا بعد سلسلة طويلة من الإجراءات والقرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة.

فى البداية رفض البريطانيون مطلب الإمبراطور بإعادة الإقليم له، وفى فترة لاحقة حاولوا مقايضة إريتريا بالأوغادين، وأخيراً طرحوا مشروع تقسيم الإقليم بضم المنخفضات الغربية للسودان والمرتفعات لإثيوبيا (15)، وفى 1950م فضلت أغلبية الدول بالأمم المتحدة خيار الإتحاد الفيدرالي لإريتريا مع إثيوبيا، على أن تمنح إريتريا دستوراً وبرلماناً وحكومة، وأن تكون الشؤون الخارجية والدفاع والمالية من مهام الحكومة الاتحادية، وأظهرت الانتخابات الأولى التى أجريت قبل انسحاب البريطانيين، التوازن الموجود بين الأحزاب المسلمة والمسيحية، ولكن بمجرد أن تحولت الإدارة للإمبراطور، فرض أنصار الوحدة نفوذهم، ولجأ الاستقلاليون للمنفى، وفى الانتخابات اللاحقة 1956م حُرم كثير من مؤيدى كتلة الاستقلال من الترشح، وألغى العلم الاريتري فى 1958م، وفى 1960م عدل البرلمان – الذى أصبح يهيمن عليه أنصار الوحدة – مسمى " الحكومة الإريترية" إلي " الإدارة الإريترية". وفى 1962م صوت البرلمان الإريترى على إلغاء الوضع الفيدرالي وحلّ نفسه (16) .

وأدت هذه التطورات لميلاد حركة تحرير إريتريا فى 1958م ثم جبهة تحرير إريتريا فى 1960م، والتى نظمت المقاومة المسلحة في غرب إريتريا وعلى الساحل ضد الإثيوبيين، وتزايدت حدة العمليات العسكرية وحقق الثوار الإريتريون نجاحاً ملحوظاً فى تحرير مناطق الريف وشل قدرة الجيش الإثيوبي.

أما إقليم الأوغادين فى شرق إثيوبيا، فقد أصر البريطانيون على الاحتفاظ به، ولكنهم رضخوا فى 1948م وأعادوا للإمبراطور جزءاً منه ولم يكتمل انسحابهم النهائي من الإقليم إلا فى 1954م، وبعد أن نال الصومال إستقلاله فى 1960م، ظهرت حركات المعارضة المسلحة المطالبة باستقلال الصومال الغربي "الأوغادين" من إثيوبيا، وكانت أبرز هذه الحركات حركة تحرير الصومال الغربي والجبهة الوطنية لتحرير الأوغادين واللتان بدأتا عملياتهما العسكرية فى العام 1963م، ليتطور الوضع هناك لنزاع وحرب بين إثيوبيا والصومال فى العام 1964م.(17)

(2) العلاقة مع السودان بعد التحرير.

(أ) النخبة السياسية الإثيوبية والسودان:-

يمكن تقسيم النخبة السياسية الإثيوبية فى فترة ما بعد التحرير وعلاقاتها بالسودان إلي ثلاث مجموعات:-

- المجموعة الأولى: اللاجئون والمقاومون الذين تدربوا وانطلقوا من السودان ضمن حملة التحرير "قوة قيدون".
- المجموعة الثانية: المقاومون بالداخل واللاجئون بالبلدان الأخرى.
- المجموعة الثالثة: الإثيوبيون الذين عاشوا بالسودان وعادوا مع الإمبراطور عند التحرير.

لقد أدى الغزو الإيطالي لإثيوبيا لتدفق مجموعات كبيرة من الإثيوبيين للسودان، ساعد فى ذلك سهولة الوصول عبر الحدود الغربية التى كانت جزءاً من مركز المقاومة الرئيسي فى إقليمي قوجام وقندر، وأيضاً التعاطف والتأييد الذى أظهره السودانيون للمقاومة الإثيوبية (18) .

وكان على رأس هؤلاء مجموعة من السياسيين والعسكريين الذين أدوا أدواراً كبيرة فى الحياة السياسية بإثيوبيا بعد التحرير، نذكر منهم على سبيل المثال ليج/مرئيد منقشا الذى كان مسؤول ديوان الإمبراطور لمدة ست سنوات بعد التحرير وكان حاكماً لديري داوا ثم قندر وأصبح وزيراً للدفاع بين 1958 – 1966م (19)، والرأس /اسرات كاسا، أحد رموز البيت الإمبراطورى بعد التحرير، الذى لجأ للسودان وتدرب بكلية سوبا للاجئين وأصبح من أقوى المسؤولين بإثيوبيا خلال عقدي الخمسينيات والستينيات (20) ، ولورنزو تيزاز، الذى كان مندوباً لإثيوبيا خلال فترة الحرب بعصبة الأمم، ومرافقاً للإمبراطور خلال المنفى، حيث أوفده إلي السودان مرتين وعبر الحدود لغرب إثيوبيا، ومثل حلقة وصل بين المقاومين بإثيوبيا والسودان والإمبراطور، وتولى بعد التحرير وزارة الخارجية ثم رئاسة مجلس النواب.(21)

وانضم كل قادة ورموز المجموعة الثانية وهم المنفيون بالخارج للإمبراطور هيلاسلاسي بعد حضوره للخرطوم فى يوليو 1940م وكان بعضهم لاجئاً بالقدس مثل الرأس/ كاسا، كبير الأسرة الإمبراطورية، وفيتوراري، بيرو ولد قبرئيل، وأزاز/ شيما كبدى تسما الذى أصبح وزيراً للداخلية حتى نهاية عقد الستينيات،

ورأس بتوداد/ موكنن آندكاسو الذى أصبح أول رئيس وزراء بعد التحرير (1943 – 1957م) (22) .
كما وفد للإمبراطور بقية المنفيين بأوروبا ومصر وشرق إفريقيا وعملوا على تنظيم المقاومين وتدربوا معهم وشاركوا فى حملة التحرير ضمن "قوة قيدون" ومن أبرز هؤلاء منقستو نواي، الذى كان ضمن أول دفعة عسكرية بكلية (هولتا) فى 1935، ولجأ بعد الغزو إلى شرق إفريقيا ثم وصل للسودان حيث تدرب مع أمان عندوم ومرئد منقشا ومولیقتا بولي بكلية سوبا العسكرية، وتولى الأربعة المهام القيادية بالحرس الإمبراطوري وبالمؤسسة العسكرية الإثيوبية مع مطلع عقد الستينيات، وقاد نواي المحاولة الإنقلابية ضد الإمبراطور فى 1960م وأعدم بعدها (23).
أما الإثيوبيون الذين كانوا بالسودان قبل مرحلة الغزو الإيطالي فيرجع وجودهم إلى عهود الحكم التركى والمهدية ومطلع الحكم الثنائي من جراء اللجوء السياسي والاقتصادي والأسرى في الحروب، وكان فى مقدمة هؤلاء أسرة ميخائيل عندوم وابناه ملس وأمان، وأسرة ميخائيل بخيت وأسرة محمود حنيت وأسرة برهي كيداني (24).
عمل ميخائيل عندوم بمكتب الاتصال العام " إدارة المخابرات" أثناء فترة الاستعمار البريطانى للسودان، وكان من أنشط المناصرين الإثيوبيين للمقاومة بالخرطوم وتدرب ابنه أمان بأكاديمة سوبا واشترك فى حرب التحرير، وانضم بعد التحرير ضابطاً بالحرس الإمبراطوري، وقاد الكتيبة الإثيوبية التى اشتركت فى الحرب الكورية (1950-1953م) واشتهر خلال حرب الأوغادين حيث حقق نجاحاً عسكرياً كبيراً حتى سمي (أسد أوغادين)، وعندما أصبح برتبة لواء أبعده الإمبراطور إلى مجلس الشيوخ، وعُين مع بداية حركة التغيير فى 1973م رئيساً للأركان ثم وزيراً للدفاع مطلع 1974م، وعند تكوين المجلس العسكري الإداري المؤقت "الدرق" اختاره أعضاؤه رئيساً للمجلس، وأصبح أول رأس للدولة بعد هيلاسلاسي فى 12/سبتمبر 1974م ولكنه أبعد وقتل بمنزله فى 23/نوفمبر 1974م خلال التحرك الذى قاده المقدم منقستو هايلي ماريام (25).
ارتبط أمان بصداقات عديدة مع الكثير من السودانيين خاصة الذين نشأوا بمنطقة غرب الخرطوم حيث كان منزلهم قريباً من تقاطع شارعي الحرية والجمهورية. وكان صديقاً للرجل الثاني بنظام الفريق إبراهيم عبود، اللواء أحمد عبد الوهاب، وعندما رجع لإثيوبيا لم يكن يتقن أية لغة إثيوبية ولكنه كان ضليعاً فى اللغة العربية والإنجليزية، وفى إحدى زيارات الإمبراطور هيلاسلاسي لإريتريا كان أمان يترجم

خطاب الإمبراطور للغة العربية فى الحشد الجماهيري باستاد أسمرا (26). أما شقيقه ملس عندوم، فكان أول سفير للإمبراطور بالخرطوم (1954-1961م) ثم أصبح سفيراً بمصر حتى نهاية حكم هيلاسلاسي.

أما ميخائيل بخيت، الذى تخرج من قسم المعلمين بكلية غردون 1924م فقد عمل لفترة بالتدريس ثم استقال وعمل بالزراعة فى القضارف، وتوظف فى 1926م مترجماً إدارياً بمركز القضارف حتى قيام الحرب حيث اشترك فى استقبال وايواء اللاجئين الإثيوبيين. ونظراً لموقف البريطانيين فى تلك الفترة وحرصهم على عدم إغضاب الإيطاليين، نقل إلي الفاشر ثم أعيد للقضارف بعد بداية الحرب عندما بدأ البريطانيون ينظمون المقاومة الإثيوبية ويدربوها،وعمل بعد الحرب بوزارة الدفاع السودانية قسم "السجلات والمصروفات" وخلال عقد الأربعينيات نشط ميخائيل بخيت فى العمل السياسي ضمن مجموعة الاتحاديين بمؤتمر الخريجين وشارك بالكتابة فى الصحف خصوصاً صحيفة " الرأي العام" وتعرض للمحاسبة والمحاكمة عدة مرات لنشاطه السياسي، وعمل أيضاً بمكتب السكرتير الإداري ثم تقاعد عن العمل فى 1960م (27) .

ومن بين الأسر الإثيوبية العديدة التى ارتبطت بالإمبراطور خلال وجوده بالخرطوم كانت أسرة محمود حنيت، الذي كان ضمن قوة دفاع السودان بفرقة العرب الشرقية وعمل ابنه صالح حنيت بمركز القضارف ثم أنتدب من قبل البريطانيين للعمل باريتريا بعد تحريرها من الإيطاليين. وبعد قرار الإمبراطور بإلغاء النظام الفدرالي من إثيوبيا وإريتريا في 1960، أختير ابنه صالح حنيت، سفيراً لإثيوبيا بالسودان فى مطلع 1964م، ثم عُين فى 1966م وزير دولة بوزارة البريد والبرق والتلفون ، وفى خطاب تقديمه لأوراق إعتماده للفريق عبود، عبّر صالح حنيت عن شعور الإثيوبيين الذين عاصروا فترة المقاومة بالسودان حيث قال: " فى القرن الماضي عندما هاجم بعض الغزاة السودان لجأ عدد من السودانيين لإثيوبيا حيث وجدوا الأمن والحماية، وعندما غزا الفاشست إثيوبيا لجأ أيضاً عدد من الإثيوبيين للسودان حيث حلوا بين أهلهم ووجدوا المأوى الطيب والعون الكريم والوفاء يا صاحب المعالي إننا لن ننسى أبداً عندما هبت إثيوبيا لطرد الفاشست من أراضيها، الدور الذى قام به كثير من السودانيين، وهو دور تميز بالشجاعة، وضحى الكثير منهم بأرواحهم فى ميادين القتال جنباً إلي جنب مع إخوانهم الإثيوبيين(28) وغني عن القول أن النخبة الإثيوبية السياسية والعسكرية التى ارتبطت بالسودان خلال المقاومة

وحرب التحرير، كان لها دور رئيس فى إصلاح علاقات البلدين خلال معظم فترات العقود الثلاثة اللاحقة.

(ب) هيلاسلاسي والقوى السياسية بالسودان:

رغم أن الإمبراطور أستضيف فى الخرطوم من قبل الشريف يوسف الهندي أحد الزعماء الطائفيين المعروفين بالسودان، إلا أن الإمبراطور ارتبط بعلاقة خاصة مع السيد عبد الرحمن المهدي، ويرجح أحمد المهدي ابن السيد عبد الرحمن أن تكون استضافة الشريف يوسف الهندي للإمبراطور تمت بالاتفاق مع السيد عبد الرحمن المهدي الذى كانت تربطه بالشريف يوسف الهندي علاقة قوية. (29)
وغير الإشارة التى وردت بمذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي عن عمق علاقته بالإمبراطور (30) ، فإن مذكرات إبراهيم أحمد بها إشارة أخرى حول هذه العلاقة، حيث ذكر عن زيارته لإريتريا فى 1947م ولقائه مع ممثل الإمبراطور هناك، أن ممثل الإمبراطور أبدى شكره وتقديره للسودانيين لاحتضانهم لهم إبان فترة الاحتلال حيث كان هو أحد مرافقى الإمبراطور، كما عبر عن تقديره الخاص للسيد عبد الرحمن المهدي لإهدائه سيف الإمبراطور يوهانس – الذى غنمه الأنصار فى القلابات – للإمبراطور هيلاسلاسي.(31)
ورحلة إبراهيم أحمد إلي إريتريا فى ذلك الوقت – الذى تصاعد فيه الحديث عن مستقبلها بين الاستقلال أو الاتحاد مع إثيوبيا أو التقسيم بين إثيوبيا والسودان – تشير إلي اهتمامات السيد عبد الرحمن ومحاولته معرفة الوضع هناك عن كثب.
وفى ذات الفترة 1947– 1948م، طلب الإمبراطور من السيد عبد الرحمن تعيين مبعوث له بأديس أبابا والذى اختار أمين التوم لهذه المهمة، إلا أن اعتراض الحاكم العام البريطاني عطل ذلك (32)
وتطورت علاقة الإمبراطور مع السيد عبد الرحمن وحزب الأمة مطلع الخمسينات خاصة بعد استلام الجيش فى مصر للسلطة وإنهاء النظام الملكي هناك، وتوطدت العلاقة أكثر بتشكيل الأميرالاي عبد الله خليل للحكومة الثانية بعد الاستقلال، حيث عُرف بعلاقته الحميمة مع الإمبراطور – خاصة وأنه كان أعلى سوداني رتبة (أميرلاي) بقوة دفاع السودان عند قيام الحرب، وتواصله وتشاوره المستمر معه، وتشير بعض المصادر إلي أن الإمبراطور كان أحد مصادر السيد عبد الرحمن

وحزب الأمة فى مده بالقروض المالية لمواجهة الدعم المصري للاتحاديين وطائفة الختمية (33) .
ويرى البعض أن العلاقة بين الإمبراطور وحزب الأمة لم ترق لدرجة التمويل المالي ، وأن الإمبراطور كان مدفوعاً فى علاقته بالسيد عبد الرحمن لمواجهة المخططات المصرية بالسودان وأنه سعى ودعم استقلال السودان (34)
وفى أعقاب ثورة أكتوبر 1964م كانت علاقة حزب الأمة بإثيوبيا طيبة رغم التوترات التى ظهرت فى علاقة البلدين مثل النزاع الحدودى ودعم السودان للمقاتلين الإريتريين ودعم إثيوبيا للمقاتلين فى جنوب السودان.

(ج) الإمبراطور ونظاما إبراهيم عبود وجعفر نميري:-

دار جدل كثيف حول معرفة الإمبراطور هيلاسلاسي بانقلاب الفريق إبراهيم عبود وموقفه من ذلك، ومرد ذلك لما أثير عن أن الانقلاب كان تسليم وتسلم بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع عبد الله خليل والفريق عبود القائد العام للجيش السوداني، إضافة إلي أن أخر زيارة لعبد الله خليل والتقائه بالإمبراطور كانت قبل أسبوع واحد من انقلاب عبود (35) .
ومهما يكن فإن علاقة قوية ربطت الإمبراطور بنظام الفريق عبود وصلت مرحلة تسليم السودان لعدد من المقاتلين الإريتريين لإثيوبيا (36) ومن غير شك أن انطلاق العلاقة وتمتينها بين الإمبراطور والنظام العسكري فى السودان مرده إلي أن كل أعضاء القيادة العسكرية للانقلاب " المجلس الأعلى للقوات المسلحة" كانوا هم مع آخرين ضباط قوة دفاع السودان التى اشتركت فى تحرير إثيوبيا وإرجاع الإمبراطور لملكه، ويضم المجلس الذى تكون من قادة الأسلحة والوحدات كل من: الفريق/ إبراهيم عبود، اللواء/ أحمد عبد الوهاب، اللواء/ محمد طلعت فريد، اللواء/ أحمد عبد الله حامد، اللواء/ أحمد رضا فريد، اللواء/ حسن بشير نصر، اللواء/ المقبول الأمين الحاج، اللواء/ أحمد مجذوب البحاري، اللواء/ محمد نصر عثمان، اللواء/ الخواض محمد أحمد، اللواء/ محمد أحمد عروة، اللواء/ محمد أحمد التجاني، اللواء/ عوض عبد الرحمن صغيرون، اللواء/ حسين علي كرار،وجميع هؤلاء – ما عدا حسين على كرار– من الذين اشتركوا فى الحرب بشرق إفريقيا (37) .
عند قيام نظام اللواء/ جعفر محمد نميري عام 1969م – اختارت القيادات المعارضة لنميرى العمل المسلح من خارج السودان، ولجأت إلى إثيوبيا حيث استضافها الإمبراطور ودعمها وكان على رأس المعارضة آنذاك الامام الهادي ابن

السيد عبد الرحمن المهدي والشريف حسين الهندي ابن الشريف يوسف الهندي – وبعد فترة قصيرة من التوتر نتيجة للصبغة الشيوعية للنظام فى شهوره الأولى – عادت العلاقات لوضعها الطبيعي خاصة بعد أن ساهم الإمبراطور مساهمة كبيرة فى التوصل لاتفاقية أديس أبابا فى مارس 1972م. وتبودلت الزيارات فى تلك الفترة بين قيادتي البلدين، كما شارك الإمبراطور فى احتفالات الذكرى الأولى لاتفاقية أديس أبابا والتى جرت بمدينة واو بجنوب السودان فى مارس 1973م (38) .

(3) إثيوبيا والحرب الباردة:-

طوال فترة حكمه، حافظ الإمبراطور على مكانته وشخصيته المبهرة للأجانب، وكما جاء فى وصف أحد المؤرخين الإثيوبيين فإن الإمبراطور " أصاب الأجانب بالتنويم المغنطيسي منذ حديثه أمام عصبة الأمم فى عام 1936م (39) وساعد فى رسم هذه الصورة أن الإمبراطور كرسّ جزءاً كبيراً من وقته للقضايا الخارجية وكان أكثر رؤساء الدول أسفاراً، حتى غدا أباً رمزياً للدبلوماسية العالمية وخاصة ما أصطلح على تسميته " دبلوماسية الاتصال الشخصي" التى أصبحت سمة لإثيوبيا ولهيلاسلاسي منذ المساعي الناجحة التى بذلها الإمبراطور – أيام كان ولياً للعهد – لإدخال إثيوبيا عصبة الأمم فى 1923م (40)

واحتفظ الإمبراطور بعلاقات جيدة مع معظم دول العالم ورغم تصنيف نظامه ضمن الأنظمة المؤيدة والمحمية من قبل المعسكر الغربي- والولايات المتحدة الأمريكية تحديداً – إلا أنه مد جسور التواصل مع دول أخرى كانت تصنف فى الصف المعادي لهذا المعسكر مثل مصر والهند ويوغسلافيا، وشارك بفعالية مع هذه الدول الثلاث فى قيام حركة عدم الانحياز، كما كانت له مواقف مؤيدة لمعظم حركات التحرر الإفريقي خاصة المؤتمر الوطني بجنوب أفريقيا الذى تدرب زعيمه نلسون مانديلا على العمل العسكري فى إثيوبيا عام 1962م (41).

وساعدت شبكة العلاقات الممتدة والمشاركة فى القضايا الدولية مثل السلام بكوريا، والكونغو، الإمبراطور فى كسبه لمعركة ضم إريتريا لبلده. ورغم ذلك، فإن علاقته بثلاث دول كانت مؤثرة فى سياسته الخارجية وفى علاقته بالسودان وهى: بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

(أ) العقد البريطاني 1942 – 1952م:-

هيمنت بريطانيا ولعقد كامل على إثيوبيا بعد التحرير، وذلك بموجب اتفاقية 1942م التى عُدلت فى 1944م، وسيطر البريطانيون تماماً على أوجه الحياة كافة خاصة فى الفترة التى سبقت انتهاء الحرب العالمية الثانية 1945م، ورغم أن الإمبراطور كان

يريد إعادة سلطته بعد التحرير بشراكة وليس تبعية مع بريطانيا، إلا أن البريطـانيين أداروا إثيوبيا باعتبارها" منطقة عدو محتلة" تتبع لـوزارة المـستعمرات البريطانيـة رغم اعترافهم باستقلالها، وظلت علاقة الطرفين مليئة بالتوتر وعدم التوافق، حيـث كان الاعتراف بالاستقلال من قبل بريطانيا إجراء شكلي لم يغير من حقيقة سيطرتها الكاملة على البلد، وزاد من ذلك سلوك الضباط والجنود البريطانيين الـذين عـاملوا الإثيوبيين بقسوة (42 .

في تلك الفترة، شغل البريطانيون الوظائف المهمة كمستـشارين وقـضاة وكبار ضباط في قوة البوليس، وكان للمفوض البريطاني بأديس أبابا، وضع مفـضل على بقية السفراء الأجانب، وكان حق الإمبراطور في اعـلان الحـرب مـشروطاً بموافقة بريطانيا، كل ذلك مقابل منحه مالية متواضعة ومتناقصة. أما ما أثـار يـأس الإمبراطور من البريطانيين فهو موقفهم من اريتريا وأوغادين، واصـرارهم علـى الاحتفاظ بهما ثم تقرير مصيرهما بعيداً عن مطالب الإمبراطور باعطائهما له (43) وأيقن هيلاسلاسي أن علاقته مع بريطانيا ستعيد إثيوبيا لفترة الثلاثينيات عندما كـان تسابق الدول الأوربية وتضارب مصالحها سبباً رئيسياً في غزو بـلاده واحتلالهـا. لذلك فكر في الاحتماء والتحالف مع القوى الجديدة غير الأوروبية – البـارزة علـى الساحة الدولية.

(ب) العلاقات الإثيوبية – الأمريكية:-

تم التوقيع على أول اتفاق بين البلدين في عام 1903م بين الإمبراطور منليك الثـاني وقنصل أمريكا روبرت سكنر، وبعد سنوات قليلة صارت الولايات المتحدة الـشريك التجاري الأكبر لإثيوبيا مغطية 60% من صادراتها و وارداتها.

هكذا صارت الأمور مع الولايات المتحدة حتى عام 1937م، تبيع لإثيوبيـا النـسيج والسيارات وتشتري منها البن والجلود. في عام 1936م، عنـدما اجتاحـت إيطاليـا إثيوبيا أغلقت القنصلية الأمريكية. وخلال الأزمة حافظت الولايـات المتحـدة علـى كلمتها (الحياد) في وضع جعل من المستحيل عليها أن تُمكـن إثيوبيـا مـن شـراء السلاح. ولم تُدن الولايات المتحدة الغزو الإيطالي حتى بعد أن فعلت ذلـك عـصبة الأمم. لكن الولايات المتحدة لم تعترف بإدارة إيطاليا للبلاد (44) .

وبعد طرد الإيطاليين وانتهاء الحرب العالمية الثانية، بدأت الولايات المتحـدة مـرة أخرى العمل في إثيوبيا، في تلك الأيام المبكرة من الأربعينيات لم تكن إثيوبيـا قـد صارت رقماً في مخططات الحرب الباردة ولكن الإمبراطور هيلاسلاسـي مـدفوعاً بضرورة كبح جماح الهيمنة البريطانية على حكمه، فتح الباب وقنوات الاتصال مـع

القوى الدولية الجديدة الناهضة مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وفى ذلك الوقت كان للولايات المتحدة قنصلاً فى أسمرا ونصح بالاسراع فى فتح بعثة فى أديس أبابا، "وإذا لم نفعل أشعر أن نهاية الحرب (العالمية الثانية) ستجعل أصدقاءنا البريطانيين أقوياء بشدة وراسخين فى إثيوبيا بحيث سيكون هناك القليل الذى يُترك للمصالح الأمريكية (45) .

وتم بالفعل فتح بعثة دبلوماسية فى كل من البلدين فى عام 1943م، ثم زار نائب وزير المالية (يلما ديرسا) واشنطن والتقى بالرئيس روزفلت وآخرين وطلب مساعدة عسكرية واقتصادية وتقنية.

غير أن أول لقاء تم بين القيادتين الإثيوبية والأمريكية تم فى مصر عام 1945م، حيث التقى الرئيس روزفلت بالإمبراطور هيلاسلاسي. وهو اللقاء الذى بدأ فيه الإمبراطور جهوده التي استمرت زمناً طويلاً من أجل الحصول على دعم الولايات المتحد من أجل أهدافه الوطنية. لقد سلم روزفلت 16 مذكرة غطت مسائل عديدة مثل منفذ إلي البحر لإثيوبيا والسيادة على الأوغادين. مقابل أن يأخذ الأمريكيون خط السكة الحديد بين أديس أبابا وجيبوتي وحق إمتياز التنقيب عن البترول فى الأوغادين. وجاءت الخطوة الكبرى مع مطلع الخمسينيات، عندما انسحبت بريطانيا من إثيوبيا، وتوتر الوضع بالشرق الأوسط، واستولى الجيش على السلطة فى مصر، وانطلقت الحرب الباردة، فأعادت واشنطن تقويم خططها بالشرق الأوسط وجنوب البحر الأحمر (46) .

وتم التوقيع على اتفاقيتين فى مطلع الخمسينيات نظمت العلاقة الاثيوبية – الأمريكية لعقدين. الأولى كانت اتفاقية صداقة وعلاقات اقتصادية فى عام 1951م، وكانت الثانية اتفاقية دفاع مشترك وُقع عليها فى عام 1953م. وهناك أيضاً اتفاقية خاصة بقاعدة (قانيو أستيشن).

اتفاقية الدفاع تشترط على الولايات المتحدة أن تمنح إثيوبيا مساعدة عسكرية للأمن الداخلي ولمواجهة التهديد الخارجي. وطوال عقدي الخمسينيات والستينيات أو ماعُرف بالعهد الأمريكي وحتى سقوطه فى 1974م، ظل الإمبراطور تحت حماية ودعم الولايات المتحدة الأمريكية، ووصل التعاون بين البلدين قمته فى 1970م عندما كانت إثيوبيا تستحوذ لوحدها على 60% من المساعدات العسكرية الأمريكية المخصصة لكل إفريقيا بمبلغ يصل إلى 180 مليون دولار، وتدرب فى تلك الفترة ما يصل إلي 2.500 عسكري إثيوبي هناك، كما توسع التعاون والدعم الأمريكي

لإثيوبيا فى مجالات التعليم والاتصالات وأنشئت الخطوط الجوية الإثيوبية برعاية وإدارة شركة T.W.A الأمريكية، إضافة إلي الدعم فى مجال الطرق (47) .

(ج) العلاقة مع إسرائيل:-

يرجع تاريخ العلاقة بين الإثيوبيين واليهود إلي مرحلة موغلة فى القِدم، وتتعدد الروايات والفرضيات عن أصل هذه العلاقة خاصة ما يتعلق بالوجود اليهودي بإثيوبيا. ويذكر كتاب (كبرا نجست) مجد الملوك – وهو أقدم كتاب إثيوبي – أن الإثيوبيين ينحدرون من صلب الملك سليمان (48) ، ومن الثابت أن أقلية يهودية – الفلاشا- إستوطنت منذ قرون حول بحيرة تانا، ورغم اهتمام يهود أوروبا بهؤلاء وتبني بعض أبنائهم وتعليمهم بأوروبا، إلا أن الحديث عنهم لم يظهر إلا فى مطلع خمسينيات القرن الماضي بعد قيام دولة إسرائيل، حيث سرب اليهود الغربيون أخبارهم وعن طريق الولايات المتحدة الأمريكية تمكن الكيان الصهيوني فى عام 1950م من دعم وتأسيس ثلاثين مدرسة بمناطق الفلاشا (49) .
وغير الفلاشا فإن ارتباط الكنيسة الإثيوبية الأرثوزكسية بالمناطق المقدسة فى القدس وبيت لحم، شكل قناة أخرى للعلاقة بين الإثيوبيين واليهود خاصة بعد بدء الهجرة اليهودية لأراضي فلسطين ودخول مخطط إقامة وطن لهم هناك حيز التنفيذ أيام الإنتداب البريطاني على فلسطين، ومنذ قرون كانت بيت لحم مقصد الإثيوبيين الباحثين عن الرهبنة بكنائسها وأديرتها، وامتلكت الكنيسة الإثيوبية هناك "دير السلطان" الذي تنازعها على ملكيته الكنيسة القبطية المصرية (50) .
ومهما يكن بشأن التاريخ القديم لهذه العلاقة، فإن تجددها فى العصر الحديث وارتباطها بنظام هيلاسلاسي وعلاقته بدولة إسرائيل بعد قيامها، كان له مصدران:
-المنفيون الإثيوبيون خلال الاحتلال واليهود والصهاينة الذين اشتركوا فى حرب التحرير.

فى 1924م بدا الإمبراطور هيلاسلاسي زيارته المشهورة لأوروبا بزيارة القدس وأجرى مناقشات حول تأمين الدير الإثيوبي بها " دير السلطان". وعندما خرج من بلده لاجئياً بعد الغزو الإيطالي بدأ رحلة المنفى من القدس أيضاً حيث أبقى جزءاً من أسرته ومعظم مرافقيه من كبار النبلاء والأمراء هناك، وكان من بين القادة والأمراء الذين قضوا فترة المنفى بالقدس وعاصروا آنذاك قمة الصراع السياسي والعسكري بين العرب واليهود كل من: الرأس/ كاسا، وأزاز/تسما كبدي،

وديجاز/أدفرساوا، وفيتوراري/بيرو ولدي قبرئيل، ورأس بيوداد/ موكنن أنذكاشـو، وجميعهم ممن تسلم مناصب رفيعة بعد التحرير وشكلوا جزءاً رئيسياً مـن النخبـة السياسية خلال العقود اللاحقة في عصر الإمبراطور (51) .
ومن بين هؤلاء كان الرجل الذى ارتبط بملف العلاقة مع إسرائيل لاحقاً هـو كبـدي تسما وزير بلاط الإمبراطور الذى أشرف خلال فترة المنفى على ممتلكات الحكومـة والكنيسة الإثيوبية بالقدس وبيت لحم، واقام علاقة وثيقة مع الوكالة إليهودية، وتعرف خلال الصراع القانوني الذى خاضه ضد القنصلية الإيطالية بشأن تلك الممتلكات إلي عدد من المحامين إليهود الذين ترافعـوا لـصالحه أمـام المحـاكم، وقـد اسـتعان هيلاسلاسي بأحد هؤلاء وهو ناتان مارين وعينه مستـشاراً قانونيـاً للحكومـة بعـد الحرب العالمية الثانية حيث أعد مسودة القانون الجنائي الإثيوبي (52) .
وقد وصلت العلاقة بين إسرائيل وإثيوبيا فى منتصف الخمسينيات إلي أعلى درجاتها بسبب سعى إسرائيل لكسر الحصار السياسي العربي، وأخذ الإسـرائيليون يـدربون قوات البوليس والأمن التى أصبح الوزير المسؤول عنهـا هـو كبـدي تـسما منـذ 1960م. وخلال تلك افترة اشركت إسرائيل إثيوبيا فى التعاون الإستخباراتي الـذى كان يجمعها وتركيا وإيران تحت أسم "كاإليل" وتحت لواء هذا التعاون نفذت عمليـة " البن" التى قدمت إسرائيل بموجبها الدعم للمتمردين بجنوب السودان (53) .
ولاحقاً ورث دور كبدي ابنه كاسا الذى درس بإسرائيل وتزوج من إسرائيلية، ونسق علاقة نظام منقستو هايلى ماريام " الدرق" مع إسرائيل خاصة بعـد أن أصـبح فـي 1989م سكرتيراً للعلاقات الخارجية للدرق، واشرف بصورة مباشرة علـى عمليـة تهجير إليهود الفلاشا إلي إسرائيل فى آخر أيام نظام منقـستو عـام 1991م وهـى العملية التى عُرفت باسم عملية "سليمان (54) .
جاءت أحداث المسألة الحبشية والحرب ضد الإيطاليين فى قمة النزاع بـين العـرب وإليهود حول فلسطين، واشترك إليهود والصهاينة بفعاليـة فـى الحـرب مـع دول الحلفاء خصوصاً بريطانيا التى كان عدداً من جنودها بالسودان من إليهود وكان لهـم حاخام هو "إسرائيل سرودي (55) .وخلال فترة وجود الإمبراطور بالسودان، كان من ضمن مرافقيه البروفسور تمرات عمانويل وهو من يهـود الفلاشـا ودرس فـى فرنسا وإيطاليا والقدس وعمل ملحقاً بسفارة إثيوبيا بباريس قبل الحرب وانضم لبلاط الإمبراطور عندما كان ولياً للعهد فى نهاية عقد العشرينيات من القـرن الماضـي (56) .

على أن الدور الأبرز فى مشاركة إليهود والصهاينة فى حرب تحرير إثيوبيا، قام بـه العقيد آوردي شارلس وينجت، الذى عُرف بصهيونيته الصارخة منذ عمله ضابطاً للاستخبارات بالجيش البريطاني بفلسطين (1936 – 1939م)، وتُصنف موسوعة "إليهود وإليهودية والصهيونية" وينجت بإعتباره من غلاة " الصهيونية المسيحية" وهى مصطلح يقصد به المسيحيون الذين يرون أن إليهود هم شعب الله المختار، ووطنهم المقدس في فلسطين ولذا يجب أن يُهجرّوا إليه (57) .

ومما جاء بالموسوعة عن وينجت: " ضابط بريطاني صهيوني مسيحي، ولد بالهند لعائلة ذات تاريخ فى عمل الارساليات المسيحية. بعد انضمامه للجيش فى سن العشرين، أرسل عام 1927م للسودان حيث بقى حتى عام 1933م. وتعلم أثناء ذلك اللغة العربية، ولكنه لم يستطيع قط التغلب على كراهيته العميقة للإسلام والقرآن، وكان جده مبشراً. وفى عام 1936م، نُقل إلي فلسطين كضابط مخابرات لدراسة الموقف السياسي والعسكري، وهناك ظهر حماسه الشديد للصهيونية، ولكنه كان كمعظم الصهاينة غير إليهود ممن يفسرون أحداث العهد القديم تفسيراً حرفياً عسكرياً كأنها حدثت بالأمس " على حد قول بن جوريون". وقد أشرف على تنظيم وتدريب الفرق الليلية الخاصة التابعة للهجانة. وكانت له دراية خاصة بأساليب التعذيب، وحصل لقاء ذلك على وسام الخدمة المتميزة البريطاني، كما ساهم فى تطوير عمل المخابرات الصهيونية حيث أمد مصلحة المعلومات ببيانات وافيه عن أوضاع الفلسطينيين وأبرز قياداتهم المناهضة للاستيطان الصهيوني والاحتلال البريطاني.

وقام وينجت بدور مهم فى تطوير الأساليب التى استخدمها الصهاينة فى حملاتهم الإرهابية ضد الفلاحين الفلسطينيين، وقد تركت أساليبه غير التقليدية بصمات واضحة على العمل العسكري الصهيوني فيما بعد.وبلغ اعتناقه الصهيونية درجة إعرابه عن ضيقه لعدم اتخاذ الحركة الصهيونية مواقف أكثر تحقيقاً لأهدافها، ولهذا أطلق عليه الصهاينة أسم " الصديق" و " لورنس يهودا".

وفى ربيع 1938م، أدلى وينجت بشهادة أمام لجنة "ودهيد" فى القدس فذكر أن أي تقدم قام به العرب فى فلسطين إنما يرجع لليهود، وأن دولة صهيونية صناعية حديثة تحت الحماية البريطانية سوف تحمي الوجود البريطاني فى المنطقة، وستمثل خير أمل للعالم الغربي، وقد نُقل وينجت من فلسطين عام 1939م، وعند عودته إلي بلاده التقى بعدد من كبار القادة العسكريين البريطانيين وعبر لهم عن رأيه بأن الطريقة الوحيدة أمام بريطانيا لتحمي السلام فى فلسطين هى أن تتبنى سياسة مماثلة للصهيونية.

ومع نشوب الحرب العالمية الثانية، رغب وينجت فى تولي قيـادة جـيش يهـودي وعرض تكوين جيش من 60 ألف مقاتل يهودى يتولي طـرد إيطاليـا مـن شـمال إفريقيا، إلا أن عرضه لم يلق موافقة. وقد عمل وينجـت عـامى 1940 – 1941م قائداً لقوات خاصة في إثيوبيا، ثم أرسل إلي الهند لتنظيم فرقة تتولى القيام بعمليـات خلف الخطوط اليابانية فى بورما.

وقد قتل وينجت في حادث طائرة ببورما، ويطلق اسمه الآن على عدة أمـاكن فـى إسرائيل " قرية للأطفال – كلية التربية البدينة – ميدان في القـدس – غابـة أقامهـا الصندوق القومي اليهودي (58) .

حرص وينجت عندما كُلف بتكوين القوات الخاصة التى ستصاحب الإمبراطور مـن السودان لإثيوبيا – قوة قيدون – على أن يرافقه عدد من اليهود الذين عمـل معهـم بفلسطين وأظهر طوال فترة حرب التحرير ضد الطليان تبرماً وضـيقاً بقـوة دفـاع السودان التى كانت ضمن قوة قيدون، واصطدم عدة مرات مع قائد كتيبـة الحـدود السودانية العميد هيوباستيد.

ويُعتبر وينجت شخصية مهمة فى التاريخ الإثيوبي الحـديث، وعنـد وفاتـه طلـب الإمبراطور هيلاسلاسي أن يدفن بإثيوبيا وأطلق اسمه علـى أول مدرسـة ثانويـة أنشئت بأديس أبابا بعد مقتله، كما أرسل لأرملته وأبنه الذى ولد بعـد مقتلـه بـست أسابيع سلسلة وصليباً من الذهب (59) .

مراجع الفصل الخامس

1. Bahru Zewde,.OP.cit,P.201
2. Anthony Mockler,OP.cit,P.394
3. Ibid, P.221
4. جمال محمد السيد ضلع، النظام السياسي الإثيوبي منذ 1960م، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة القاهرة- معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1997م، ص 180
5. Bahru Zewde,.OP.cit,P.209
6. Ibid, P.196
7. Bahru Zewde,.OP.cit,P.197
8. بدر السيد بدر نصار،إريتريا في ظل الحكم الإيطالي، رسالة دبلوم غير منشورة – جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ص 115.
9. جمال محمد السيد ضلع، مصدر سابق، ص 33.
10. المرجع نفسه، ص 53
11. المرجع نفسه، ص54
12. المرجع نفسه ، ص 141
13. Bharu Zewde, OP.cit, P.208
14. إيفان هرباك، (شمال أفريقيا والقرن الأفريقى) ، في تاريخ أفريقيا العام، مج/8- إليونسكو، باريس،1993م، ص 175.
15. Bahru Zewde, .OP.cit, ,P. 181
16. إيفان هرباك ، مرجع سابق ، ص 175.
17. مكرم سويحة بخيت، مرجع سابق، ص 547.
18. دار الوثائق المركزية – الخرطوم، الخطابات المتبادلة بشأن تزايد تدفقات اللاجئين الإثيوبيين للسودان 1937: Security 2/18/75
19. صحيفة العلم- أديس أبابا، للسنة 26 عدد رقم 24 بتاريخ 1966/9/14م
20. Anthony Mockler,OP.cit, P.387

21. Ibid,P.393
22. Ibid, P.P.386-403
23. صديق الجمري، صحيفة الخرطوم، (إثيوبيا أيام أول إنقلاب على الإمبراطور هيلاسلاسي) ، الأعداد رقم 2983-2985-2987-2990- أبريل 2002م وأيضاً Anthony Mockler,ibid, P403
24. مقابلة مع د. يوسف ميخائيل بخيت -عن أبناء الأسر الاثيوبية الذين نشطوا فى المقاومة ضد الإيطاليين - الخرطوم بتاريخ 2/سبتمبر 2005م.
25. موقع مكتبة الكونغرس الأمريكي على شبكة الإنترنت : WWW.LCCS.org
26. مقابلة مع د. يوسف ميخائيل بخيت وأيضاً موقع : WWW.MOKHTAR.CA
27. مقابلة مع د. يوسف ميخائيل بخيت، مصدر سابق.
28. صحيفة العلم، أديس أبابا- السنة 23، عدد رقم 39 بتاريخ 1964/1/8م، وأيضاً العلم، السنة 25، عدد رقم 52، بتاريخ 1966/4/13م.
29. مقابلة مع أحمد المهدي، الخرطوم، فى 2005/9/11م.
30. راجع صفحة (141) من هذا البحث .
31. عثمان حسن أحمد، إبراهيم أحمد.. حياة إنسان، الخرطوم - 1996م، ص 195.
32. أمين التوم ،مرجع سابق ص 70.
33. محجوب عمر باشرى، معالم تاريخ السودان، الدار السودانية للكتب، ص 144.
34. أحمد المهدي، مقابلة مع الباحث، مصدر سابق.
35. عبد الرحمن مختار، خريف الفرح، أسرار السودان 1950 -1970م، دار الصحافة، الخرطوم-1986م، ص
36. محمد سعيد ناود، حركة تحرير اريتريا، الحقيقة والتاريخ، 1996م، ص 295.
37. الأمين عبد الرحمن أحمد عيسى، الفريق إبراهيم عبود وعصره الذهبي، مطابع العملة، الخرطوم- 2005م، ص 27.

38. فضل الله حماد، مشكلة الجنوب وقضايا الوطن، أبــوظبي 2003م، ص 213.
39. Bahru Zewde, ETHIOPIA IN CHANGE, BRITISH ACAEMIC PRESS,LONDON-1994. P. 31
40. صحيفة العلم، أديس أبابا، السنة 27، العدد 3، بتاريخ 1967/5/10م.
41. نلسون مانديلا، رحلتي الطويلة من أجــل الحريـــة، جنــوب إفريقيــا 1997م، ص 292.
42. Indrias Getachw, OP.CIT, P.111
43. Bahru Zewde, ibid,P.181
44. Merahehi wotgabremeriam,(ETHIO –U.S Relations), Ethioscope, Vol.1.No.2, January 1995, Addis Ababa.
45. Ibid.
46. Bahru Zewde, .OP.cit , P. 185
47. Ibid, P. 186
48. جلال الملوك، نصوص حبشية قديمه، ترجمة مجــدى عبــد الــرازق سليمان، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة 2003م، ص 64.
49. مصعب أحمد مضوى، الفلاشا، دار هائل للطباعة، الخرطوم، 1988م، ص 30.
50. لمزيد من التفاصيل عن النزاع حول " دير السلطان" راجع على الشبكة الإلكترونيـــــــــــــــة موقــــــــــــــــع :-WWW.PALESTINE-INFO/ARABIC/ALGUDS/HISTORY1
51. Anthony Mockler, OP.cit, P.P 384-403
52. للمزيد عن دور تسما كبدي فى العلاقات الإثيوبية الإســـرائيلية، راجـــع على الشبكة الإلكترونية موقع : WWW.WALTA.COM
53. المرجع نفسه.
54. المرجع نفسه.
55. صلاح محمد أحمد، الجالية إليهودية فـــي الـــسودان، مركـــز الراصـــد للدرسات، الخرطوم، 2004م، ص 26.
56. مكى أبو قرجه، إليهود في السودان، مركــز عبــد الكــريم ميرغنـــي، أمدرمان 2004م، ص 54.

57. عبد الوهاب المسيري، موسوعة إليهود وإليهودية والصهيونية، مـــج/2، ط/2، دار الشروق، القاهرة، 2005م، ص 197

58. عبد الوهاب المسيرى، مرجع سابق، ص 259.

59. للمزيد من المعلومات عن أوردى شارلس وينجت، راجع على الـــشبكة الإلكترونية موقع: WWW.members.aol.com/ocwingate

خـــاتـــمة

ارتبطت التطورات السياسية والأحداث الكبرى فى أفريقيا بحقبة التسابق الأوروبي على تقسيم القارة والذى دشنه مؤتمر برلين (1884- 1885م). ورغم الدخول المتأخر لإيطاليا فى حقبة التسابق الإستعماري، إلا أن منطقة شرق إفريقيا جذبت إهتمام إيطاليا فاحتلت إريتريا (1885م) ثم الصومال الجنوبي (1889م) ولكنها هُزمت عندما حاولت احتلال إثيوبيا فى معركة "عدوا" عام 1896م.

وتجددت الأطماع الإيطالية بعد وصول الفاشيين للحكم فى روما، وبعد فترة الكساد العالمي وإرتفاع البطالة مما دفع رئيس الوزراء الإيطالي "بنيتو موسليني" للسعي فى تحقيق حلم اقامة إمبراطورية إيطالية بشرق إفريقيا باحتلال إثيوبيا وضمها إلي الصومال وإريتريا وربما إلي ليبيا فى شمال القارة إن أمكن احتلال السودان أيضاً مستفيداً من الإنقسام الذى بدأ يتوسع فى أوروبا بين ألمانيا الصاعدة بقيادة هتلر وكل من بريطانيا وفرنسا. ولم يخلو مشروع الاستيلاء على إثيوبيا من عامل معنوي يتمثل فى الثأر لمعركة "عدوا" ومحو عار تلك الهزيمة.

كانت إثيوبيا آنذاك فى مرحلة انتقال، مثلها صعود الإمبراطور هيلاسلاسي للحكم فى 1930م وبدأت تتلمس دروبها وتحاول كسر طوق العزلة الطويلة وإنشاء مؤسسات عصرية للحكم وبناء وحدتها الوطنية وتجاوز حقبة – اقطاع القرون الوسطى- التى كانت تعيشها حتى ذلك الوقت، ولذلك لم يجد الإيطاليون كبير عناء بأسلحتهم المتقدمة – استخدمو الدبابات والطائرات والغازات المحرمة دولياً- وحشودهم الكبيرة فى هزيمة الجيش الإثيوبي البدائي التسليح والذى أثرت فى كفاءته ومعنوياته حقبة الظلم والإضطهاد العرقي، وأحبطت معنويات الإثيوبيين بلجوء إمبراطورهم للخارج، ولكنهم بداءو مقاومة شرسة للاحتلال الإيطالي الذي عاملهم بعنف وقسوة.

تركت مرحلة الغزو ونجاح الإيطاليين فى السيطرة على إثيوبيا آثاراً كبيرة على رؤية ومواقف الإثيوبيين وإمبراطورهم خصوصاً تجاه الدول الكبرى آنذاك "بريطانيا وفرنسا" التى تواطأت مع الإيطاليين وعطلت بالتسويف والمماطلة تحركات عصبة الأمم لإتخاذ موقف قوي من روما، وكانت بريطانيا وفرنسا تستهدف بهذه السياسة عدم اغضاب موسليني حتى لايدخل الحرب فى أوروبا مع هتلر ضدهم.

كما خلف الغزو والاحتلال أصداء عالمية وسط الزنوج بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وحرك مشاعر الإفريقيين الذين تأثروا كثيراً لاحتلال أخر البلدان الإفريقية المستقلة فى وقت بدأوا فيه هم حركتهم نحو الاستقلال والخروج من حقبة

الاستعمار، كما كان للاحتلال الإيطالي دوراً في لفت انتباه الأسرة الحاكمة في إثيوبيا نحو جذورها الإفريقية وإنتمائها للقارة بعد أن كانت تربط نسبها وتاريخها بمنطقة الشرق الأوسط.

وفي السودان الذي أصبح تلقائياً في مواجهة الخطر الإيطالي، أجمع السودانيون في موقفهم الرافض للاحتلال الإيطالي لجيرانهم الإثيوبيين خاصة بعد انتشار أخبار الممارسات العنيفة واللا إنسانية التي ارتكبها الإيطاليين ضد المقاومين الإثيوبيين وترجم السودانيون موقفهم هذا بدعم اللاجئين الإثيوبيين الذين تدفقوا على بلدهم، كما نشطت صحفهم وطلائعهم المثقفة في التنديد بالإيطاليين ودعم المقاومة الإثيوبية.

حاولت الإدارة البريطانية بالسودان الإبتعاد به عن الحرب واتخذت موقف المحايد وعارضت محاولات وزارة الحربية البريطانية في دفعها للعمل سراً ضد الإيطاليين في إريتريا وإثيوبيا إلا أنه بدأت المؤشرات تدلل على انحياز إيطاليا لألمانيا واستهدافها للسودان بعد منتصف العام 1939م.

وكانت قوة دفاع السودان المشكلة أصلاً لحفظ الأمن الداخلي قوة صغيرة لا يتجاوز حجمها ستة آلاف جندي مع ثلاث كتائب بريطانية، إلا أن الإدارة البريطانية بالسودان تحركت سريعاً لزيادة حجمها وتحديث تسليحها تحسباً للخطر الإيطالي المرتقب.

في 10 يونيو 1940م أعلنت إيطاليا دخولها الحرب مع ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا واحتلت مدن كسلا وقرورة والقلابات والكرمك، وحشدت قواتها الضخمة والحسنة التسليح على طول الشريط الحدودي "1200 ميل" وقامت قوة دفاع السودان بدور كبير في التصدي لتقدم الإيطاليين وتمكنت بفضل شجاعة جنودها والتكيكات التي استخدمتها من إيقاف تقدمهم واحتوائه إلي أن وصلت طلائع حشود الحلفاء من بريطانيا والهند وفرنسا وبعض الدول الإفريقية. وكان يمكن للإيطاليين إن تمكنوا من تجاوز دفاعات قوة دفاع السودان أن يستولوا على السودان ويربطوا مستعمراتهم في شمال وشرق القارة ويشكلوا تهديداً لقوات الحلفاء بمصر وبالبحر الأحمر وممر قناة السويس.

وتمكنت المقاومة الإثيوبية، بعد هذا التطور، من الإستفادة من السودان عمقاً وقاعدةً خلفية لها وبدأ تزويد المقاومة بالأسلحة والمؤن كما استفادت من النشاط السياسي للسودانيين المؤيدين لها خاصة عبر كيان المثقفين آنذاك – مؤتمر الخريجين– والذي أدى دوراً كبيراً في مساعدة المقاومة عبر الصحف القريبة منه وفي تجميع اللاجئين وتدريبهم عسكرياً بالمعسكرات التي أنشأت لهذا الغرض بمنطقة سوبا – 10 كلم جنوب الخرطوم. واتسمت هذه المرحلة في عمل المقاومة بالتنظيم والوحدة بعد أن

كانت مجموعات المقاومة مشتتة وتغلب عليها الخلافات العرقية والجهوية، وأثمرت هذه الجهود فى إنطلاق العمل العسكري والسياسي ضد الإيطاليين بمنطقة غرب إثيوبيا التى تحادد السودان.

ومثلت فترة الاستعداد للهجوم على الإيطاليين بإريتريا وإثيوبيا وطردهم منها بداية تحويل قوة دفاع السودان إلي جيش نظامي محترف ومُعد ومُسلح جيداً، فتضاعف عددها وأصبحت تستخدم المركبات الحديثة فى النقل والتموين بعد أن كانت وسائلها تقتصر على الجمال والبغال والخيل، ودخلتها السيارات المصفحة والأسلحة الرشاشة والمدافع المتطورة، كما أنشئت الوحدات الحديثة على الولاء القومي بعيداً عن الانتماءات العرقية والجغرافية التي كانت أساس تكوين وحدات قوة دفاع السودان قبل الحرب.

وأعطى وصول الإمبراطور هيلاسلاسي للسودان نهاية يونيو 1940م زخماً لحملة التحرير حيث إنخرط فى لقاءات ونشاطات مكثفة مع الإداريين والعسكريين البريطانيين ومع القادة السودانيين ومع حلفائه ومؤيديه الذين تقاطروا من المنافي للخرطوم وعبروا الحدود من إثيوبيا، وبدأ عملاً منظماً لتوحيد مجموعات اللاجئين بالسودان والمقاومين بالداخل، كما أطلق الإمبراطور حملة دعائية عبر المنشورات وأسس صحيفة ناطقة باسمه من السودان وبداء الاستعداد لقيادة حملة التحرير.

كان الإمبراطور محبطاً فى بداية وصوله للسودان فلم يجد كما توقع جيشاً مُعداً ليصحبه، كما عانى من الاختلافات بين الإدارات البريطانية بلندن والخرطوم، ولكنه تغلب على ذلك بصبره وعزيمته وقوة إرادته. ووجد العزاء فى مواقف القادة السودانيين الذين رفعوا روحه المعنوية وأيدوه سياسياً ومعنوياً.

انطلقت حرب التحرير على محورين، كان الأول باتجاه إريتريا وشمال إثيوبيا قاده الواء بلات " القائد العام لقوة دفاع السودان" وتمكن من تحرير غرب إريتريا سريعاً وحاصر مدينة "كرن" المحصنة لأكثر من خمسين يوماً حتى تمكن من طرد الإيطاليين منها ثم استولى على أسمرا ومصوع وعبر الحدود نحو شمال إثيوبيا حيث حرر مدن "عدي قرات وعدوا" وحاصر بقايا الإيطاليين الذين انسحبوا من أديس أبابا لقلعة "أم بالاجي".

ومثلت معركة "كرن" فاصلة فى حرب التحرير وفى كل الحرب العالمية الثانية، فبتحريرها انهارت ليس فقط دفاعات الإيطاليين القوية وإنما أيضاً معنوياتهم وشكلت ضربة لقوة دول المحور التي فقدت بإريتريا أي موقع لها على البحر الأحمر.

فى العشرين من يناير 1941م، عبر الإمبراطور الحدود السودانية نحو بلاده وفى معيته كتيبة الحدود السودانية وكتيبة اللاجئين الإثيوبيين بالسودان وعدد من الضباط

البريطانيين ومجموعة من إليهود، وبعد معارك شرسة وسط طبيعة قاسية استمرت أكثر من شهرين، تمكنت هذه القوة من تحييد وشل القوات الإيطالية الضخمة بمنطقة غرب إثيوبيا وحررت إقليم "قوجام" وعبر الإمبراطور نهر النيل الأزرق مطلع أبريل 1941م، ودخل عاصمته فى 5/مايو 1941م، وفى هذه الأثناء كانت إحدى الكتائب السودانية – الكتيبة المختلطة – قد حررت كل إقليم بني شنقول ودخلت أصوصه عاصمة الإقليم واتجهت من هناك لمحاصرة أخر قوة إيطالية بمدينة "قندر".
تركت مشاركة السودان فى الحرب بشرق أفريقيا آثاراً شاملة على مستقبل السودان، فبعدها خرج السودان بنواة مؤسسته العسكرية التى اجتازت الامتحان وخلقت رصيداً كبيراً وسمعة طيبة للسودانيين ونالت الإعجاب داخلياً وخارجياً وأصبحت محور ولاءهم وموضع تقديرهم ببطولاتها وشجاعة جنودها الذين أصبحوا نجوماً للمجتمع يتغنون بهم ويضربوا بهم المثل فى البطولة والفداء.

كما تركت المشاركة في الحرب آثاراً اقتصادية عميقة تمثلت فـي قيـام الـصناعات التحويلية وتوسع السكة الحديد وزيادة طاقة ميناء بورتسودان وبـدء بـث الإذاعـة السودانية لأول مرة، وتمكن السودان أثناء الحرب من تحقيق فائض فـي ميزانيتـه رغم تحمله لمنصرفات مشاركة قواته كافة وساهم بجزء كبير مـن ميزانيتـه فـي المجهود الحربي لدول الحلفاء وفى استضافة ونفقات القوات الأخرى التـي وفـدت على أرضه لبدء حرب التحرير.

وكان الأثر السياسي للحرب واضحاً فى بداية نمو الشعور القومي وتحـول مـؤتمر الخريجين ككيان سياسي ومطالبته بتقرير المصير مكافاة على اشتراك السودان فـي الحرب وتمخض هذا الحراك الذى سببته المشاركة فى الحرب عن مولـد الأحـزاب السودانية التى واصلت النضال حتى تحقق الاستقلال فى 1956م.

خارجياً، أسهمت المشاركة فى الحرب فى التعريـف بالـسودان، وقـادت لإقتنـاع البريطانيين باشراك السودانيين فى حكم أنفسهم بـدءاً بـالحكم المحلـي ثـم قـانون المديريات ثم الجمعية التشريعية وانتهاءاً باتفاقية تقرير المصير عـام 1953م، كمـا خلقت المشاركة فى الحرب روابط وثيقة بين الشعب السوداني والشعب الإريتـري، حيث أدارت بريطانيا إريتريا انطلاقاً من السودان واستعانت بقواتـه لحفـظ النظـام هناك وبإدارييه ومعلميه فى تسيير العمل الإداري وتقديم الخدمات وصولاً لطرحهـا نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات مشروعها المعـروف لتقـسيم إريتريـا وضـم أجزاءها الغربية للسودان.

كما مثلت المشاركة السودانية في الحرب فصلاً جديداً فى علاقة إثيوبيـا بالـسودان وتعززت مكانة السودان عند الإثيوبيين كنـصير وعمـق طبيعـي لهـم، وتعـرف الإثيوبيون أكثر على السودانيين خلال فترة الاحتلال الإيطالي وأصـبحت حـركتهم المستقبلية فى اللجوء والمعارضة السياسية والعسكرية تتجه نحوه رغـم أن لإثيوبيـا ثلاثة جيران آخرين.

وبعد التحرير كان للمنفيين الأثيوبيين واللاجئين بالـسودان والـذين تـدربوا علـى أراضيه وانطلقوا منه لتحرير بلادهم، دور كبير فى الحياة السياسية، وشكلوا الطبقـة والنخبة المسيطرة على المؤسسات السياسية والعـسكرية، ويكفـي القـول أن قائـد الانقلاب الوحيد فى عصر الإمبراطور الطويل – العميد منقستو نواي– تـدرب فـي السودان، وأن الرجل الذي قُدر له أن يكـون أول حاكمـاً لأثيوبيـا بعـد التـاريخ الإمبراطوري – الجنرال أمان عندوم–كان قد وُلد ودرس وترعرع وتدرب عـسكرياً بالسودان.

وأدت مشاركة السودان في حرب تحرير إثيوبيا لالتفات المخططات الصهيونية له خاصة وأنه يحادد منطقة "قندر" التي يسكنها يهود الفلاشا، كما تكشف لليهود والضباط البريطانيين الصهاينة الذين اشتركوا في الحرب عمق العلاقة بين الشعبين السوداني والإثيوبي وخطر انفراد السودانيين بالقدح المعلى في تحرير إثيوبيا، فعملوا منذ ايام الحرب على بذر الفرقة والبغضاء بينهم مستعينين بالقادة والزعماء الإثيوبيين الذين قضوا فترة اللجوء بالقدس، وخلق القادة الإسرائيليون علاقات وثيقة معهم وتوطدت في فترة ما بعد التحرير.

ربما يعود لهذا العامل الدور الأساسي في اغفال مساهمة السودان في تحرير إثيوبيا وطمس تضحيات جنوده - استشهد مائتين منهم خلال حملة التحرير- وكذلك تغييب أثر الموقف السوداني من اللاجئين الإثيوبيين ودعمهم وتبني قضيتهم.

ومهما يكن فإن الكثير من مواقف الإمبراطور هيلاسلاسي اللاحقة كانت متأثرة بمشاعره الإيجابية تجاه نصرة السودانيين له خصوصاً وأن فترة لجوءه للسودان ربطته بتحالف سياسي مستقبلي مع إحدى القوتين السياسيتين في الساحة السودانية "حزب الأمة" كما أن العسكريين الذين حكموا السودان بين 1959 - 1964م كانوا جميعاً من ضباط قوة دفاع السودان الذين اشتركوا في الحرب بشرق إفريقيا.

إن فترة لجوء الإمبراطور للسودان مكنته ليس من خلق علاقات مع القوى السياسية وطبقات المجتمع السوداني فحسب، بل تعدت ذلك لمصر حيث يشير بعض الدارسين إلي أن لقاءاً تم بين جمال عبد الناصر والإمبراطور إبان استضافته في جبل أولياء - 40 كلم جنوب الخرطوم - عندما كان الأول ضابطاً بالحامية المصرية هناك.

وبعد، فإن جاز تسطير خلاصة لنتائج هذا البحث، فإنه يمكن القول إن علاقة السودان بإثيوبيا في العصر الحديث، وُضع لها أساس متين وقامت على أرضية ثابتة بفضل التعاون والتعاضد الذى أظهرته فترة الغزو والاحتلال الإيطالي. ورغم ذلك فإن هذه العلاقة لم تسلم من تآمر ومخططات الدول الاستعمارية التي رأت أن مصالحها تتطلب إحداث الفرقة وإبعاد الإثيوبيين عن محيطهم الجغرافي وعمقهم التاريخي. وأصبح هذا العامل أكثر وضوحاً بعد قيام دولة إسرائيل التي عمل مؤيدوها منذ حرب التحرير على خدمة مصالحها بتغييب الدور السوداني وتهميشه.

كما أن فترة الاحتلال وحرب التحرير ساعدت في خلق تفاهم وثقة عميقة بين الإمبراطور وعدد من قادة السودان السياسيين والعسكريين، وساعدت أيضاً على تفهم الكثير من القيادات الإثيوبية التي كانت لاجئة بالسودان ووصلت لقمة السلطة بإثيوبيا - للسودان وقيم ومبادي شعبه وأثره وأهميته لإثيوبيا .

أيضاً فإن العقل الإثيوبي رسخ فيه الملاذ السوداني المستعد دائماً لإحتضانه عن الملمات والكوارث سواءاً كانت بفعل الطبيعة أو السياسة، وأثبتت التجربة إن الإثيوبيين اعتبروا السودان دوماً معبرهم وبلدهم الثاني في الكثير من الأوقات والظروف والأحداث.

كما أن التجربة أثبتت أيضاً أن مصير كل من البلدين مرتبط بالآخر، وأن الخطر الذى يهدد أحدهما لابد أن ينتقل لتهديد الثاني وأن تعاونهما وحده هو السبيل لمواجهة الأخطار والتحديات. ومهما يكن فإن السودانيين رغم أنهم أصبحوا بعد الحرب العالمية الثانية مهددين بالغزو الإيطالي إلا أنهم بادروا منذ بداية غزو إثيوبيا في تحديد موقفهم استناداً إلى مبادئهم فى رفض الظلم والعدوان ودعموا الإثيوبيين ومقاومتهم تمشياً مع قيمهم فى عون المظلوم واحتضنوا لاجئيهم استجابة لدواعي النصرة والاستجارة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

(أ) الوثائــق:-

(1) أرشيف دار الوثائق المركزية - الخرطوم:

(A) **Intel: Class1/Box15/Piece73,.** Abyssinia Monthly Report–(1914).

(B) **Reports: Class5/Box 1/Piece 24**, Abyssinia Monthly Report –No.1 (1927). Correspondence respecting the agreement between United Kingdom, Italy 1925 in regard to Lake Tana.

(C) **Reports: Class5/Box1/ Piece25,** Abyssinia Monthly Report – No.1 (1927). Correspondence respecting the agreement between United Kingdom, Italy 1925 in regard to Lake Tana.

(D) **Reports: Class5/Box1/ Piece12,** Abyssinia Monthly Report –No.1 (1927). Correspondence respecting the agreement between United Kingdom, Italy 1925 in regard to Lake Tana.

(E) **Dept, Reports: Class 5/ Box 46/ Piece 211,** Review of Events.

(F) **Reports: Class 1/Box 11/Piece46** تقرير الحاكم العام لحكومتي بريطانيا ومصر 1939-1941م.

(G) **Reports: Class1/ Box11/ Piece48,.** تقرير عن إدارة السودان 1942-1944م

(H) **Security: Class 2/ Box 18/ Piece 175,.** Sudan Reserve Corps

(I)**Mics: Class2/ Box 197/Piece 20273,.** قائمة بشهداء قوة دفاع السودان بإثيوبيا وإريتريا

(J) **Reports: Class5/ Box 1/Piece 18,** Treaty Series No. 10 1932
Treaty between United Kingdom, Ethiopia, France and Italy.

(K) **Reports: Class5/Box1/Piece26**, Abbyssinia No. 1 (1928)
correspondence respecting Abbyssiania raids and incursions
into British territory ANF anglo Egyptian Sudan

(I) **Palace: Class4 / Box 4/ Piece 13**.

(M) **Palace :Class1/Box 3/Piece 9** ملف اعتداءات الإثيوبيين على
الأراضي السودانية

(N) **Intle. Class1/Box 14/Piece 63,** ملف التقارير الأمنية من محطة
قامبيلا 1920م

(O) **Reports: Class5/ Box 1/Piece 23,** ملف مراسلات المشاكل الحدودية
بين الحبشة والمستعمرات البريطانية 1925م

(P) **Reports: Class3/ Box 1/Piece 1,2,34,** تقارير التجارة الخارجية
1920- 1933م

(Q) **Reports: Class4/ Box 12/Piece 46-48** تقارير التجارة الخارجية
1920- 1933م

(ب) المقـــابـــــــلات

(1) مقابلة مع أحمد شرف – من الذين عاصروا العائلات الإثيوبية بالخرطوم، وكــان على معرفة لصيقة بهم وسكن بجوارهم فى منطقة الخرطـوم – جنـوب الـسوق العربي حالياً – تاريخ المقابلة 22/مــارس 2005م بمكتبـة الخرطـوم – مبنـى مجموعة النفيدى.

(2) مقابلة مع أحمد المهدي (عن لقاءاته بالإمبراطور هيلاسلاســي) وعلاقــة والــده الأمام عبد الرحمن المهدي بالإمبراطور. تاريخ المقابلة 11/مارس 2005 بمنزلــه بأم درمان.

(3) مقابلة مع د. يوسف ميخائيل بخيت، عن تــاريخ العــائلات والجاليــة الإثيوبيــة بالسودان ودورها فى المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي ، تاريخ المقابلة 2/مــارس 2005م بمنزله بالخرطوم.

(د) رسائل غير منشورة:-

(1) بـدر الـسيد بـدر نـصار، **إريتريا فى ظل الحكم الإيطالي**، رسـالة لنيل درجـة الدبلوم/غير منشورة/ معهد الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة – 1969م.

(2) جـاد محمد طـه، **فاشودة**، رسـالة لنيـل درجـة الـدبلوم – غير منشورة – مُعهـد الدراسات الإفريقية، جامهة القاهرة – 1959م.

(3) جمال محمد السيد ضلع، **النظام السياسي الإثيوبى منذ 1960م**، رسالة دكتوراة – غير منشورة – معهد الدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ، 1997م.

(4) صلاح الدين إبراهيم زكي، **الإستعمار الإيطالي فى الحبشة فى الفترة من سنة 1935م إلى سنة 1941م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة- معهد الدراسات الإفريقية، 1983م.

(5) عبد الغفار محمد حسين، **سلطنة هرر تحت النفوذ المصري من 1775 – 1885م**، رسالة لنيل درجة الدبلوم/غير منشورة/ معهد الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة – 1969م.

(6) عمر محرم أحمد عبد الرحمن، **معركة عدوا وآثارها على الصراع الاستعماري في شرق أفريقيا، (1896 -1935م)** بحث لنيل درجة الماجستير – معهد الدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة.

(7) مكرم سويحة بخيت، **إثيوبيا تحت حكم الإمبراطور هيلاسلاسي الأول، 1930-1974م**، رسالة دكتوراة غير منشورة – جامعة القاهرة – معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1988م.

ثانياً: المراجـــع

(أ) الكتب العربية:-

1. أ.ج.ب. تايلور ، أصول الحرب العالمية الثانية، ترجمـة مـصطفى كامـل خميس، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة 1990م.

2. أحمد إبراهيم أبو شوك، مذكرات يوسف ميخائيل ، التركية والمهدية والحكـم الثنائي، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان 2004م.

3. إسماعيل العتباني، شهادتي للتاريخ ، مطابع نصر، دمشق 2005م.

4. الأمين عبد الرحمن أحمد عيسى، الفريق ابراهيم عبـود وعـصره الـذهبي، مطابع السودان للعملة، الخرطوم -2005م.

5. البخاري عبد الله الجعلي، حدود السودان الشرقية مـع اثيوبيـا واريتريـا، الدوحة 2000م .

6. الطيب شنتوف، "القرن الإفريقـي وشـمال افريقيـا" فـي تـاريخ إفريقيـا العام/مج/8/إليونسكو،1998م.

7. أمين التوم، ذكريات ومواقف في طريق الحركة الوطنية الـسودانية،، الـدار السودانية للكتب ، الخرطوم، طبعة/1/ 2004م .

8. إيفان هرباك، "الكفاح من أجل السيادة الـسياسية مـن 1945م حتـى نيـل الاستقلال" في_ تاريخ إفريقيا العام، مج/8، إليونسكو – باريس 1993م.

9. برخيت هابتي سيلاسي، **الصراع في القرن الإفريقي**، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980م.

10. جمال الدين شامي، **المنهل في تاريخ وأخبار العفر "الدناكل"**، القاهرة 1997م.

11. جيمس روبرتسون، **السودان من الحكم البريطاني المباشر الي فجر الاستقلال**، تعريب مصطفى عابدين الخانجي- دار الجيل - بيروت- 1996م.

12. جوزيف أ. هاريس، "**الشتات الإفريقي منذ عام 1935م**"، في تاريخ إفريقيا العام، مج/8/ إليونسكو،1998م.

13. راشد البراوي، **الحبشة بين الاقطاع والعصر الحديث**، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة.

14. زاهر رياض ، **تاريخ اثيوبيا**، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة 1966م.

15. صادق المؤيد العظم، **رحلة الحبشة من الإستانة الي أديس أبابا 1896م**، دار السويدي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبوظبي 2001م.

16. صلاح الدين شامي، **الموانئ السودانية**، مكتبة مصر ، القاهرة 1961م.

17. صلاح محمد أحمد، **الجالية اليهودية في السودان**، مركز الراصد للدراسات، الخرطوم، 2004م.

18. عبد الرحمن المهدى ، **مذكرات الأمام عبد الرحمن المهدي**، مركز الدراسات السودانية – القاهرة 1996م.

19. عبد الرحمن مختار،**خريف الفرح**، أسرار السودان 1950–1970م ، دار الصحافة، الخرطوم 1986م.

20. عبد الهادي صديق ، **السودان والإفريقانية**، مركز الدراسات الإستراتيجية، الخرطوم، 1997م.

21. عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مج/2 دار الشروق، طبعة/2 القاهرة 2005م.

22. عثمان حسن أحمد، إبراهيم أحمد، **حياة إنسان**، الخرطوم-1996م.

23. على أ. مزروعى، "**نحو عام 2000م**" فى تاريخ إفريقيا العام،مج/8، اليونسكو، 1998م.

24. فتحى غيث، **الإسلام والحبشة عبر التاريخ**، مكتبة النهضة، القاهرة 1966م.

25. فضل الله حماد، **مشكلة الجنوب وقضايا الوطن**، أبوظبي،2003م.

26. مجدي عبد الرازق سليمان، **جلال الملوك..نصوص حبشية قديمة**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2003م.

27. محجوب عمر باشري،**معالم تاريخ السودان**،الدار السودانية للكتب،الخرطوم 2000م.

28. محمد خير البدوي، **مواقف وبطولات سوادنية فى الحرب العالمية الثانية**، الخرطوم 1992م.

29. محمد سعيد القدال، **تاريخ السودان الحديث 1820 - 1955م**، الخرطوم 1992م.

30. محمد سعيد ناود، **حركة تحرير اريتريا... الحقيقة والتاريخ**، 1996.

31. محمد عثمان أحمد، قوة دفاع السودان – دورها وآثار اشتراكها في الحرب العالمية الثانية– المطبعة العسكرية ، الخرطوم، 1990م.

32. محمد عمر بشير، مشكلة جنوب السودان، خلفية النزاع من الحرب الداخلية الي السلام، ترجمة هنري رياض وآخرون، دار الجيل – بيروت 1983م.

33. محمود الشرقاوي، اثيوبيا، القاهرة 1959م.

34. محمود صالح عثمان صالح، الوثائق البريطانية عن السودان،مج/1- 1940م- 1944م- مركز عبد الكريم ميرغني- أم درمان – السودان 2002م.

35. مصعب أحمد مضوي، الفلاشا، دارهائل للطباعة، الخرطوم، 1988م.

36. مكي أبو قرجه،اليهود في السودان،مركز عبد الكريم ميرغني- أمدرمان، 2004م.

37. مكي شبيكة، السودان عبر القرون ، دار الجيل – بيروت 1991م.

38. نلسون مانديلا، رحلتي الطويلة من أجل الحرية، جنوب إفريقيا، 1997م

(ب) الكتب الإنجليزية

1. Ethiopia, The Imperial Ministry of Information, **Selected Speeches of His Imperial Majesty Hailesellassie First 1918 to 1967,** Addis Ababa, 1967.

2. Ethiopia, The Imperial: Ministry of Information **, Important Utterances of H.1 ,Memperor Hailesellassie.1 1936- 1972** Addis Ababa -1972

3. Indrias, G. **Beyond The Throne –the Enduring.Legacy of Emperor Haile Sellassisi,**shamu books, Addis Ababa,2001.

4. Hailesellassie,: **My Life And Ethiopia's Progress,** Volume one - Addis Ababa, 1974.

5. Hailesellassie,: **My Life And Ethiopia's Progress,** Volume Tow - Addis Ababa, 1973.Edited and Translated by Edward Ullendorff –Oxford, 1976.

6. Habte, S. Kiros: **Ethiopia...AShort Illustarted History,** Addis Ababa, 1972.

7. Mockler, A. **Hailesellassie,s War The Italian –Ethiopian Cambaign, 1935-1941,**Random House –New York -1985.

8. Marcus, G. H. **HAILE –SELLASSISI, The Formative Years 1892-1936,**New Jersy 1998.

9. Marcus. G. H. **The Life and Times of Menelik: Ethiopia** 1844-1913,Oxford 1975.

10. Pankhurst, R.K. **Ethiopia : Acultural History**, London,1955.

11. Seven, R. **Italy and Abyssinia**, New York,1956.

12. Sbachi, A.. **Ethiopa Under Moussolini,**London-1985.

13. Waterbury, J. **The Nile Basin**, London -1994

14. Zewde, B. **AHistary of Modern Ethiopa -1855-1991**- Adis Ababa University Press -2002 .

15. Zewde, B. **Haylasellase:From Progressive To Reactionary,** London 1994.

16. Zegeye, A.. **Ethiopia In Ghange**, London 1994.

(جـ) مقـالات ودوريــات

(1) تمام همام تمام " أثر الأزمة الإثيوبيــة علــى الــسودان 1935م – 1936م" – مجلــة الدراسات الإفريقيــة- تــصدر عــن معـــهد البحــوث والدراســـات الإفريقيــة – جامعة القاهرة – عدد "15" – 1993م – الــصفحات (171 إلــي 209)

(2) Denial, K. (PH.D), **(EGYPT AND THE HYDRO – POLITICS OF THE BLUE NILE RIVER)** –part 11. **Addis Tribune**, Addis Ababa 13-8-1999.

(3) Merahehiwot, G, **(Ehtio –U.S. Relationns)**_, Ethioscope, Vol.1.No.2 .January 1995, Minsistry of Foreign Affairs, Addis Ababa – Ethiopia.

(د) الصحف والمجلات

(1) صحيفة العلم – أديس أبابا، أعداد متفرقة 1963 – 1967م

(2) صحيفة الأمة، الخرطوم، عدد رقم 247 – سبتمبر 1940م.

(3) صحيفة الخرطوم – الخرطوم، أعداد متفرقة، أبريل 2002م.

(4) صحيفة السودان، الخرطوم، عدد رقم 316 – مارس 1940م.

(5) صحيفة السياسة – الخرطوم ، عدد رقم 80 - بتاريخ 1986/9/20م.

(6) صحيفة النيل، الخرطوم، عدد رقم 217 – أبريل 1940م.

(7) صحيفة حضارة السودان، الخرطوم، عدد رقم 414 – فبراير 1940م.

(8) صحيفة النيل، الخرطوم، عدد رقم 217 – أبريل 1940م.

(8) مجلة الفجر ، الخرطوم ، أعداد متفرقة - فى الفترة من 1935 -1940م.

(هـ) مواقع الكترونية

1. موقع مكتبة الكونغرس الأمريكي
WWW.LCCS.ORG.

2. موقـــع مـــذكرات مفتـــي إريتريـــا الأســـبق إبـــراهيم مختـــار
WWW.MOKHTAR.CA

3. موقع فلسطين WWW.PALESTINE-INFO.INFO/ARABIC/ALGODS/HISTORY

4. موقع مركز والتا للإعلام ، إثيوبي
WWW.WALTA.INFO. COM

5. موقـــع ســـيرة وتـــاريخ أوردي شـــارلس وينجـــت
WWW.MEMBERS.AOL.COM/OCWINGAT

6. موقع سيرة وتاريخ جمال عبد الناصر
WWW.NASSER.BIBALEX.ORG

الملاحـــــق

قائمة الملاحـــــق

- ملحق رقم (1): المنشور الذي أصدره الإمبراطور منليك الثانى فـــى 1891م بشأن حدود إمبراطوريته.
- ملحق رقم (2) : الدستور الإثيوبي الذي أصدره الإمبراطور هيلاسلاسي فى 1931م.
- ملحق رقم (3): خطاب الإمبراطور هيلاسلاسي أمام عصبة الأمم بجنيف فى 30/يونيو 1936م.
- ملحق رقم (4): الإعلان الذي أصدره الحاكم العام للسودان بخصوص دخول الحرب ضد إيطاليا وألمانيا فى 11/ يونيو 1940م.
- ملحق رقم (5): خطاب الإمبراطـــور هيلاسلاســـي عنـــد عبـــوره للحـــدود السودانية – الأثيوبية فى أم عدالا عائداً لـــبلاده بعـــد خمس سنوات فـــى المنفـــى – بتـــاريخ 21 / ينـــاير 1941م.
- ملحق رقم (6): رسالة مؤتمر الخريجين للحاكم العام بخـــصوص المطالبـــة بحق تقرير المصير بعد الحرب العالميـــة الثانيـــة – بتاريخ 3 / أبريل 1942م.
- ملحق رقم (7): قائمة بالرتب والألقاب المستخدمة بأثيوبيا وإريتريا.
- ملحق رقم (8): قائمة بأسماء شهداء قوة دفاع السودان عند تحرير إثيوبيا 1941م.

ملحق رقم (1)

المنشور الذى أصدره الامبراطور منليك الثاني في 1891م بشأن حدود امبراطوريته [1]

تحقيقاً للتعريف بحدود الحبشة، فأننا نرسل هذا الخطاب الدوري إلي أصدقائنا من ملوك أوروبا للعلم بحدود بلادنا.

" نحيطكم علماً يا صاحب الجلالة...فتلك هي حدود الحبشة اعتباراً من أرفال الواقعة على البحر عند الحدود الإيطالية ويسير الخط غرباً نحو سهل جيجر في اتجاه ماهيو – وهالاي ويجيزا هورا إلي أويبارد / ومنها إلي ملتقى نهري مارين وأراند، ومن هذه النقطة يمتد الخط جنوباً حتى يلتقى بنهري عطبرة وستيت حيث تقع مدينة توماتو حيث تشغل الحدود مديرية غضارف إلي كاركوج على النيل الأزرق ومن كاركوج يمتد الخط إلي ملتقى نهر السوباط بالنيل الأبيض، ومن هنا يسير خط الحدود على نهر السوباط متضمنة بذلك أقاليم أريورا وجلاس حتى بحيرة سميورى، وفى إتجاه الشرق يدخل ضمن الحدود أقاليم يوران وجلاس وعروس إلي حدود الصومال بما فى ذلك إقليم الأوجادين.

وفى إتجاه الشمال، تتضمن الحدود هابراواز والجد أبو رسى وعيسى صومال حتى أميوس ثم يمر الخط بأميوس ويشمل بحيرة عسال فمديرية الاقطاعي القديم محمد إنفارى حتى مناجم ساحل البحر ليتصل مرة أخرى بأرافال، وسأحاول أن أعيد إقامة الحدود القديمة للحبشة إذا وهبني الله حياة وقوة حتى تصل إلي الخرطوم وحتى بحيرة نيانزا متضمنة بذلك كل قبائل الجالا.

لقد ظلت الحبشة خلال أربعة عشر قرناً جزيرة مسيحية فى بحر من الوثنية، وأنني على ثقة بأن عناية الله سوف تحفظ بلاده من التقسيم بين الدول الأخرى، لقد كان البحر هو نهاية حدود الحبشة فلما أعوزتها القوة ولم تتلق أي عون من الدول المسيحية، سيطت حدودنا على ساحل البحر فى قبضة المسلمين، وفى الوقت

---

[1] المصدر : عمر محرم أحمد عبد الرحمن، معركة عدوا وآثارها،1896- 1935، ص 116.

الحاضر لا ننوي أن نستعيد حدودنا البحرية بالقوة، ولكننا واثقون بأن القوى المسيحية تحرسها عناية الله فتنقذنا وستعيد إلينا الخط الساحلي على البحر أو على أي حال بعض نقاط فيه".

حُرر في أديس أبابا في 14 مارز 1883 - (10 أبريل 1891م)

ملحـــق رقم (2)

الدستور الإثيوبي الذى أصدره الإمبراطور هيلاسلاسي فى عام1931م.

الباب الأول

الإمبراطورية الإثيوبية ووراثة العرش[1]

مادة (1): أراضى دولة إثيوبيا جميعها من طرفهــا إلـــي الطــرف الآخر خاضعة لحكومة جلالة الإمبراطور وأهل إثيوبيا هم رعايا الإمبراطورية ويتكون منهما معــا الإمبراطوريـــة الإثيوبية.

مادة (2): تؤكد الحكومة الإمبراطوريـــة وحـــدة الأرض والـــشعب والقانون في إثيوبيا.

مادة (3): يقرر القانون أن الشرف الإمبراطــوري ســيظل بــصفة دائمة متصلاً بأسرة هيلاسلاســي الأول ســليل الملــك سهلاسلاسي والذي يتسلسل نسبه بدون توقف من أسرة

[1] المصدر: مكرم سويحه بخيت، إثيوبيا تحت حكم الإمبراطور هيلاسلاسي الأول 1935 – 1974م.

منليك الأول ابن الملك سليمان ملك بيت المقدس وملكة إثيوبيا المعروفة باسم ملكة سبا.

مادة (4): يتسلسل العرش والتاج إلي نسل الإمبراطور طبقاً لقانون البيت الإمبراطوري.

مادة(5): يحكم* دمه الملكي والأمانة التى تسلمها شخص الإمبراطور مقدس وحقوقه لا تجادل وسلطاته لا تناقش وهو لذلك أهل لجميع الإحترامات المسبوغة عليه وفقاً للتقاليد ووفقاً للدستور الحالي. ويقرر القانون أن كل من يجرؤ على الإضرار بجلالة الإمبراطور يقع تحت طائلة العقاب.

الباب الثاني

سلطات الإمبراطور

مادة(6): تظل السلطة العليا فى الإمبراطورية الإثيوبية فى يد الإمبراطور وهو يؤكد ممارستها وفقاً للقانون.

مادة(7): يؤسس إمبراطور إثيوبيا مجلس الشيوخ ومجلس النواب والقوانين التى يقرها هذان المجلسان تصير نافذة بعد الموافقة الإمبراطورية.

مادة(8): من حق الإمبراطور أن يفض المجلسين ويعلن إفتتاح ونهاية جلساتها وله أن يفضهما قبل أو بعد الوقت المعتاد وله أن يحل مجلس النواب.

مادة(9): فى حالة غياب المجلسين وفى حالة الضرورة يملك الإمبراطور حق إصدار مراسيم تحل محل القوانين وذلك من أجل المحافظة على الأمن ولإجتناب أخطار عامة. وهذه المراسيم سوف تعرض على المجلسين فى أول إجتماع لهما وتلغى فى حالة عدم موافقتهما عليها.

مادة(10): سوف يعطي الإمبراطور الأوامر الضرورية من أجل وضع القوانين موضع التنفيذ وفقاً لهذا الخطاب والروح التى أملته ومن أجل المحافظة على الأمن العام ومن أجل تقدم ورفاهية الشعب.

مادة(11): سوف يقرر الإمبراطور تنظيمات ونُظم المصالح الإدارية، ومن حق الإمبراطور أن يعين ضباط الجيش

ويعزلهم وكذلك الموظفين المدنيين كما يقــرر مهــامهم ومرتباتهم.

مادة(12): حق إعلان الحرب وإنهاء السلم فى يد جلالة الإمبراطور قانوناً.

مادة(13): من حق الإمبراطور أن يقرر القــوات المــسلحة التــى يحتفظ بها فى حالتي السلم والحرب.

مادة(14): من حق الإمبراطور أن يفاوض ويوقــع جميــع أنــواع المعاهدات.

مادة(15): من حق الإمبراطور أن يمنح لقب الإمارة وغيــره مــن ألقاب الشرف ويهب الهبات وينشي رتباً أخرى.

مادة(16): من حق الإمبراطور أن يمنح العفو ويفــرض العقوبــات وأن يعيد العفو.

مادة(17): فى حالة عجز الإمبراطور بسبب السن أو المرض مــن ممارسة شئون الدولة يعين وصي للدولة طبقاً لقــانون البيت المالك من أجل ممارسته الــسلطة العليــا باســم الإمبراطور.

الباب الثالث

حقوق وواجبات الشعب

مادة(18): يقرر القانون الشروط المطلوب توفرها فى الرعوية الأثيوبية.

مادة(19): جميع الرعايا الإثيوبيين – ما داموا خاضعين للحالات التي يقررها القانون والقرارات التى يصدرها الإمبراطور– قد يعينوا ضباطاً فى الجيش أو موظفين مدنيين فى أي مناصب أخرى فى خدمة الدولة.

مادة(20): جميع أفراد الجيش الإثيوبي مدينون بالولاء والطاعة للإمبراطور طبقاً لما يقرره القانون.

مادة(21): الشعب ملزم بدفع الضرائب القانونية.

مادة(22): فى الحدود التى يقررها القانون للرعايا الإثيوبيين حق التنقل دون قيد من مكان إلي آخر.

مادة(23): لا يقبض على أحد من الرعايا أو يحكم عليه أو يسجن إلا طبقاً للقانون.

مادة(24): لا يحرم إثيوبي رغم إرادته من حقه فى أن يحاكم أمام محكمة قانونية.

مادة(25): تفتيش المساكن ممنوع إلا فى الحالات التى يقررها القانون.

مادة(26): ليس لأحد الحق فى أن يكسر سرية المكاتبات للرعايا الأثيوبيين إلا فى الحالات التى يقررها القانون.

مادة(27): إلا فى الحالات التى تحددها المصلحة العامة ليس لأحد الحق فى أن يحرم إثيوبياً من ملكية ما يملكه سواء منقولاً أو ثابتاً.

مادة(28): لكل إثيوبى الحق فى أن يتظلم إلي الحكومة بعريضة ذات شكل قانونى.

مادة(29): التحفظات الواردة فى هذا الباب لا تحد الإجراءات التى يتخذها الإمبراطور بحكم كونه صاحب السلطة العليا –

فى حالة الحرب أو الاضطرابات العامة التى تهدد مصالح الأمة.

الباب الرابع
المجالــس التشريــعيــة

مادة(30): تتكون المجلس التشريعية للدولة من مجلسين:
(أ) الأول مجلس الشيوخ (ب) الثاني مجلس النواب.

مادة(31): يعين الإمبراطور أعضاء مجلس الشيوخ من بين الأعيان الذين خدموا الدولة لمدة طويلة وكذلك من بين الأمــراء والوزراء والقضاة وضباط الجيش.

مادة(32): كإجراء مؤقت وحتى يصبح الشعب قادراً على الانتخــاب بنفسه يختار أعضاء النواب من بين الأعيان والزعمــاء المحليين.

مادة(33): لا يصح الجمع بين عضويتي النواب والشيوخ.

مادة(34): لا يوضع قانون موضع التنفيــذ قبــل أن ينــاقش فــى المجلسين ويوافق عليه الإمبراطور.

مادة(35): أعضاء مجلس النواب ملزمون أن يتسلموا ويناقشوا الإقتراحات المرسلة إليهم من وزراء الإدارات المختلفة. وإذا كان للنواب رأي ذا نفع للإمبراطور أو للشعب فأن القانون يحفظ لهم حق إرساله إلي الإمبراطور عن طريق رئيسهم حتى إذا وافق عليه الإمبراطور للمجلس الحق في مناقشته.

مادة(36): لكل من المجلسين متفرقين أن يعربوا عن رأيهم إلى جلالة الإمبراطور فى أي مسألة تشريعية أو أي مسألة أخرى مهما كانت وإذا لم يوافق الإمبراطور على هذا الرأى فليس للمجلس حق مناقشة هذه المسألة فى نفس الدورة البرلمانية.

مادة(37): للمجلسين حق الإجتماع لبعضة أشهر كل عام وللإمبراطور حق إطالة الدورة.

مادة(38): للمجلسين حق عقد دورات إستثنائية إذا ظهرت ضرورة لذلك وفى هذه الحالة للإمبراطور أن يحدد مدة الدورة.

مادة(39): بدء الدورة وإنتهاؤها ومدتها وإجازاتها، يحددها المجلسان وإذ حل مجلس النواب فيؤجل مجلس الشيوخ جلساته.

مادة(40): إذا حل الإمبراطور مجلس النواب فهـو يقـرر إجتمـاع مجلس جديد فى مدى أربعة أشهر.

مادة(41): ليس للمجلس أن يبدأ جلساته أو مناقشاته أو يتخذ قراراً بدون إجتماع ثلثى الأعضاء.

مادة(42): إذا تساوت الأصوات عند الإقتراع فصوت الرئيس يرجح إحدى الناحيتين.

مادة(43): للرئيس أن يقرر قبل الإجتماع علنية أو سرية موضـوع المناقشة فإذا تقررت السرية فكل عضو يفـشى مـا دار سواء في حديث أو مطبوع أو بالكتابـة أو أي طريقـة أخرى يعاقب طبقاً لقانون الجنايات.

مادة(44): يقر الإمبراطور أوامر مجلس الشيوخ والنواب بقانون.

مادة(45): إلا فى حالات الإجرام أو حكم لا يمكن نقـضه لا يؤاخـذ العضو خلال الدورة البرلمانية قانوناً.

مادة(46): بعد مناقشة موضوع هام إذا وصل المجلسان إلي قرارين مختلفين يرفع قرارهما إلي الإمبراطور برأيهما المختلف

فهو يفحص الأسباب لهذا الإختلاف ويسعى نحو جمعهما إلي رأى واحد بإختيار أفضل القرارات التى يراهـا وإذا صعب جمعهما إلي رأي واحد فللإمبراطور الحق قانوناً- فى إختيار أحد القرارين.

مادة(47): بدون الحصول علي موافقة الإمبراطور أولاً للمجلسين حق إستدعاء الوزراء للإشتراك فى المناقشة وليس للوزراء أن يشتركوا فـى الإجتماع أو المناقشة دون الحصول على موافقة الإمبراطور.

الباب الخامس

وزراء الدولة

مادة(48): يرفع الوزراء إلي الإمبراطور رأيهم فى الشئون التى تتصل بإداراتهم وهم مسؤولين عن هذا الرأى والقوانين والمراسيم والأعمال التي تصدر عن الإمبراطور متعلقة لشئون الدولة يجب أن تحمل التوقيع الإمبراطورى ثم يوقعها حامل الأختام ليعلنها إلي الوزير المختص.

مادة(49): إذا طلب الإمبراطور نصيحة وزرائه فى أمر حكومى عام فلهم أن يناقشوه مجتمعين تبعاً للنُظم قبل أن يرفعوا رأيهم إليه.

الباب السادس

القضاء

مادة(50): القضاة يمارسون القضاء وفقاً للقانون باسم جلالة الإمبراطور وتنظيم المحاكم يقرره القانون.

مادة(51): يختار القضاة من ذوى الخبرة بالشئون القضائية.

مادة(52): جلسات المحاكم علنية ولكن فى حالة خوف التأثير على النظام العام أو تعريض الأخلاق العامة للخطر للقضاة أن يجعلوا الجلسات سرية.

مادة(53): يحدد القانون إختصاص كل محكمة.

مادة(54): المحكمة المخصوصة تنظر الشئون المتعلقة بالشئون الإدارية التى ليس للمحاكم الأخرى حق نظرها.

الباب السابع

ميزانية الحكومة

مادة(55): يقرر القانون أن إيرادات خزينة الحكومة من أي جهة كانت يجب أن تصرف طبقاً للميزانية السنوية التى تحدد المبالغ المخصصة لكل وزارة وستقرر الميزانية في حدود الأسس التي يقترحها وزير المالية خلال المناقشة التى تدور في مجلس النواب والشيوخ والتى ترفع

مصحوبة بقرارى المجلسين إلي الإمبراطــور للموافقــة عليها.

صدر في أديس أبابا في التاسع من حملا سنة 923م[1]

[1] التواريخ المذكورة بالتقويم الإثيوبى الذى ينقص 8 سنوات من التاريخ الميلادى. – الباحث -

ملحق رقم (3)

خطاب الإمبراطور هيلاسلاسي
أمام عصبة الأمم بجنيف في يوم 30 / يونيو 1936م.[1]

نداء لعصبة الأمم:

أنني هنا هيلاسلاسي الأول إمبراطور إثيوبيا أطلب العدل المستحق لشعبي والمساعدة الموعود بها منذ ثمان شهور عندما أكدت خمسون دولة على الإعتداء الذي أرتكب بحقها منتهكاً الإتفاقيات الدولية.

لا توجد سابقة بأن يتحدث رئيس دولة لمجلسكم هذا بجنيف، كما لا توجد سابقة لشعب هو ضحية مثل هذا الجور أن يكون مهدداً بتركه للمعتدي عليه، ولم يحدث أبداً مثال لأي حكومة تمضي في إبادة منظمة لشعب بوسائل بربرية منتهكة تعهدات أمم الأرض بعدم إستخدام الغازات المؤذية ضد الأبرياء.

في البداية عند نهاية عام 1935م قامت طائرة إيطالية بصب الغاز المسيل للدموع على جيوشي لكن أثرها كان خفيفاً، وتعلم الجنود كيف يتبعثروا حتى تذهب الرياح بتلك الغازات. كانت الطائرة بعد ذلك تمطر براميل غاز علي تجمعات المسلحين ولم يكن ذلك أيضاً فعالاً وتأثر به بعض الجنود، وكان سقوط البراميل على الأرض تحذيراً للقوات والمواطنين بنذر خطر قادم.

بيد أنه عند تطويق مدنية مكلى قامت القيادة الإيطالية مرتجفة باللجوء لطريقة من واجبي أن أندد بها للعالم وهي تثبيت مضخات على الطائرات لترش بها على مساحات واسعة من الأرض ممطرة غازات قاتلة أغارت به تسعة، خمسة عشر، ثمانية عشر طائرة تتبع الواحدة الأخرى مخرجة ضباباً شكل شريطاً مستمراً، وهكذا منذ نهاية يناير 1936م، الجنود والنساء والأطفال والماشية والأنهار والبحيرات والمراعي قد أغرقوا بهذا المطر القاتل ومن أجل القتل الجماعي المنظم لكل المخلوقات الحية ومن أجل التسميم المؤكد للمياه والمراعي ، جعلت القيادة الإيطالية طائراتها تحلق وتمر كل حين وكان ذلك نهجها الرئيسي في فن الحرب.

---

(1) المصدر : The IMPERIAL ETHIOPIAN MINISTRY OF INFORMATION PUBLICATION and FOREIGN LANGUAGES, SELECTED SPEECHES OF HIS IMPERIAL MAJESTY HAILESELASSIE First 1918 to 1967, PRESS DEPARTMENT –ADDISABABA,1967,P 315

نجحت إيطاليا فى تكتيكات الإجتياح ونشر الرعب فى أوسع المناطق السكانية كثافة بإثيوبيا وتجاوزت حد العدائيات ومات عشرات الآلاف من الناس والحيوانات بالغازات السامة عليهم وعلى مياه الشرب والنباتات مما دعانى لأحضر بنفسى إلي جنيف لاشهدكم ورفقاء السلاح على برهان ما حدث ولأحذر أوروبا مما حدث لإثيوبيا من دراما ولأذكر بأننى وعلى مدى العشرين عاماً الماضية أميراً كنت أو ولي عهد أو إمبراطور لم أكف أبداً عن جهودى لإستفادة إثيوبيا من الحضارات وإقامة علاقات حُسن الجوار، ونجحتُ فى إبرام اتفاقية 1928م مع إيطاليا والتى لا تجوز تحت أي ذريعة اللجوء لقوة السلاح بديلاً للتصالح والتحكيم الذين أقامت عليها الأمم المتحضرة النظام العالمى.

فى تقريرها بتاريخ 5 أكتوبر 1935م، أقرت لجنة ال 13 بجهدى والنتائج التى حققتها، أن الحكومة كانت تظن أن دخولها عصبة الأمم يعطى البلاد ضماناً جديداً لصيانة وحدة ترابها ويعينها لبلوغ مستوى رفيع من الحضارة، أنه لا يبدو أن إثيوبيا إليوم تفتقد الإستقرار ومضطربة أمنياً أكثر مما كانت عليه فى العام 1923م الذى إنضمت فيه لعصبة الأمم،وخلافاً لذلك أن شعبها موحد وسلطتها المركزية تتمتع بطاعة وولاء أفضل.

ولتوضيح خطل ما حاولت أن ترسخه إيطاليا، فأن حكومة روما لم تكف أبداً عن إعدادها لهزيمة إثيوبيا، وكانت تخدع العالم على مدى 14 عاماً، حيث أنها لم تكن مخلصة فى إتفاقيات الصداقة التى وقعتها وعندما دعمت دخول إثيوبيا عام 1923م لعصبة الأمم وعندما وقعت مع إثيوبيا اتفاقية عام 1928م وعندما وقعت معاهدة باريس التى ترفض الحرب، فيما كانت إثيوبيا قد أخذت تلك الإتفاقيات كضمانات أمن إضافية لتمكنها من تحقيق مزيد من التقدم على مسار الإصلاح السلمى الذى ثبتت أقدامها عليه وأصبحت تتفانى فيه بكل قوتها وقلبها.

إن حادثة "وال وال" فى ديسمبر 1934م كانت لها وقع الصاعقة علىّ، وكانت الإثارة الإيطالية واضحة بما لم يدعنى أتردد فى أن أطلب من عصبة الأمم القيام بحل توفيقى وتحكيم مُذكراً بنصوص اتفاقية 1928م، غير أن ذلك لم يكن مناسباً لإثيوبيا فى وقت كانت النُظم بأوروبا تسعى بأي ثمن لكسب ود إيطاليا، وكان الثمن ترك إستقلال إثيوبيا لنهم الحكومة الإيطالية، وكانت هناك بنود سرية لها التأثير الكبير

على الأحداث، غير أن إثيوبيا والعالم كله عانوا ويعانون من نتائج ما حدث، وتمادت إيطاليا فى إنتهاكاتها ووضع العراقيل أمام طلب الإجراء التوفيقى، وسعت حكومات لمنع إثيوبيا من أن تجد رجال تحكيم من بلدانها وتمت ممارسة ضغوط عندما قامت محكمة التوفيق لتحقيق إنجاز لصالح إيطاليا، غير أن أعضاء التحكيم أذهبوا كل ذلك سدىً عندما قرروا بالإجماع ومن بينهم أثنين إيطاليين بأن إثيوبيا ليس عليها أية مسئولية دولية لا فى حادثة "وال وال" ولا فيما تلتها من أحداث. عقب ذلك النجاح، رأت إثيوبيا أن صفحة من علاقات الصداقة يمكن فتحها مع إيطاليا ومددت لذلك يدىً صادقة لحكومة روما.

تم إبلاغ البرلمان بتقرير لجنة ال 13 بتاريخ 5 أكتوبر 1935م وبتفاصيل ما جرى من أحداث ما بين ديسمبر 1934م وحتى أكتوبر 1935م، مما توصل له التقرير أن المذكرة التى رفعتها إيطاليا متضمنة شكواها كان قد تم إيداعها منضدة المجلس فى 4 سبتمبر 1935م بينما كان أول طلب تقدمت به إثيوبيا للمجلس فى 14 ديسمبر 1934م، وفى الفترة ما بين التاريخين إعترضت إيطاليا على نظر المجلس فى الأمر على أساس أن الإجراء المناسب متوفر فقط فى الاتفاقية الإيطالية الأثيوبية لعام 1928م، ومضت طوال هذه الفترة تدفع بقواتها وأسلحتها لمنطقة شرق أفريقيا مبينة للمجلس أن ذلك كان ضرورياً للدفاع عن مستعمراتها المهددة بالإستعدادات العسكرية الأثيوبية، غير أن إثيوبيا لفتت الإنتباه للخطابات الرسمية الإيطالية التى لم تدع مجالاً للشك فى نوايا إيطاليا العدوانية.

قبلت إثيوبيا بمعالجة النزاع سلمياً ووفقاً للاتفاقية ووافقت على أن تعالج مسألة ملكية "وال وال" بواسطة رجال التحكيم لأن إيطاليا لن توافق على ذلك ورضيت بأن يبعث المجلس مراقبين محايدين وأن تسمح لهم بأية تحريات يريد المجلس إتخاذها، ولكن ما أن حُسمت مسألة "وال وال" بالتحكيم فإذا بإيطاليا تتقدم للمجلس بمذكرة مفصلة تدعم مطالبتها بإطلاق يدها مقررةً أن مسألة كهذه تؤثر على مصالحها الحيوية ولها أهمية أولية لأمن وحضارة إيطاليا وستكون فاشلةً فى أكثر واجباتها أهمية إذا ما لم توقف وللأبد وضع الثقة فى إثيوبيا محتفظة بكامل الحرية فى إتخاذ أية إجراءات تكون مناسبة لتأمين سلامة مستعمراتها والمحافظة على مصالحها.

أن بنود التقرير أكدت على أن المجلس والجمعية العامة لعصبة الأمم أقروا بالإجماع أن إيطاليا إنتهكت المعاهدة وأنها فى حالة إعتداء. ولم أتردد فى الإعلان عن أنـــى لا أرغب فى الحرب ولكنها فرضت علىّ أن أناضل وحدى من أجل إستقلال وســـلامة ووحدة شعبى كمدافع عن قضية كل البلدان الصغيرة التى تكون عرضة لـــنهم جـــار قوى.

وأكدت الدول الأعضاء ال 52 فى أكتوبر 1935م وعدها بأن المعتـــدى لـــن يحقـــق النصر وأن مواد المعاهدة ستُستخدم من أجل سيادة الحق وإفشال العنف، وطلبت من الأعضاء أن ينسوا سياستهم التى إتبعوها خلال الثمانية أشهر الماضـــية والمقاومـــة التى قدتها ضد المعتدى الذى نددوا به للعالم رغم تواضع أســـلحتى والإنعـــدام التـــام لطائرة أو مدفعية أو ذخائر أو خدمات مستشفيات، وكانت ثقتى مطلقة فـــى عـــصبة الأمم وإستحالة أن تنجح دولة واحدة معتدية فى مخالفة 52 دولة مـــن بينهـــا أقـــوى الدول، وإعتماداً على المعاهدات لم ألجأ لإستعدادات للحرب مثلى ومثل بعـــض دول أوروبا الصغيرة، وعندما أصبح الخطر وشيكاً طلبت إنطلاقاً مـــن مـــسؤلياتى تجـــاه شعبى فى الأشهر الستة الأولى الحصول على تسليح غير أن الكثير من الحكومـــات أعلنت حظراً حال دون ذلك، فيما كانت الحكومة الإيطالية قد مُنحت كافة التسهيلات عبر قناة السويس لترحيل القوات والأسلحة والذخائر دون توقيف أو إحتجاج.

أجبرتُ على التعبئة:

فى 3 أكتوبر 1935م قامت إيطاليا بغزو أراضينا فأعلنتُ بعد ساعات قليلة التعبئـــة العامة، وقمت رغبة منى فى المحافظة على السلام بإتبـــاع نهـــج الـــدول العظيمـــة بأوروبا عشية الحرب العظمى، حيث طلبت من قواتى الإنسحاب إلي 30 كلم داخـــل الحدود درءاً لأي ذريعة إستفزاز تُحسّب علىّ. وإندلعت بعد ذلك الحرب فـــى أفظـــع أحوالها التى أبنتها أمام الجمعية العامة فى صراع غير متكافئ بين حكومة تقود أكثر من 42 مليون من السكان تحت تصرفها الوسائل المالية والـــصناعية والفنيـــة التـــى تمكلها ومن بينها كميات لا تحد ولا تعد من أسلحة القتل وبين شعب صـــغير علـــى الجانب الآخر تعداده 12 مليون لا يملك سلاحاً ولا موارد وليس لـــه غيـــر عدالـــة قضيته ووعد عصبة الأمم.

ما هي المساعدة الحقيقة التي قدمت لإثيوبيا من قبل ال 52 دولة التـــى كانـــت قـــد أعلنت أن حكومة روما مدانة لإنتهاك الميثاق وتعهدت بمنع إنتصار المعتـــدى؟ هـــل قامت كلا من الدول الأعضاء كما هو واجبهـــا بموجـــب المـــادة 15 مـــن الميثـــاق وإعتبرت المعتدى كأنه إرتكب جريمة الحرب ضدها نفسها؟ علقتُ كل آمالي علـــى تنفيذ هذه التعهدات وتأكدت ثقتى بالتصريحات المتكررة فى المجلس بأن العـــدوان لا ينبغى أن يُعطى مكافاة عليه وأن القوة يجب أن تنتهى بالإجبار على الركـــوع أمـــام الحـــق.

وكان يتردد بإستمرار بأن ليس هناك نزاع محض بين الحكومة الإيطالية وعـــصبة الأمم وهذا هو الذى جعلنى أرفض كافة المقترحات التى قدمتها الحكومـــة الإيطاليـــة لمصلحتى الشخصية، حيث أننى لم أكن أود إذلال شعبى وإحتقـــار ميثـــاق عـــصبة الأمم، بل كنتُ مدافعاً عن قضية كل الشعوب الصغيرة المهددة بالإعتداء.

ماذا عن الوعود:

أن الوعود التى أعطت لى منذ أكتوبر 1935م جعلتنى ألاحـــظ بحـــزن ولكـــن دون إستغراب أن ثلاثة من الدول العظمى إعتبرت تعهداتها وفقاً لميثـــاق عـــصبة الأمـــم ليست ذات قيمة مطلقاً، صلاتها بالحكومة الإيطالية أجبرتها ألا تتخذ أي إجراء ضـــد العدوان الإيطالي، وكان مصدر غضبى العميق أن حكومة تؤكـــد إحترامهـــا الـــدائم للميثاق لا تكف عن بذل جهودها المضنية لعدم الإلتزام به، فمـــا يُطـــرح إجـــراء إلا وتسارع لمنعه أو حتى لتأجيل النظر فيه تحت مختلف الذرائع بما يطرح التـــساؤول بأن إتفاقيات يناير 1935م قد تكون وراء هذا التعنت.

أن إثيوبيا لم تكن أبداً تتوقع أن تأتى الدول الأخرى بجنودها لتـــدافع عـــن الميثـــاق ومصالحها لم تتضرر وإنما طلبت فقط مدها بوسائل الدفاع عـــن شـــعبها فطلبـــات المساعدات المالية لشراء السلاح قد تم رفضها بما يعنى ألا معنى للأمـــن الجمـــاعى الذى تنص عليه المادة 16 من الميثاق، كما منعت من نقل العتاد بالسكة الحديد مـــن جيبوتى التى تعتبر خط الإمداد الرئيسى لقوات العدوان الإيطالي الذى لم يوقف كمـــا يقتضى ذلك مبدأ الحياد فأطلق العنان للمعتدى وحُرم ضحية العدوان من وسائل رده.

ونهاية الأمر قامت فقط برلمانات بعض الدول بما فيها دول مؤثرة كثيراً فى عـصبة الأمم بإقرار أن المعتدين نجحوا فى إحتلال جزء كبير من إثيوبيـا وإقترحـوا عـدم الإستمرار فى أي إجراءات إقتصادية كانت قد تقررت ضد الحكومة الإيطالية وكانت تلك الظروف التى دفعت الأرجنتين لطلب إنعقاد الجمعية العامة للنظر فـى وضـع العدوان الإيطالي، عندها أدركتُ أن الأمر لم يكن مجرد معالجـة قـضية العـدوان الإيطالي وإنما أكبر من ذلك بكثير.

عصبة الأمم مهددة:

أن بقاء عصبة الأمم رهين تماماً بأمنها الجماعي وبالثقة التى تضعها كل دولـة فـى الإتفاقيات الدولية وبقيمة التعهدات والوعود للدول الصغيرة بـأن وحـدة أراضـيها وإستقلالها سيتم إحترامها وتأمينها والمساواة بين دولها. وليس إلزام الدول الـصغيرة بقبول ما يملى عليها بما يضع الأخلاق العالمية فى مهب الريح، كأن التوقيـع علـى اتفاقية الميثاق له جدواه فقط عندما تتضرر المصالح المباشرة للدول الكبرى الموقعـة على الإتفاق.

أننى أتيتُ للجمعية العمومية فى وقت يتعرض فيه شعبى لخطر القضاء عيه وإذا مـا كان إنتظار دعم عصبة الأمم شكل الضربة القاضـية، فأسـمحوا لـى أن أتحـدث بصراحة تامة ومباشرة كما يتستوجب مبدأ المساواة بين الدول الأعضاء، فـأقول أن مملكة الرب لها وحدها الأفضلية على الأخر، فهل يمكن أن تفلت حكومة من العقاب على تدمير شعب ضعيف إن ال الأوان قد آن لهذا الشعب الضعيف أن يطلب مـن عصبة الأمم أن تعطى حكمها بحرية تامة وسيشهد الله والتاريخ على هذا الحكم.

أننى قيمت أن العقوبات غير المناسبة المطبقة لم تحقق أهدافها ولن تفلـح عقوبـات غير مناسبة عمداً وغير مطبقة عمداً فى وقف عدوان، إن المسألة ليـست إسـتحالة وقف معتدٍ وإنما رفض إيقافه. أن إثيوبيا طالبت وتطالب بمنحها مساعدات مالية فهل هذا مستحيل فى وقت منحت المساعدات لدولتين كانتا بالتحديد من الرافضين لتطبيق العقوبات على المعتدى؟

أنه من المؤلم أن أجد عشية سعيى للدفاع عن شعبى أمام الجمعية العمومية ، مبـادرة لرفع العقوبات عن الحكومة الإيطالية مع إنتهاكاتها العديدة لإتفاقـات عـدم اللجـوء للسلاح وإستخدام وسائل القتال البربرية يما يعنى تـرك إثيوبيـا ضـحية للمعتـدي والركوع له.

أن هناك مقترحات أمام الجمعية لإصلاح ميثاق عصبة الأمم لتصبح أكثـــر فعاليـــة، لضمان الأمن الجماعي، لكن هل الميثاق الذى يحتاج للإصـــلاح؟ وهـــل التعهـــدات الدولية لها قيمة إذا إفتقدت الإرادة؟ أنها الأخلاق العالمية التـــى تتطلـــب الإصـــلاح وليس مواد الميثاق.

فباسم شعب إثيوبيا الدولة العضو فى عصبة الأمم، أطلـــب مـــن الجمعيـــة العامـــة الإجراءات المناسبة التى تضمن إحترام الميثاق والإلتزام به، وأجدد إحتجاجي علـــى إنتهاك الإتفاقيات التى أضحى شعب إثيوبيا ضحية لها، وأعلن للعالم أننا لـــن نركـــع للقوة وسنحتفظ بطلباتنا وسنستخدم كافة وسائل قوتنا لنصرة الحق وإحترام الميثاق.
أننى أسأل ال 52 دولة التى وعدت شعب إثيوبيا بمساعدته فى مقاومة المعتدى مـــاذا تريد أن تفعله لإثيوبيا؟ وللدول العظمى التى وعدت بضمان الأمن الجمـــاعى للـــدول الصغيرة التى قد يتهددها نفس المصير الذى تعانى منه إثيوبيا ماهى الإجراءات التى تنوي إتخاذها؟
يا ممثلى العالم لقد قدمت لجنيف لألقى وسطكم أكثر واجبات رئيس دولة إيلاماً فمـــا هو الرد الذى سأعود به لشعبى؟

ملحق رقم (4)

الإعلان الذى أصدره الحاكم العام للسودان بخصوص دخول الحرب ضد إيطاليا وألمانيا فى 11/ يونيو 1940م [1]

" أعلن لكم أن موسولينى وحكومته الفاشية فى إيطاليا إنتهزوا الفرصة، عندما كانت قوات صاحب الجلالة البريطانية والجمهورية الفرنسية منهمكة فى صراع شديد مه هتلر ألمانيا، لتجديد سياستهم فى التوسع القومي، والتى بدأت بإغتصاب إثيوبيا وألبانيا. عليه، فإن حكومتى بريطانيا وفرنسا المتحالفتين، اللتين تصممان على مقاومة أي أعمال عدوانية أخرى من الدول القوية، تعلنان حالة حرب ضد الحكومة الإيطالية. وكنتيجة لهذه الأحداث فإن الحرب التى إشتعلت وبضراوة كبيرة فى شمال فرنسا ستنتشر إلي مناطق البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وأن السودان الإنجليزى – المصرى عرضة الآن لأن يدخل فى نطاق العمليات العسكرية النشطة. وللدفاع المحلى عن السودان فإن القوات البرية والجوية الموجودة فى القطر ستناهض العدو بقوة. وستتوافق أفعالهم مع قوات التحالف تلك. وبهذه الجيوش العظيمة فإنهم يجتمعون ضد قوات الحقد والمكر والتي يجب قهرها ليصبح العالم فى سلام مرة أخرى. نحن مستعدون لأى طارئ داخلى قد يحصل. وكما أن الجنود ملزمون أن يقاتلوا حتى الموت، كذلك المدنيين الذين قد يطلب منهم مواجهة المخاطر والمتاعب التى تسببهًا أفعال العدو من طريق الجو أو البر. إن واجبنا واضح. وهو الشجاعة وحفظ النظام وتنفيد التوجيهات التى تصدرها السلطات العسكرية والمدنية، وإننا نتمسك بقوة بإيماننا فى النصر لقضيتنا العادلة. إلهى إحمها".

---

(1) المصدر :محمود صالح عثمان صالح، الوثائق البريطانية عن السودان، مركز عبد الكريم ميرغنى، الخرطوم 2002م، مج 1/ – ص 44.

ملحق رقم (5)

خطاب الإمبراطور هيلاسلاسي عند عبوره للحدود السودانية – الأثيوبية بمنطقة (أم عدالا) عائداً لبلاده بعد خمس سنوات فى المنفى بتاريخ 21 / يناير 1941م [1]

ونحن نعود إليوم لأرضنا نريد أن نوجه شكرنا لقائد الجيش السودانى اللـــواء بلات على التمينات الطيبة التى عبر لنا عنها عبركم أصالة عن نفـــسه وإنابـــة عـــن ضباطه ومقاتليه.
أن سعادتنا عظيمة بأن نلتقى من جديد مع شعبنا الحبيـــب الـــذى كـــان، وهـــو فـــى إنتظارنا، عوننا إبان الخمس سنوات الأخيرة وتشوقه لرؤيتنـــا، يقاتـــل دفاعـــاً عـــن إستقلاله بأيديه وعضلاته ضد الغازى.
ونود أن نبين للواء بلات ثقتنا التامة فى تحرير شعبنا الكامل للبلاد بمساعدة بريطانيا العظمى التى بتضحياتها الجسام قدمت أسلحتها الفعالة لتحرير كل مـــن كـــان تحـــت سيطرة الفاشية والنازية.
ونود كذلك أن نؤكد له الثقة العظيمة التى وضعناها وشعبنا فى العون الـــذى تلقينـــاه من حليفتنا بريطانيا للتصدى لعدونا المشترك. أن النجاح الذى تحقق بجهد ومثـــابرة يبعث كثيراً من الرضى لمن قام به.
فى هذه اللحظة التى دخل فى تجربتها شعبى بلدينا، نريدك أن تبلغ اللواء بلات إلـــي أي مدى نحن تواقون لرؤية يوم سعادتنا المتبادلة عند تتويج قدرات الجـــيش تحـــت قيادته المقتدرة والنيرة وقدرات كافة القوات البريطانية مع قواتنا بالنصر.
كما نود ونتمنى نفس لحظات السعادة بالنصر لمن أختير للقيام بهذا الدور فـــي قـــوة أثيوبيا العسكرية وهو الأن بهذا المكان الذى ستكون فيه العلاقات الوثيقة بين أثيوبيـــا وبريطانيا العظمى خالدة على الدوام.
وسنظل أيضاً نذكر القائد العسكرى البريطانى وضباطه الذين كانوا أول مـــن وجـــه ضربة النصر والذين هم الأن وسط قواتنا المقاتلة.

---

[1] المصدر : The IMPERIAL ETHIOPIAN MINISTRY OF INFORMATION PUBLICATION and FOREIGN LANGUAGES ,SELECTED SPEECHES OF HIS IMPERIAL MAJESTY HAILESELASSIE First 1918 to 1967, PRESS DEPARTMENT –Addis Ababa,1967,P 328

وفى مناسبة دخولنا لأراضينا وإتحادنا مع شعبنا، لن ننسى كـذلك شـعب بريطانيـا العظمى العظيم الذى حفانا بالإستقبال القلبى الدافئ ولن ننسى أبداً أننا مـدينون لهـذا الشعب فى وفاته العميق بتعهداته تجاه معاناة شعبنا وفى تشجيعه لنا فى وقت الـشدة ذاك.

ولن ننسى أبداً حُسن الإستقبال الأخوى الـذى وجـدناه مـن الـسلطات الـسودانية والحكومة والشعب خلال فترة إقامتنا بالخرطوم.

وفى الختام أشكرك نيابة عن نفسى للتمينات الطيبة التى عبرت عنها لنا.

ملحق رقم (6)

رسالة مؤتمر الخريجين للحاكم العام بخصوص المطالبة بحق تقرير المصير بعد الحرب العالمية الثانية – بتاريخ 3 / أبريل 1942م.[1]

يُشرف مؤتمر الخريجين أن يرفع إلي فخامتكم، بحكم وضعكم كممثل لحكومة صاحب الجلالة الملك جورج السادس وحكومة جلالة الملك فاروق الأول، المذكرة التالية التى تُعبر عن تطلعات سكان السودان فى الوقت الحالي:

" إن التطورات فى العالم وأحداث الحرب الحالية ألهمت الشعوب برغبة شديدة لتأكيد العدالة الإنسانية وحرية الشعوب، ولقد عبّر عن ذلك فى تصريحات الساسة البريطانيين وسجل فى إتفاقات القادة الديموقراطيين.

أن الشعب السوداني، كواحد من هذه الشعوب التى تعاونت مع الإمبراطورية البريطانية منذ إندلاع الحرب، تعلم تماماً حقوقها كأمة تنشد الحياة، بعد سنوات قضتها تحت حكم نظامى. إن المؤتمر، الذى يمثّل الرأي العام المستنير، والذى فى حد ذاته إحدى "الثمار الناضجة" للحكم الثنائى، يشعر بمسؤولياته الجسيمة نحو القطر وكل أهله.

وعليه، فإن المؤتمر يرفع هذه المذكرة آملاً أن تُؤخذ فى الإعتبار الذى تستحقه، ويتوقع أن يُرحب بها. أن المؤتمر واثق أن هذه المذكرة تعبر بصدق عن رغبات وتطلعات هذا القطر:

1 – أن يصدر، فى أول فرصة ممكنة، تصريح مشترك من الحكومتين البريطانية والمصرية، بمنح السودان، فى حدوده الجغرافية، حق تقرير المصير، مباشرة بعد الحرب، وأن يؤمن هذا الحق بضمانات تؤكد حق السودانيين فى تقرير حقوقهم الطبيعية مع مصر فى إتفاق خاص بين الأمة المصرية والأمة السودانية.

---

[1] المصدر : محمود صالح عثمان صالح، الوثائق البريطانية عن السودان، مركز عبد الكريم ميرغنى، مج 1/ – ص 74 -75 .

2 – تشكيل هيئة تمثيلية للسودانيين لإجازة الموازنة والقوانين.

3 – تشكيل مجلس عالٍ للتعليم، يتكون من غالبية سودانية، وتخصيص ما لا يقل عن 12 فى المئة من الميزانية للتعليم.

4 – فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية.

5 – إلغاء قانون المناطق المقفولة، ورفع القيود الموضوعة على التجارة والتنقل للسودانيين داخل القطر.

6 – إصدار تشريع يُحدد الجنسية السودانية.

7 – وقف الهجرة، فى ما عدا الحدود المتفق عليها فى المعاهدة الإنجليزية – المصرية.

8 – إنهاء عقد الشركة الزراعية السودانية عنه إنتهائه.

9 – تنفيذ مبدأ رفاهية السودانيين وأوليتهم فى الوظائف الحكومية كما يلي:

(أ) منح السودانيين فرصة للمشاركة الفعلية فى حكم البلاد، ويترتب على هذا تعيين سودانيين فى وظائف ذات مسؤولية سياسية، فى كل الفروع الرئيسية للحكومة.

(ب) أن يقتصر التعيين للوظائف الحكومية على السودانيين.

وبالنظر إلي الوظائف التى من الضرورى أن يُعين فيها غير سودانيين، يجب أن تملأ بأشخاص يخدمون بعقود محددة، ويُدرب السودانيون فى هذه الأثناء لملء الوظائف عند إنتهاء مدة العقود.

10 – تمكين السودانيين من إستغلال موارد القطر التجارية والزراعية والصناعية.

11 – إصدار قانون يفرض على الشركات والمحال التجارية الإلتزام بحفظ نسب معقولة من وظائفها للسودانيين.

12 – إلغاء الإعانات لمدارس الإرساليات وتوحيد مناهج التعليم بين الشمال والجنوب.

هذه هى المطالب التى، إذا ما استجيب لها، نعتقد أنها ستلبى رغبات السودانيين فى الوقت الحاضر. إن المؤتمر يتطلع لمساعدتكم ويأمل أن يُحظي بما يفيد موافقتكم عليها والشروع فى تنفيذها.

ملحق رقم (7)

قائمة بالرتب والألقاب المستخدمة بإثيوبيا وإريتريا

اللقب	المنسوب إليه	معناه
أوانه	وطني قديم	المالك، وهو خاص برئيس قبائل الساهو
شوم	وطني قديم	رئيس قبائل الساهو
دقلل	فونجي	الأمير أو الرئيس، خاص ببني عامر
شالقا	حبشي	قائد الألف
باشاي	حبشي	صول
برمبراس	حبشي	ضابط بدرجة قبطان
بلاته	حبشي	مساعد
جرازماش	حبشي	قائد الجناح الأيسر
قنزماش	حبشي	قائممقام أو قائد الجناح الأيمن
أزماش	حبشي	الماشي أمام الملك
فيتوراري	حبشي	بكباشي أو منجور
كنتيباي	حبشي	رئيس البلد
دجيازماش	حبشي	قائد الجناح الأيسر أو الكولونيل
رأس	حبشي	القائد الأعلى أو الجنرال أو مارشال
بيلاتين جيتا	حبشي	كلي الحكمة
النائب	تركي	الوكيل، هو لقب نائب مصوع وحرقيقوا
الأفندي	تركي	سيد
البيك	تركي	السيد أو الأمير
الباشا	تركي	فارس
كوليري	إيطالي	فارس
كوليري أوفيشالي	إيطالي	فارس ضابط
كمندتور	إيطالي	قائد
غراند أوفيشالي	إيطالي	الضابط الأكبر
غراند كردوني	إيطالي	حامل أكبر قلادة

المصدر : شبكة الإنترنت، موقع : www.mokhtar.ca

ملحق رقم (8):

قائمة بأسماء شهداء قوة دفاع السودان عند تحرير إثيوبيا 1941م

سرى للغايـــه

القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة

ادارة الاستخبارات العســـكرية

الخرطوم

النمـــرة : ق ع / أ س/ ٣ /م/ ٨

التاريخ : ١١ يناير ١٩٨٢

السيد مدير دار الوثائق المركزية

الشهداء السودانيين فى الحرب العالمية

الثانيــة بأثيوبيـــا

١. مرفق لسيادتكم طيه الكشف الذى وافتنا به السفارة البريطانية فى أديس أبابا يحوى أسماء الشهداء الذين استشهدوا أبان الحرب العالمية الثانية فى أثيوبيا .

٢. محول لكم للاحتفاظ به فى سجلاتكم مع اعتبار أسماء الذين استشهدوا من وحدتكم .

وشـــكرا .

عقيد أ ح

أحمد عبد الله حامـــد

م/ ا.ا. ا. ح

القيادة العامة لقوات الشعب
١١ يناير ١٩٨٢
ادارة الاستخبارات العسكرية

قائمة الشهداء المحاربين السودانيين
التابعين لقوة دفاع السودان أثناء
الحرب العالمية الثانية بأثيوبيا

م	الاسم	الوحدة التابع لها الشهيد
١	عبدالقادر خميس	فرقة الهجانه
٢	عبدالماجد محمد	" "
٣	عبدالرسول بابكر أحمد	" "
٤	عبدالله حميده محمد	" "
٥	أحمد سعيد	" "
٦	على حسن الشيخ	" "
٧	الله جابو جاما	" "
٨	باتل كوا	" "
٩	بطران كاكس	" "
١٠	عيسى أجاب	" "
١١	البلا بابكر	" "
١٢	قواى صالح	" "
١٣	جمعه فرج الله جمعه	" "
١٤	حامد اجور	" "
١٥	حامد عبيد	" "
١٦	حسن عجيب	" "
١٧	حسن محمد فضل الله	" "
١٨	كافى التوم	" "
١٩	ككى كوكو	" "
٢٠	كوكو تيفا	" "
٢١	منان شيتاكا	" "
٢٢	مكى أبراهيم	" "
٢٣	محمد أرباب	" "
٢٤	محمد الطيب	" "

م	الاســـم	الوحده التابع لها الشهيد
٢٥	شعبــلا بخيــت	فرقــة الهجانــه
٢٦	سليمان محمد عبيــد	• •
٢٧	تانديــا خليــل	• •
٢٨	تــاور الباشــا	• •
٢٩	وداعة اللــه محمــد	• •
٣٠	وارشــلا تــولا	• •
٣١	عباس علــى دينــا	• العرب الشرقيه
٣٢	عبدالمجيــد هــارون	• • •
٣٣	عبدالوالــى	• • •
٣٤	عبداللــه جالــى	• • •
٣٥	عبداللــه حمــدان	• • •
٣٦	أبكــر آدم	• • •
٣٧	أحمــد أسماعيــل	• • •
٣٨	أحمد محمد عبداللــه	• • •
٣٩	أحمــد محمــد آدم	• • •
٤٠	أحمــد يوســف	• • •
٤١	بابكــر جبارة اللــه	• • •
٤٢	بدوى علــى محمــد	• • •
٤٣	بشــير التجانــى	• • •
٤٤	الامــين محمــد	• • •
٤٥	تكــس أدريــس	• • •
٤٦	جبريــل أبكــر	• • •
٤٧	جمــس أدريــس	• • •
٤٨	جــور باســى برحــى	• • •
٤٩	حجــوج عبداللــه	• • ••
٥٠	حســن يوســف	• • •

م	الاســـم	الوحدة التابع لها الشهيد
٥١	حســن بريمــا	فرقة العرب الشرقيــة
٥٢	أدريــن أبراهــيم	• • •
٥٣	أدريــن موســى	• • •
٥٤	اسحــق محمد محمــود	• • •
٥٥	أسماعيــل أحمــد	• • •
٥٦	خليل محمد باسنـدا	• • •
٥٧	محمــد عيســي	• • •
٥٨	مرحــوم خير السيــد	• • •
٥٩	مدنــى عبد العزيــز	• • •
٦٠	محمــد آدم السيــد	• • •
٦١	محمــد علــى عمــر	• • •
٦٢	محمــد بخيــت	• • • (٢٤٠٥٣)
٦٣	محمــد بخيــت	• • • (٩٣٥٥٥)
٦٤	محمــد الغالــى	• • •
٦٥	محمــد حبياسيــن	• • •
٦٦	محمــد حمــزه	• • •
٦٧	موسى أحمد عبدالله	• • •
٦٨	موســى الغالــى	• • •
٦٩	موســى ناتــو	• • •
٧٠	ناصــر عمــر	• • •
٧١	عمــر بيكــات	• • •
٧٢	سعيــد محمــد	• • •
٧٣	سعيــد سالــم	• • •
٧٤	يحيي سعيد مطــر	• • •
٧٥	يوســف أحمــد	• • •
٧٦	يوســف علــى	• • •

م.	الاسم	الوحده التابع لها الشهيد
٧٧	أبكر سليمان	فرقة العرب الشرقيه
٧٨	عبدالله على عيسى	» » »
٧٩	على رضوان	» » »
٨٠	صباح الله سعد	» » »
٨١	داوود أسماعيل	» » »
٨٢	هجرو يوسف أحمد	» » »
٨٣	محمد بوش	» » »
٨٤		الفرقة الاستوائيه
٨٥	لادو لوسوا	» »
٨٦		بوليس مديرية أعالى النيل
		الالاى المدفعية السودانى
٨٧	عبدالقادر العوض	» » »
٨٨	عبدالهادى	» » »
٨٩	عبدالرازق بخيت	» » »
٩٠	أحمد وابس	» » »
٩١	فضل آدم	» » »
٩٢	محبوب أبوبكر عثمان	» » »
٩٣	محمد عثمان محمد	» » »
٩٤	عمارا محمد	» » »
٩٥	سعيد على محمد	» » »
٩٦	طه بادى	» » »

م	الاســم	الوحده التابع لها الشهيد
٩٧	عوض الله أدريس	وحدة المهندسين
٩٨	أبراهيم حمدان عمر	" "
٩٩	محمد مصطفى علي	" "
١٠٠	سعيد الكباى	" "
١٠١		سلاح الخدمه
١٠٢	محمد زيدان	أشارات قوة دفاع السودان
١٠٣	أحمد محمد عبدالله	فرقة الاقتحام
١٠٤	أحمد زكريا عبيد	
١٠٥	كوردون سيريا	
١٠٦	محمد أحمد داوود	
١٠٧	موسى محمد أبراهيم	
١٠٨	يحيي دلما	
١٠٩	سليمان كوكو	كتيبة نزل الحملة الحيوانيه
١١٠	عبدالسلام فرج	كتيبة المتطوعين
١١١	عبدالله حسين التوم	" "
١١٢	آدم عبدالبارى	" "
١١٣	آدم عبدالرسول	" "
١١٤	عجيب النيل الشيخ	" "
١١٥	أحمد توكيا	" "
١١٦	علي الزين	" "
١١٧	علي مصطفى	" "
١١٨	بخيت سعد محمد	" "
١١٩	برجلو نصر	" "
١٢٠	برتو شوكا	" "
١٢١	الحسن هاشم	" "
١٢٢	الجاك الطاهر	" "

م	الاســـم	الوحده التابع لها الشهيد
١٢٣	الزاكى علـى سنوســى	كتيبـة المتطوعين
١٢٤	جابـو أحمـد	• •
١٢٥	قسم اللـه رزق اللـه	• •
١٢٦	حبيب أبـو شطـه	• •
١٢٧	حبيب اللـه أبراهـيم	• •
١٢٨	حامـد مـرزوق	• •
١٢٩	هاشـم عجبنـا	• •
١٣٠	حسـن عبد الرحمـن	• •
١٣١	حسـن أحمـد مؤمـن	• •
١٣٢	حسين أحمـد آدم	• •
١٣٣	محمـد البشـير	• •
١٣٤	محمد خير عبد اللـه	• •
١٣٥	محمـد نـور	• •
١٣٦	محمد عمر محمود	• •
١٣٧	موسـي المـارك	• •
١٣٨	نونجـو أمـرام	• •
١٣٩	عثمـان موسـي	• •
١٤٠	محمد عابون عبد كافـى	• •

الـوثـائـــق

صـــور بعض الوثائـــق

(1) وثيقـة بتـاريخ 1/أكتـوبر 1914م، بهـا التقريـر الـشهري للمخـابرات البريطانيـة بأديس أبابا.

المصدر: دار الوثائق المركزية- الخرطوم رقم Intel:Class1/Box 15/Piece 73

(2) وثيقـة بتـاريخ 5 أغسطس 1935م، مرسلة من حـاكم كسلا البريطـاني، تتضمن ترجمة لإعلان الجنرال دى بونـو، قيام الحكومـة الإيطاليـة فـى الحبشة ومنـشور للجنرال جرزيانى.

(3) وثيقة بتاريخ 18/يناير 1936م، تحمل تعليمات القائد العام البريطاني لقـوة دفـاع السودان بمنع أي اختراق للحدود من الإيطاليون أو الأثيوبيون.

المصدر: دار الوثائق المركزية – الخرطوم، رقم : No:6664

(4) وثيقـة بتـاريخ 1937/7/13 حـول بـدء الترتيبـات الرسـمية لمواجهـة تـدفق اللاجنون الأثيوبيون.

المصدر: دار الوثائق المركزية – الخرطوم: No: 70114

No.——— Secret

British Legation,

Adis Ababa.

... October 1914

Intelligence Report No. 10.
for
September 1914

Political

The orders given to the soldiers to collect after Mascal have not been cancelled. A great review is spoken of as to take place after the cutting of the grass in three weeks or a month's time.

Negus Mikhail has so far as is known, made no move as yet, and is not likely to move till after harvest at any rate.

Certain new taxes have been imposed, and the cattle tax which is one dollar for every four head is said to be yielding well. Another tax is to be a land and property tax in Adis Ababa, for which surveys are being made.

The Mascal festivities were attended by about 20,000 people

The Abyssinian Government does no business, and remains profoundly interested in the war. In spite of the steady publication of official news supplied by the Foreign Office, there is a great crop of wild rumours, spread by the enemies of the Allies.

Lij Yasu is said to be soon going to hunt lions with Dejaz Nado in the Arussi country, but this is very uncertain.

Foreign

The tension with Italy at one time was acute. Strong representations in favour of peace were made to Lij Yasu by the French Minister and the English Chargé d'Affaires, which proved efficacious. The position is now almost normal.

As regards Dejaz Gabra Selassi, negotiations are in progress with the Italian Minister by which Gabra Selassi is to surrender himself in Adis Ababa, under a guarantee for his life. The Abuna and the Itchegeh have also been appealed

to [illegible] Dejaz Gabra Selassi to intervene in his favour.

Lij Yasu appears to have promised the Italian Minister that if it becomes necessary to arrest Dejaz Gabra Selassi, only a small force of the soldiers now in Tigre will be sent.

Matters seem to have taken a favourable turn for peace; but there is nothing certain about it yet, and there are many of the younger men who are hoping for a fight.

None of the usual Mascal appointments and promotions are yet announced.

Harar — There have been vague reports of raids and counter raids in the Ogaden country, and Dejaz Taffari is said to be going to Jirjigga with a force, ostensibly to hunt lions, but really to be ready for the Mullah's horsemen who are said to be in the neighbourhood. This news is not confirmed from Berbera and is probably incorrect. The British Consul at Harar is absent, and there is no means of sifting Harar news.

The Ughaz of the Gadabursi appears to have called in Abyssinian soldiers to take taxes from some of the border tribes, who may be British.

From Jibuti, and from Italian sources comes a report that there is a considerable movement among the Moslems caused by war and the Turkish call to arms. It is possible that the head of this movement is the Turkish Consul at Harar, who is in correspondence with leading Moslems both here and in Jimma, and who has been accused, though with no proof, of being in correspondence with the Somali Mullah. There has been talk of a Turkish or German Consulate at Jimma, but it is only talk.

Arms traffic — On the representations of Italy, Jibuti has been temporarily closed to the passage of arms.

Six German or Austrian field guns, quick-firers, arrived at

BRITISH LEGATION,

ADIS ABABA.

Jibuti consigned to Mr. Ayer, a Germanised Abyssinian. But as he had declared them as machinery, they were confiscated and are now being used by the French authorities for drill and instructional purposes.

A certain number of rifles were given out at Massal, among others at least 100 to Sheikh Alojali of the Beni Shanga. These were repaired Russian rifles.

Trade — Owing to regular traffic from Port Sudan, the Gore Gambela trade seems to be good, but that of Adis Ababa is very bad. The Arab trade to Aden was mostly in the hands of German and Austrian agents, who have now ceased buying.

Personal — In reply to a call for artillery officers, Captain Sandford, acting Consul, has been permitted to join the Army.

(signed) C.H.M.Doughty Wylie

Usual distribution made 28/10/14 [initials]

5th. August, 1935

No./K.P./SCR/95.E.3

STRICTLY CONFIDENTIAL

Civil Secretary

(1) Attached you will find my Intelligence Report No. XXX. together with a rough translation of a proclamation by General De Bono the High Commissioner of Italian East Africa which has received wide publicity.

(2) Certain of the paragraphs give a valuable sidelight on the situation as it is developing across the border. In particular one notes with apprehension the lack of grain cultivation by the native population and the increasing number of Sudanese labourers who have been recruited.

ACTING GOVERNOR KASSALA

C. P. S.

CS 92. A. 1

10.8.35

[illegible] The King has [illegible]
and in the South and his troops were scattered and it
[illegible]

On his flight he took with him his family and the money he looted from the population of Ethiopia. Thus now the whole of Ethiopia is governed under the famous, great and civilised Emperor of Ethiopia, His Majesty the King of Italy. So you must understand that further no other authority is existing in Ethiopia except that of the great government of Italy, and this government has made his principal town (capital) Addis Ababa, and from there we will issue rules and orders which must be obeyed by all the population of Ethiopia.

You, the population of Western Ethiopia, do not hear the false rumours told by your enemy for his own benefit, and this is the true thing. Open your eyes, the conquering Italian Army has occupied the whole of TIGRE, SHOWA, OGADEN, HARRAR and MEGA.

The principal officials who joined the famous [illegible] of Italy are [illegible] Ras Kabada Mengasha, and these are respected and in high positions.

The strong government of Italy is working with energy to spread in Ethiopia peace and progress. So you population of Western Ethiopia if you do not wish to be exterminated, obey this government.

You population of Western Ethiopia, take in mind that your governor is the Italian Government, and in Ethiopia there is no other Government. So you must join the population of Ethiopia who are under the King of Italy and who is Emperor now of Ethiopia. God may keep the

[margin: ...des to:- ... F.2 ... B.1 ... B.1 ... S.'s Office, ... 1.36]

TRANSLATION.

For fifty years you used to be ruled as the slaves under another nation. The numbers of t nation are smaller than you are. They drove you of the country you born. And you use to be ruled with heavy burden. By the Will of God with the power of his militaries the Italian Government de Ethiopia and took all the country.

Italian Government launched this peace your freedom, for your own benefit to give you wi and to live under the protection of his flag. Yo were pressed by them in all your life. Do you think that you have no any knowledge than they do The old rulers are fooling you by giving such adv as a friendship. But if you will accept their advice you know what kind of reward you will get them later. Up to the time of now they used to you down. Don't listen to the word whom are dec you. It is just for their own benefit not for y Don't listen to the cheaters advice.

Those who want to begin war with Italia Government chase them out of your country. Accep Italians there is not any other Government in Et

The Agent of the King,
General Governor,
The Marshal of Italian
GARACIAN.

[illegible]

11. January, 1936.

Commandant, Engineer Troops, OMDURMAN.
Officer Commanding, Camel Corps, EL OBEID.

I am directed to forward you the follow[ing] provisional instructions for S.D.F. troops operatin[g] on the SUDAN-ERITREAN-ETHIOPIAN Frontiers, and to inform you that the provisional instructions contai[ned] in these Headquarters Cypher Telegram No. V.33. dat[ed] 9th September, 1935, and letter number G.S./C.R./85[?] dated 10th September, 1935, are hereby cancelled.

1. [illegible] troops are to cross the Eritr[ean] or Abyssinian frontiers under any pretext whatsoever.

2. If either Italians or Abyssinians attem[pt] to use Sudan territory for flanking movements again[st] each other, or armed parties enter Sudan territory, they will be stopped, disarmed, and sent to concentration camps already notified. In the unlikely event of such parties of either side being so large that they are beyond the power of our troops to deal with, a protest will be lodged with the Italian or Abyssinian commander, our troops will withdraw from contact and an immediate report will be made by the quickest means available to these Headquarters. In this connexion, the strictest military precautions against surprise will be taken when dealing with an[y] such parties.

3. Refugees or armed men after disarming to be sent to nearest concentration camp or headquarters under escort or otherwise as necessary in [the] opinion of our commander on the spot who also at hi[s] discretion will allow and require an individual of whose bona fides there is no reason to doubt to re-cross the frontier. If thus required to re-cross [the] frontier, such individual will retain his arms.

I am to request that you will acknowle[dge] receipt of this letter.

66646

[illegible] 1936

[illegible]

Kaimakam,
GENERAL STAFF.

Copy to :- Civil Secretary. (A)

COPY OF TELEGRAM.

20114.

From:- Deputy Governor, Nairobi.

To:- A/Governor-General, Khartoum.

Desp:- 16.08 hrs. 13.7.37 Recd:- 17.14 hrs.

SECRET.

Telegram No.475 (S).

Addressed to the Secretary of State for the Colonies repeated to the Governor General Khartoum.

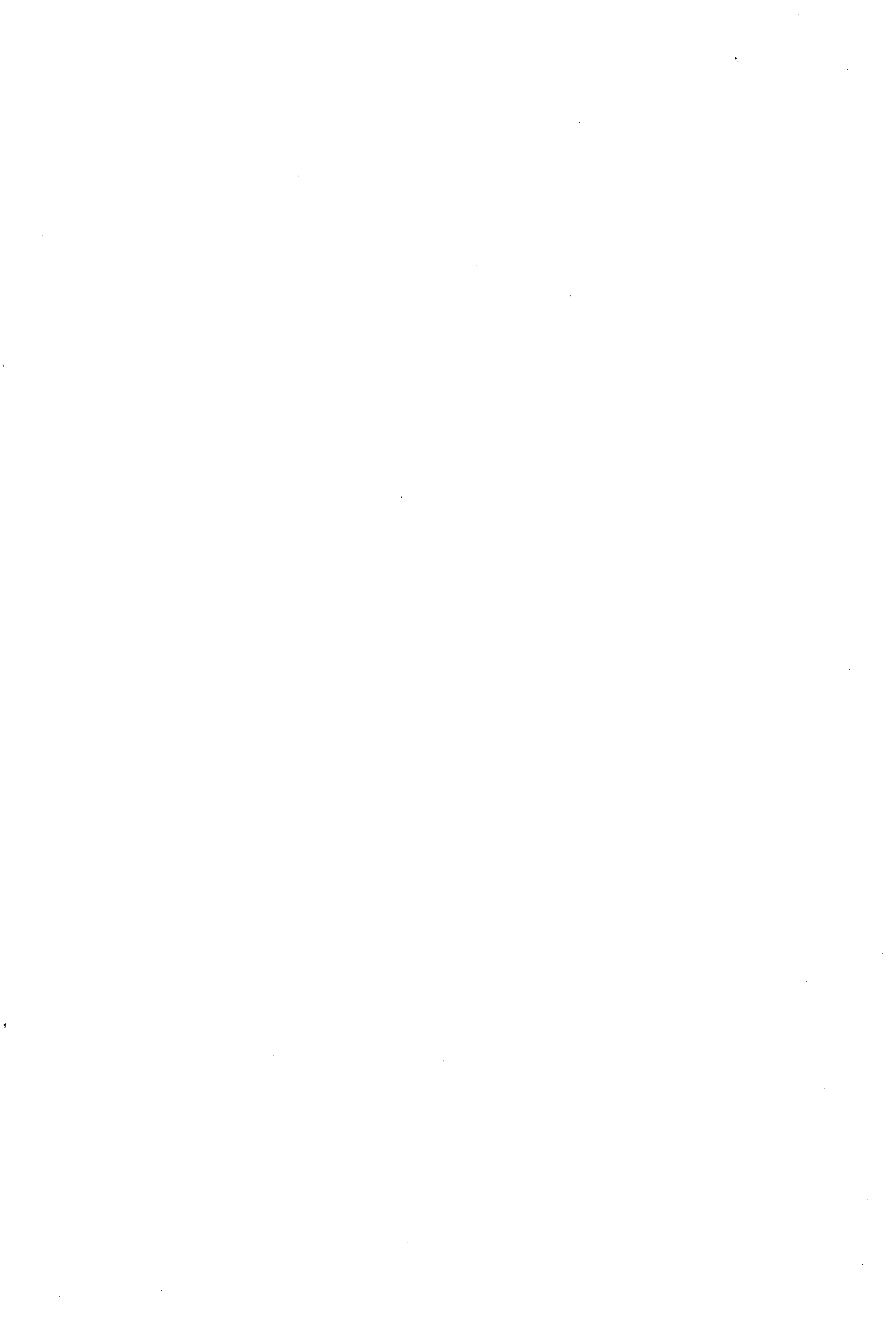
Reference my secret telegram No.144.

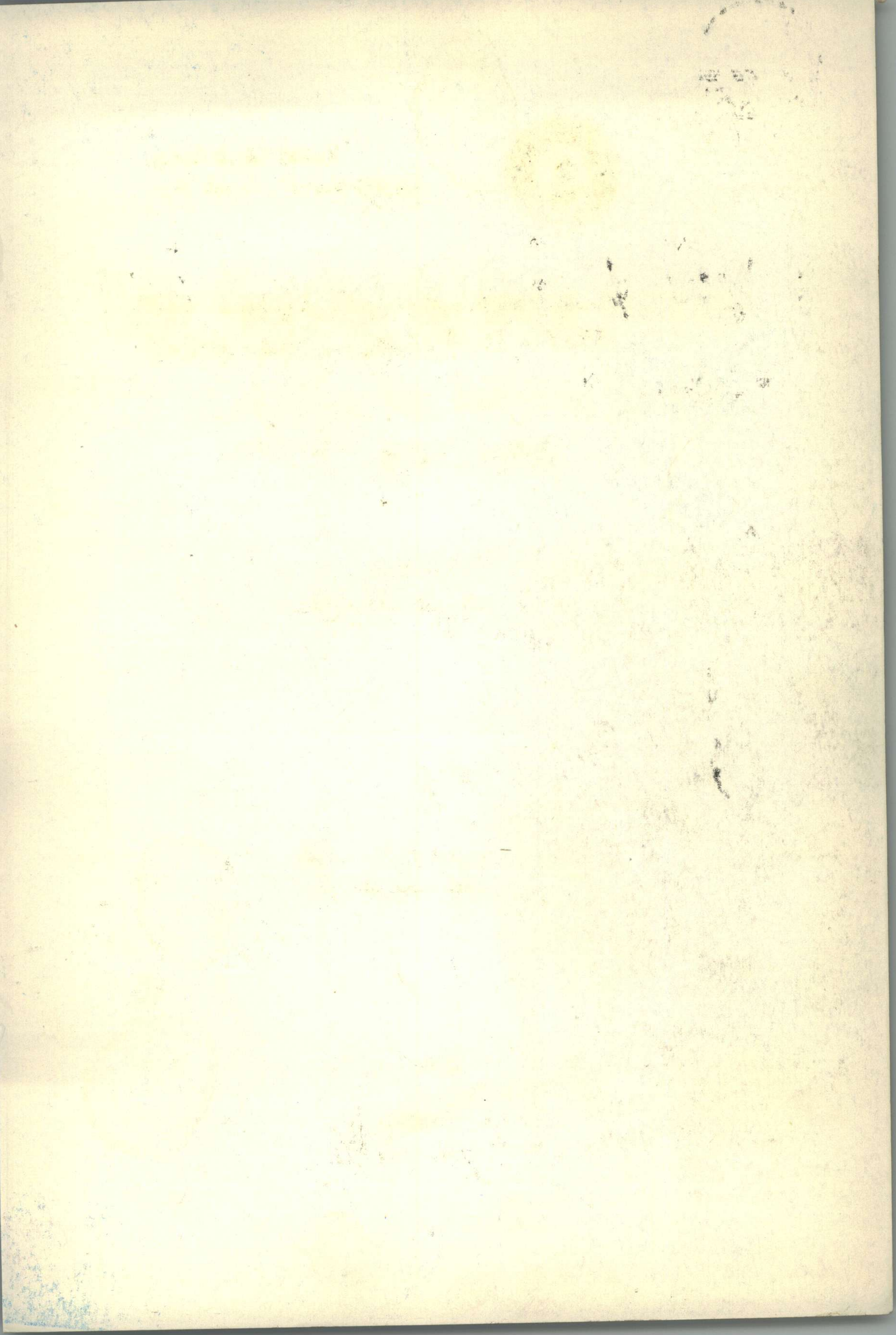
Fitaurari Angasu, Dejazmach Walde Mariam both reported entered the Colony immediately East of Lake Rudolph with large numbers of Ethiopian refugees estimated thousand. Arrangeme[nts] will be made on lines [reported] in my secret tele[gram] ...

Copy to:- Director of Public Security.
92.B.1.
HQ., Sudan Defence Force (3).

A.V.







International University of Africa
Centre of Research & African Studies



The Sudanese Role In Liberation of Ethiopia & Resorting Empire Haile Sellasie To His Throne 1935 -1941

Edited by: SALIH MOHAMMED ALI OMER

